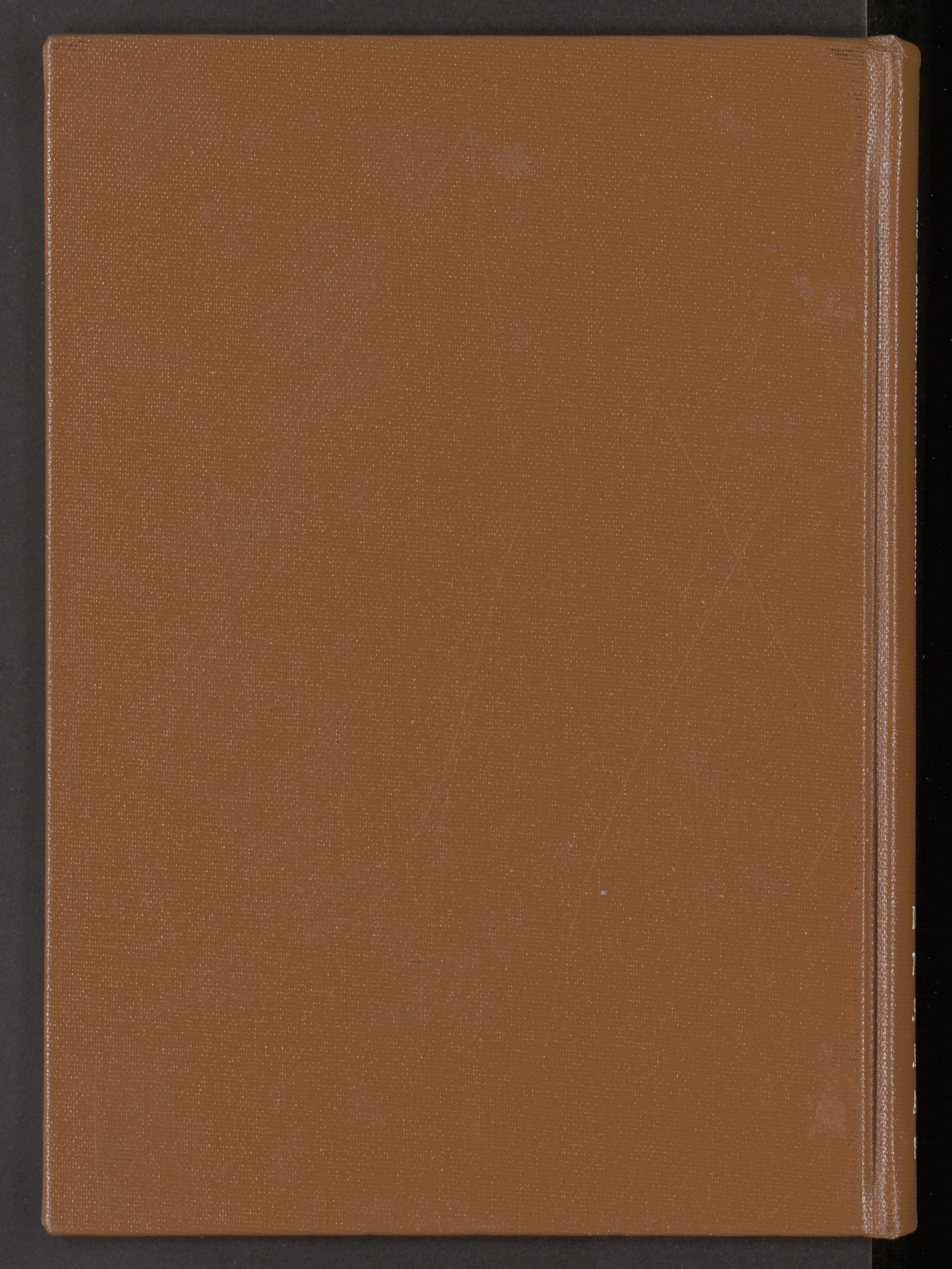
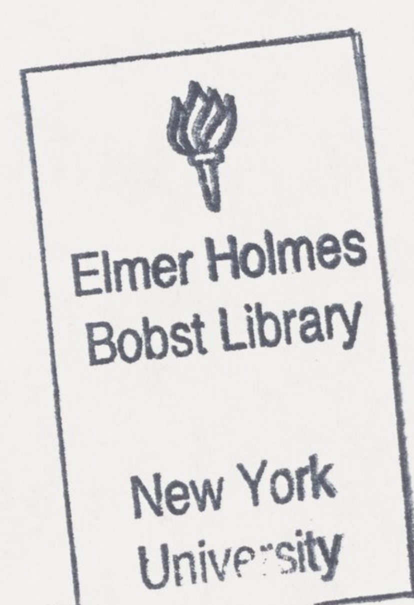



BOBST LIBRARY
3 1142 02919 8788


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

ساعدت جامعة بغداد على نشره



مدينة المنصور المدورة

تأليف

طاهر مظفر العميد

رسالة مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير بالآثار الاسلامية

قدم له الاستاذ ناجي معروف

من منشورات المكتبة الاهلية في بغداد

لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م — **مطبعة النعمان النجف الاشرف تلفون ٩٩٧**

٣م

مقدمـــــة

المشرف الاستاذ ناجي معروف :

بغداد وأثرها المعماري في المدن الاسلامية والاجنبية

يمكن ان نعد بغداد من أعظم مدن العـالم في القرون الوسـطى في عمارتها وحضارتها وثقافتها ، وما خلدته من آثار علمية وأدبية وفنية ، فقد طغت شهرتها على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطيـة ، وغزتهـا جيوشها في العصر العباسي ، كما فاقت دمشق عاصمة الامبراطورية العربية في خلافة الامويين ، ولم تبلغ قرطبة بالاندلس والقاهرة بمصر ما بلغته بغداد في العراق .

كما يمكن ان نعد المدينة المدورة بحق أعظم تجربة معمارية قام بهـا العرب المسلمون في العصر العباسي في منتصف القرن الثاني الهجري ، وفيما تركته من تأثير واضح في المدن التي اختطها العرب في البلاد الاسلامية خلال حكمهم الطويل ذلك لانها كانت تعتمد على تنظيم هندسي دقيق ، وخبرات فنية ومعمارية وامكانات مادية وجهود رائعة بذلها المنصور واصحابه لتكون عاصمة للدولة العربية الجديدة التي كانت تمتد من الاندلس حتى الصين .

وقد اتسعت بغداد على جانبي دجلة اتساعا منقطع النظير وبنيت فيهـا الدور والقصور والمساجدودور العلم والمستشفيات والمراصد الفلكية وانشئت فيها المدارس والجامعات والربط ، وبنيت فيها الاسوار والابراج ، وشقت فيها الترع والانهار وشيدت القناطر والجسور والبرك ، وحلبات الخيل والحمامات والطواحين والخانات والمتنزهات وحدائق الحيوانات . وبلغت من الاتساع

والتنظيم ما لم تبلغه المدن التي بنيت قبلها أو بعدها حتى أصبحت (جنة الارض) بل (الدنيا) و (من لم يدخلها لم ير الدنيا) وغدت (من خزائن الله العظام التي لا يقف على حقيقتها الا الله وحده) ٠

وفي العصور العباسية المتأخرة عندما زادت سيطرة الاعاجم من ديالمة الفرس وسلاجقة الاتراك بدأت عوامل عديدة تتظافر على تخريبها وتدميرها من هدم ونقض وحرائق وفيضانات الى حروب وزلازل وزوابع وصواعق وأمطار و (نزيز) وتخريبات من العيارين ، والحرائق الناشئة من الفتن السياسية والمذهبية ٠ حتى كانت حروب المغول في عهد هولاكو والتخريبات الفظيعة في عهد تيمورلنك والحروب الطاحنة بين الفرس الصفويين والاتراك العثمانيين ، ثم النزاع بين ولاة العثمانيين انفسهم والتنافس بين المماليك على حكم بغداد وما أعقب ذلك من أوبئة وامراض وخوف وغلاء ، كل اولئك اتى على البقية الباقية من معالم بغداد حتى اصبحت اثرا بعد عين ، ولم يقاوم البلى من آثارها الا أماكن معدودة لا تزال موضع اعجاب الزوار والعلماء والآثاريين ٠

وليس بين المدن العربية والاسلامية مدينة حظيت بعناية الباحثين والعلماء والمؤرخين والجغرافيين كمدينة بغداد فقد عني العرب والمسلمون والاجانب من المستشرقين وعلماء الآثار والرحالين قديما وحديثا بوصف بغداد ، والكتابة عن خططها ومعالمها وما بقي من آثارها منذ انشائها حتى اليوم ٠

ومما يؤسف له أشد الاسف ان التحريات الأثرية عن موقعها وآثارها لم تجر حتى الآن ولم تقم مديرية الآثار العامة ولا جامعة بغداد بحفر أو تنقيب فيها ٠ ولقد عم العمران وامتد البناء على اكثر الاماكن التي يحتمل انها كانت تؤلف مدينة السلام التي انشأها أبو جعفر المنصور واصبح من العسير اجراء التنقيبات والتحريات في مثل هذه الاماكن ٠ ومع ذلك كله

فلا يزال المجال ميسورا للقيام بمثل هذه التنقيبات في الاماكن والتلول والبساتين الواقعة في محلة (العطيفية) أسفل الكاظمية وفي الاماكن الواقعة على مقربة من مخازن الحبوب وهي الاهراء المسماة بـ (السايلو) وبخاصة قرب سواحل دجلة حيث تظهر بين حين وآخر بعض المباني أو النقود أو اللقى الأخرى ٠

ولما كانت لبغداد قيمة حضارية كبيرة فقد رأيت ان اتكلم على بعض الامور التي تتعلق بتأثير المدينة المدورة في غيرها من المدن في الشرق والغرب لاسيما وان الرسالة التي نقدم لها لم تبحث هذا الامر المهم ٠

لقد بنى العرب بعد بغداد أكثر من ١٥٠ مدينة في آسية وافريقية واوربة عدا تلك التي وسعوها أو جددوها ٠ ومما لا ريب فيه ان بغداد كان لها تأثير معماري وحضاري في هذه المدن الاسلامية كما كان لها مثل هذا التأثير في الشرق والغرب ايضا ٠

وسنبحث في هذه المقدمة بايجاز تام اثر بغداد المدورة في بعض المدن الاسلامية والاجنبية وما اقتبسته هذه المدن من مبتكرات معمارية منها ٠ ويمكننا ان نذكر من المدن التي بنيت على طرازها أو تأثرت بأساليبها المدن الآتية :

١ ــ الرافقة ــ وهي مدينة قرب الرقة لم يكن لها أثر قديم كما يقول البلاذري (وانما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله سنة خمس وخمسين ومئة على بناء مدينته ببغداد ورتب فيها جندا من أهل خراسان ، وجرت على يد المهدي وهو ولي عهد ٠ثم ان الرشيد بنى قصورهافكان بين الرقة والرافقة فضاء مزارع ٠٠) ويظهر انه استقدم العمال لبنائها من العراق ٠

ويذكر الطبري وياقوت ان الرافقة بنيت على هيأة مدينة السلام وانه

كان لها مثل ابوابها وفصيلها ورحباتها ولا تزال اسوارها قائمة حتى اليوم وهي مبنيةمن اللبن • وللمدينة خندق وسوران بينهما فصيل عرضه (٢٠ر٨٠) مترا ، وكانت له اربعة ابواب ايضا منها : الباب الشرقي وهو باب بغداد في السور الخارجي وهو مثل جميل للعمارةالعباسية من الآجر وفي فتحته اليمنى قوس مجزوءة رائعة • وكان يوجد وراءه برج مستدير يبرز من بناء السور الداخلي ، وما تزال ترى بقايا عدد من الابراج المستديرة الموزعة بالتتابع على طول السور المذكور على اساس قيام برج واحد في كل ٣٥ مترا• وبنى المنصور قصرا وجامعا في وسط المدينة • ويدل ما بقي من الجامع على انه كان مستطيلا طوله (١٠٨ر١٠) مترا وعرضه (٩٢ر٩٠) مترا • وقد نمت المدينة خارج الاسوار وانشئت فيها القصور والمباني التي كشفت تخطيطاتها الصور الجميلة التي اخذت لها • وتعد هذه المنطقة اعظم منطقة للآثار العباسية بعد سامراء • وقد اظهرت التنقيبات الاثرية التي اجرتها مديرية الآثار السورية اربعة قصور احدها للمعتصم وجد اسمه مكتوبا على احد جدرانه وانتظمت ثلاثة قصور منها قناة كانت تأخذ ماءها من نهر (بليخ) احد روافد الفرات ويزيد طول بعض هذه القصور على ١٦٠ مترا وعرضها على ١٢٠ مترا وهي من دون ريب تشبه قصور بغداد وسامراء وتمثل جهود الخلفاء العباسيين في تنظيم ارباض الرقة على نفس الاسس التي اتخذت ببغداد •

٢ ـ سامراء ـ وهي اولى الحواضر العباسية الكبرى في العراق اتخذها العباسيون عاصمة لهم بعد بغداد اكثر من نصف قرن • وقد استفادت كثيرا من تخطيط بغداد ومن فنها المعماري الذي يتجلى بوضوح في بناء جوامعها ، وقصورها ودورها واواوينها واروقتها وفي زخرفة الجدران وتبييضها وتزيينها • وقد انشئت الاسواق فيها لاصحاب الحرف كل حرفة في سوق لا يشاركهم فيها أهل حرفة اخرى ، كما اجريت المياه في الشوارع بقنوات ، وانشئت فيها

البرك والمتنزهات والحلبات .

٣ ـ صبرة ـ ويظهر تأثير تخطيط بغداد الدائري في مدينة (صبرة) الواقعة في شمالي افريقية على مقربة من مدينة القيروان أو متصلة بها . بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيدالله سنة ٣٧٧ هـ . وكانت فيما روى المقدسي مدورة مثل الكأس لا يرى مثلها . وقال : (ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها شديدة العمارة حسنة الاسواق بها جامع السلطان . وعرض سورها اثنا عشر ذراعا منفصلة عن العمارة) .

٤ ـ دمشق ـ ولبغداد تأثير في مدن اسلامية اخرى كثيرة نذكر منها: دمشق ـ فقد شيد سورها في القرن العاشر الهجري على شكل بيضوي يعتمد على خمسة ابواب من السور القديم وربما كان ذلك احتذاء لشكل سور بغداد ولشيوع أشكال هذا السور وللاعتقاد السائد ان القيمة العسكرية للسور المستدير تفضل القيمة العسكرية للسور المستطيل او المربع .

وكانت دمشق في عهد الفاطميين تتكون من حارات واحياء مسورة لها ابواب تغلق ليلا . وقد قسمت الاسواق بين المهن وامتد العمران خارج المدينة ونظمت الارباض منذ زمن نورالدين زنكي وجعل لكل منها مسجد وحمام وسوق . وظهرت تأثيرات بغداد المعمارية في كل هذه المباني كاتباع نظام التعامد وجعل القباب عليها وتزيين ابوابها بالمقرنصات وجدرانها بالزخارف .

٥ ـ مدينة فسا : ذكر المقدسي في كتابه احسن التقاسيم ان مسجد مدينة (فسا) كان يشبه مسجد المنصور وذلك حين يقول : « الجامع فيها وهو من آجر اكبر من جامع شيراز . وله صحنان على عمل مدينة السلام . » وعندما يتكلم على صحنيه يذكر انه كان « بينهما سقيفة » .

٦ ـ حلب ـ وكان قصر سيف الدولة الحمداني بحلب نسخة من قصور الخلفاء ببغداد كما انشئت بحلب اسواق على هيئة اسواق بغداد وانتظمت

المحلات والحارات التي زُوِّد كل منها بباب يغلق ليلا • ونظمت الارباض فيها كما نظمت ارباض دمشق •

٧ ـ القدس ـ وتطورت القدس في العصر العباسي • ويظن انه كان لها سور مستدير • وقد نقل الحجاج المسيحيون صورة المدينة الى بلادهم وكانت هذه الصورة تتألف من دائرة تامة مقسمة الى أربعة أرباع متساوية تشقها اربعة طرق متعامدة كبغداد • وكان لهذه الصورة اثر كبير على عدد من المدن الاوربية التي انشئت قبل القرن الثالث عشر الميلادي •

٨ ـ السرا ـ ويظهر ان كثيرا من المدن الاسلامية والاجنبية قد تأثرت بالفن العماري البغدادي فيصف لنا ابن بطوطة مثلا مدينة (السرا) في بلاد تركستان فيقول عن اهلها : (وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها اسواقها، والتجار الغرباء من أهل العراقَيْن ومصر الشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطا على اموال التجارة •

٩ ـ القسطنطينية ـ ويلاحظ ان القسطنطينية أخذت تتبع اسلوب العمارة البغدادية وتترك طرائق اليونان والرومان فانتشرت في ارجائها القنوات وخصصت الاسواق لارباب الحرف المختلفة كل حرفة في سوق لا يشاركهم فيها سواهم ، تحفها الحدائق والبساتين • وجعل على كل سوق ابواب تسد عليه بالليل وكان الغرباء يسكنون في أحياء معروفة ولهم اسواق خاصة وهم كما يقول ابن بطوطة اصناف فمنهم الجنويون والبنادقة واهل رومية واهل فرنسة •• وجميعهم أهل تجارة •

وقد تعلم البيزنطيون من العباسيين ما ساعدهم على تجميل مدنهم وانشاء قصورهم • فالامبراطور تيوفيل الذي هزمه المعتصم في وقعة عمورية ارسل سفيره يوحنا النحوي الى بغداد ولما رجع الى القسطنطينية زين للامبراطور محاكاة قصور بغداد التي بهرته ولذلك شيد عمارة (التريونك

على شاكلة القصور البغدادية واحاطها بالحدائق واستخدم احد المخططات التي احضرها يوحنا النحوي في بناء قصره المسمى برياس

١٠ ـ سالونيك ـ وهي ثانية المدن البيزنطية وقد اتبعت القسطنطينية في نظام الحدائق واصول الاقنية وتدفق الماء في حماماتهاوتخصيص الاسواق للتجار والاحياء للناس كما كان الامر ببغداد وسامراء ٠

١١ ـ البندقية ـ وهي التي ورثت القسطنطينية وامتد تأثيرها في اوربة وقد اخذت عن الشرق انظمة الاروقة والساحات والاقنية وما الى ذلك ٠

ويظهر تأثير بغداد واضحا في تسمية بعض المدن والاماكن باسمها فقد سميت مدينة فاس (ببغداد المغرب) وهي المدينة التي تتكون من مدينتين مسورتين هما عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين وقد اسست عدوة الاندلسيين سنة ١٩٢ هـ وعدوة القرويين في سنة ١٩٣ هـ ٠

كما يظهر تأثير العراق في تسمية (تاهرت) التي بناها عبدالرحمن بن رستم الاباظي (بالعراق الصغير) واطلاق البصرة على مدينة بالمغرب ٠

اما المدن والاماكن التي سميت (بغداد) فكثيرة منها : بغداد التي انشأها زيري بن عطية في المغرب ٠ ومنها الاسماء التي اطلقت على اماكن مختلفة من العالم القديم والعالم الجديد ٠ فقد اطلق اسم بغداد في الولايات المتحدة الامريكية على مدينة في اريزونا وفي فلوريدة وفي كاتتاكي ستي ، وعلى قريتين من قرى الولايات المتحدة ايضا ٠ وسميت احدى مدن پولونيا في اوربة باسم بغداد ، كما سميت احدى مدن استراليا باسم بغداد ايضا ٠ وفي تانزانيا بافريقية اطلقت كلمة دار السلام على عاصمتها ٠

وسمى المغاربة بعض مدنهم بأسماء المدن الشرقية متأثرين بزيارة تلك الديار أو ورودهم منها ٠ فنجد اسم بغداد يطلق على مكان في مدينة (فكيك) لما يتوفر فيه من نخل ٠ وفي مصر اطلق اسم (قصر بغداد) على قرية من قرى المنوفية

ويقال في النسبة اليه : (القصري) ٠

وهكذا اصبحت بغداد مثلا يحتذى لاكثر المدن التي انشئت بعدها في الشرق والغرب كما استفادت من طرزها المعمارية واساليبها الفنية جميع المدن التي وسعت او جددت(١) ٠

من ذلك يتبين ان دَيْن بغداد على أهل بغداد وعلى العرب والمسلمين والاجانب دَيْن كبير لم نستطع حتى اليوم ان نوفي بعضه ٠ وعلى الرغم من كثرة المراجع العربية والاجنبية عن بغداد فانه لم يوضع كتاب واف عنها يبحث في حضارتها من جميع نواحيها ٠ واكثر العلماء الذين بحثوا في المدينة المدورة من العراقين والاجانب وقع كل واحد منهم في بعض الاخطاء التي صلح اكثرها السيد طاهر العميد في هذا البحث القيم عن المدينة المدورة ٠

لقد شجعت السيد طاهر العميد على بحث المدينة المدورة في اعداد رسالة مفصلة لنيل درجة الماجستير فيها وقد وضعت بين يديه كل بحوثي التي لها علاقة ببحثه وقد اشار الى المطبوع منها والمخطوط في هذه الرسالة التي اقدم لها بهذه المقدمة الموجزة ٠ ولا اقول ان هذه الرسالة ـ التي كنت المشرف فيها على السيد طاهر العميد ايام كنت عميدا لكلية الاداب بجامعة بغداد واستاذا للتاريخ الاسلامي والحضارة العربية فيها ـ قد جمعت كل شيء عن المدينة المدورة وانما احاطت باهم الامور التي تعد ضرورية لمن يبحث في بناء المدينة المدورة وطراز بنائها واسباب تشييدها في هذه البقعة التاريخية من العراق ٠

لقد كان السيد طاهر العميد دؤوبا في عمله يواصله ليل نهار حتى استطاع ان يبحث المدينة المدورة في سبعة ابواب مهمة في كل باب منها عدد من الفصول شرح فيها موقع بغداد قبل بناء بغداد ٠٠٠ وذكر العواصم التي انجزها العباسيون قبل بناء مدينة السلام وشرح انهار بغداد الغربية

واستند الى اهمية الانهار في تحديد موقع المدينة وقد وفق في شرح العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والصحية التي دفعت المنصور الى اختيار موقع مدينته اسفل الكاظمية على ضفة دجلة الغربية والتي امتدت الى الجانب الشرقي حيث الاعظمية اليوم • وقد افاض في البابين السادس والسابع ـ وهما في رأيي اهم الابواب السبعة ـ في تخطيط المدينة المدورة وفي الخندق والمسناة والسور الخارج والسور الاعظم والمداخل التي في السورين، والسور الثالث، كما تكلم على الفصلان وبخاصة على المنطقة السكنية التي حوت الشوارع وبيوت الناس والسكك والاسواق الاربع التي في الطاقات • ووصف الرحبة العظمى وقصر الذهب الفسيح الذي اتخذه ابو جعفر المنصور بلاطا له • واشار الى قصور اولاده والى دووابن الحكومة والمسجد الاعظم ومراحل تجديده في خلافة الرشيد وتوسيعه في خلافة المعتضد وبقائه الى القرن الثامن الهجري • ووصف محرابه المتخذ من قطعة واحدة من الرخام الابيض المصفر وصفا مسهبا وهو اليوم من الكنوز الثمينة في دار الآثار العراقية ببغداد •

وبحث في المداخل المزورّة او المنعطفة ، وبحث في المدن المدورة في الشرق بشيء كثير من الاسهاب مكنه كل ذلك من دراسة فكرة التدوير عند المنصور والاهمية العسكرية للمداخل المزورّة • وتمكن السيد طاهر العميد من تصحيح الكثير من آراء المستشرقين في الحضارة العربية مما له علاقة ببحثه النفيس المذكور •

على انني اود ان ازيد في توضيح بعض الامور المهمة اتماما للفائدة في امرين اثنين هما :

١ ـ المداخل المزورّة او المنعطفة التي اشار اليها الخطيب وياقوت فانها تظهر واضحة في باب من ابواب بغداد الشرقية لازال قائما وهو باب الظفرية او الباب الوسطاني المتخذ متحفا للاسلحة والذي رسمت له

في هذه المقدمة مخططا وصورة تجدهما في الشكلين (١ و ٢) . وقد كان لهذا الطراز من المداخل اهمية عسكرية بالغة وظاهرة معمارية جديدة تدل على الابداع والابتكار .

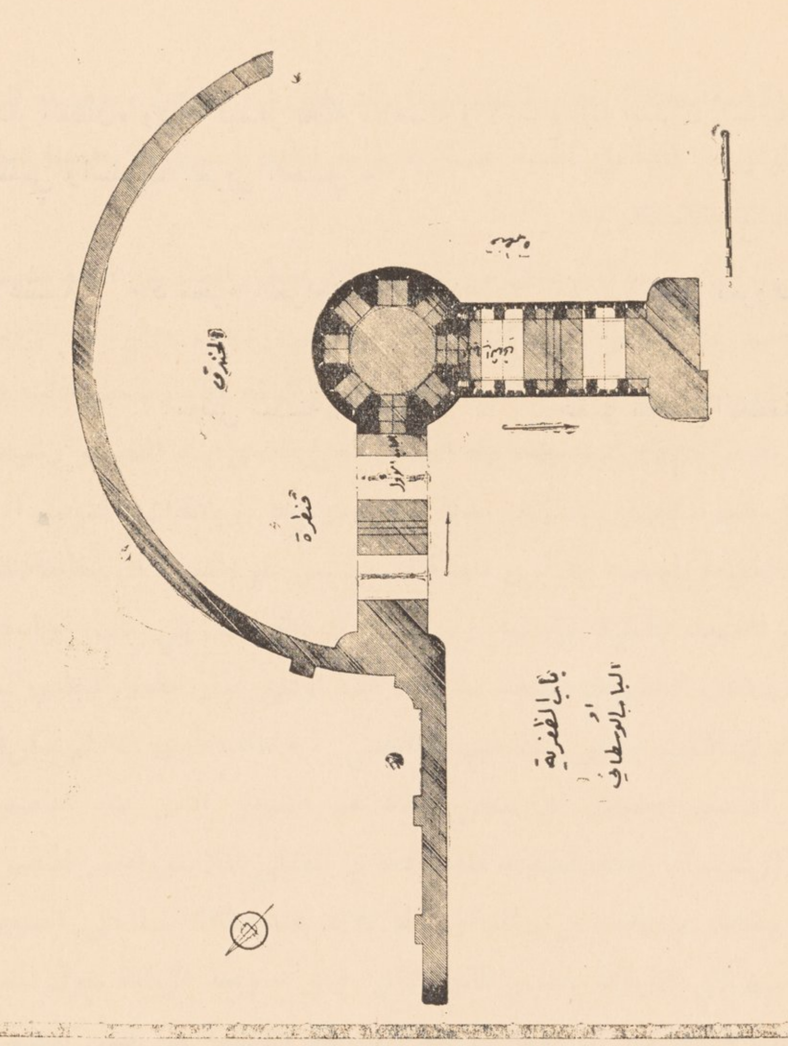
٢ ـ ان توسيع المسجدفيزمن المعتضدكان فيما اراهمما يلي القصربحيث اقتطع قسم يقدر بنحو اربعين الف ذراع من قصر الذهب .ولم تكن الزيادة مما يلي باب خراسان وانما كانت مما يلي باب الكوفة وقد وضحت ذلك في المخطط المرقم (٣)فالرشيد جدد بناء الجامع العتيق الذي بناه المنصور وشيده بمواد جديدةواستعمل فيه الآجر بدلا من اللبن .اما الزيادةالتي اضيفت اليه في زمن الخليفة المعتضد فلا أرى انها كانت تشتمل على صحن ثان لمخالفةذلك لتخطيط المسجد وفكرة توسيعه ولو كانت الزيادة مما يلي باب خراسان لكان الصحنان اللذان في مسجد مدينة « فسا »على غرار جامع المنصوركما جاء ذلك في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي . ولذلك أرى انه لم يكن في مسجد المنصور صحنان بل صحن واحد هو الصحن الذي بناه المنصور وجدده الرشيد اما زيادة المعتضد فقد زادها في المصلى الملاصق لقصر المنصور وكانت بمقدار سبعة عشر رواقا او طاقا ثلاثة عشر طاقا منها الى الصحن واربعة منها الى الاروقة باعتبار طاقين لكل رواق . وبعد الزيادة حول المنبر والمقصورة والمحراب الى قبلة الزيادة الجديدة المقتطعة من قصر المنصور واصبحت مساحة المصلى ضعف ماكانت عليه في زمن الرشيد والمنصور وكان ذلك هو الغاية المطلوبة من الزيادة بعد ان ضاق المسجد بالمصلين .

لقد زود السيد طاهر العميد رسالتهبعدد من التصاوير والمخططات اكثرها منقول عن الغير وكنت ارجو ان يعنى بعمل المخططات بنفسه مستندا الى اوصافها التي جاءتفي المراجع العربيةكمافعل المستشرقون : لسترنج وهرتسفلد وكريسول ولا يكتفي بالمخططين اللذين عملها للابواب المزورة ولجامع المنصور

ودار القطان. وذلك ليمتاز بحثه بالاصالة والابداع كما امتازت رسالته بطابعها العلمي واسلوبها العربي الجميل .

الاعظمية ٥ محرم الحرام سنة ١٣٨٧ ناجي معروف

مايس سنة ١٩٦٧ عضو مجلس الخدمة العامة

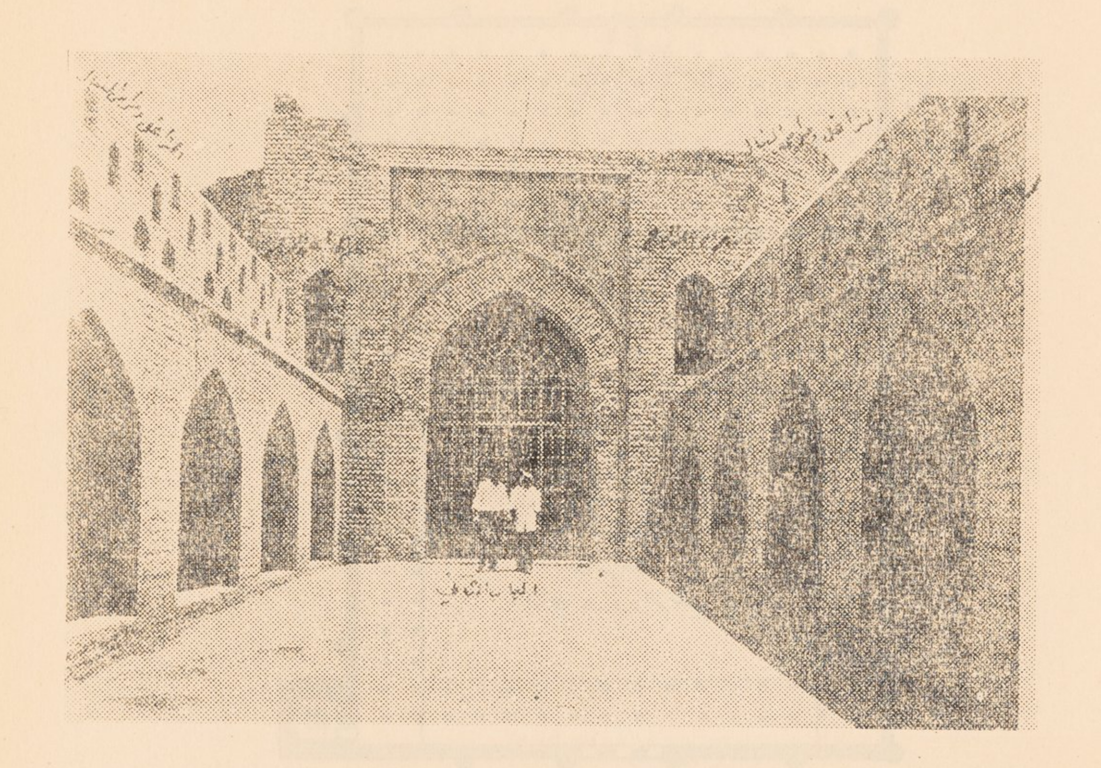


الشكل ـ ١ ـ

مقطع لباب الظفرية او ((الباب الوسطاني)) بالجانب الشرقي من بغداد .

ويتكون باب الظفرية من برج أسطواني ضخم من حوله خندق كان يجري فيه الماء من الخندق الذي كان يحيط بأسوار الجانب الشرقي . ويشاهد فى البرج الاسطواني بابان مزوران اي منعطفان الاول بين البرج والسور الخارج المحيط بالخندق يوصل اليه من فوق قنطرة ذات عقدين مبنيين بالآجر . والباب الثاني يفضي من البرج الى المدينة على قنطرة كالجسر تتكون من عقدين مبنيين بالآجر . وقد أقيم على جانبي القنطرة جداران عاليان يشاهد فى اعلاهما المزاغل ومرامى النشاب لرمي النبال على العدو اذا حاول اقتحام الباب الاول . وفى هذه الحالة تكون جوانب الاعداء اليمنى مكشوفة فتصيبها النبال .

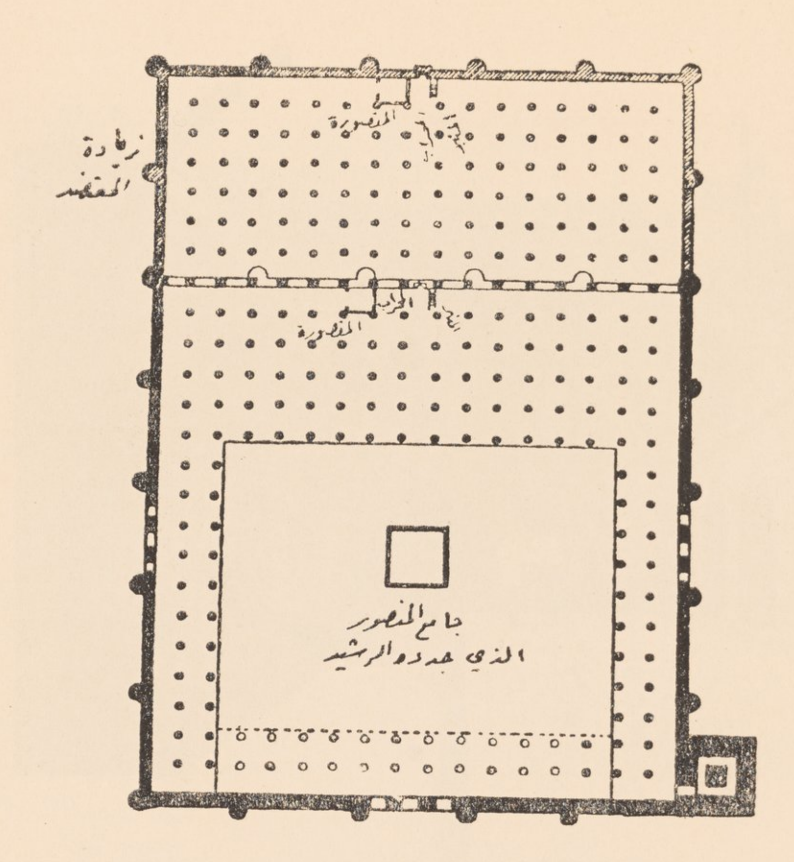
١٥ م



الشكل – ٢ –

منظر لباب الظفرية او الباب الوسطاني بعد ترميمه . وتمثل الصورة الباب الذي يفضي من البرج الى المدينة . وعلى جانبي المدخل جداران عاليان يقومان على قنطرة ذات عقدين يجري الماء فيهما حول برج المدخل وفي أعلى الجدارين طريقان لوقوف الرماة والنشابين لرمي النشاب من المزاغل والمرامي التي تشاهد في أعلى الجدارين كما يشاهد مثل تلك المزاغل والمرامي فوق قبة البرج التي على المدخل .

ومن هذين البابين المزورين او المنعطفين تتضح فكرة المداخل المزورة بالمدينة المدورة التي أشار اليها الخطيب البغدادي وياقوت الحموي .



الشكل ــ ٣ ــ

جامع المنصور بالمدينة المدورة

١ ــ بناه ابو جعفر المنصور ١٤٥ قبالة باب خراسان بلصق قصره وجعل مساحته ٢٠٠ ذراع × ٢٠٠ ذراع أي ٤٠٫٠٠٠ ذراع مربع .

٢ ــ أعاد الرشيد بناءه بالآجر والجص بين سنتي ١٩٢ ــ ١٩٣ هـ على مخططه الاول وكتب عليه اسمه وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتاريخ ذلـك .

٣ ــ زيد فيه فى خلافة المعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) بما يناهز مساحته الاولى من قصر المنصور . وظل مسجد المنصور يعرف بالصحن العتيق وفتح بينه وبين زيادة المعتضد ١٧ طاقا ثلاثة عشر طاقا منها الى الصحن واربعة منها الى الاروقة باعتبار طاقين لكل رواق . وبعد الزيادة حول المنبر والمقصورة والمحراب الذي بينهما الى قبلة الزيادة الجديدة المقتطعة من قصر المنصور .

بغـــداد
مدينة المنصور المدورة

ساعدت جامعة بغداد على نشره



تأليـــف

طاهر مظفر العميد

رسالة مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير بالاثار الاسلامية

من منشورات المكتبة الاهلية في بغداد
لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري

١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧
١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م

تقدير واعتراف

يسرني ان اوجه أطيب التقدير لرئاسة قسم الاثار والحضارة بكلية الآداب في جامعة بغداد ، التي اتاحت لي فرصة طيبة في المشاركة بالبحث والدراسة في قسم الماجستير ، كما واشكر لها ثقتها في ترشيحي لكتابة الرسالة .

وينبغي لي أن اسجل هنا بالشكر والعرفان لكل من أتصلت به من الاساتذة والباحثين .

وأوجه شكري وتقديري العظيمين الى استاذنا الفاضل الاستاذ ناجي معروف الذي أشرف على الرسالة ، وبذل من وقته وجهده مساعدة لا انساها قط ، فانه لم يكن بالنسبة لي استاذا مشرفا فحسب ، وانما كان بمثابة الموجه والمرشد والناصح بصبره وجلده وتدقيقه .

وأسجل بمزيد من التقدير جميع الذين اتصلت بهم من الاساتذة والباحثين الافاضل ، الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور صالح احمد العلي والدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور احمد سوسة والاستاذ كوركيس عواد ..

كما ويسعدني ان أذكر شاكرا المساعدة الطيبة التي بذلها لي كل من موظفات وموظفي مكتبة دائرة التاريخ والاثار في معهد الدراسات الاسلامية العليا ، وموظفات وموظفي مكتبة كلية الآداب ، وموظفات وموظفي مكتبة المتحف العراقي ، وموظفي مكتبة الجامعة المركزية ، وموظفي مكتبة المجمع العلمي العراقي ، والاخ السيد عبدالله الجبوري ملاحظ مكتبة الاوقاف والاخ أسامة النقشبندي ملاحظ المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي .

كما وأشكر للأخ السيد محمد الحانوتي تفضله بالمساعدة في ترجمة بعض النصوص الاجنبية وللأخ السيد جميل نجيب الحبيب تفضله في رسم بعض المخططات المرفقة بهذه الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه وازواجه .

أن تأريخ العمارة العربية الاسلامية حافل بالكثير من النماذج الطيبة من العمائر الدينية والمدنية والعسكرية . فلقد شهدت الجزيرة العربية وبعض المناطق في سورية والعراق ، قيام المـدن والمنشآت والعمائر المختلفة قبل الاسلام وبعده ، وحينما وجد العرب الفاتحون انهم في حاجة ماسة الى انشاء المدن والقواعد العسكرية لسكنى الجنود المقاتلين وعوائلهم ، ومن هنا بدأت حركة تمصير المدن وانشاء المراكز العسكرية .

وفي الفترة التي حكم فيها بنو أمية ، توسعت هذه الحركة ، وتعددت أسبابها ، فلم تعد المدن المنشأة تخدم الاغراض العسكرية فحسب ، وانما أستجدت مطالب جديدة ، فرضتها على الخلفاء الامويين ، الحياة المتطورة النامية ، وعظمة الدولة ، بما فيها من أبهة وسطوة ، فأنبثقت عمائر ومدن في غاية الروعة والضخامة ، وحينما أخذ العباسيون زمام الحكم ، كان اتخاذ عاصمة للدولة الناشئة من الامور الواجبة ،فلم تمض أكثر من ثلاث عشرة سنة على قيام الدولة العباسية ، حتى باشر الخليفة المنصور بناء مدينته المدورة . ومدينة أبي جعفر المنصور المدورة ، بما فيها من مبان وعمائر ، وأسوار ورحبات تمثل ولا شك ، الاساليب الفنية الاموية ، والطرز المعمارية التي ترعرعت على أيدي الامويين ، ثم ورثها العباسيون عنهم .

وفي وسعنا أن نعتبر ، ما جاء في مدينة المنصور المدورة ، من مظاهر معمارية وأساليب فنية ، سواء اكانت بعض هذه المظاهر متطورة عن نماذج وأصول سابقة لعهد بناء المدينة المدورة ،أم كانت مستنبطة من فكرهم الصميم، بداية للفن العباسي الاسلامي ، الذي نما وأزدهر في بقعة كبيرة من العالم الاسلامي ، وعلى أمتداد فترة طويلة من الزمن .

ولقد نجح العمال المسلمون من فنانين وبنائين ومهندسين في القيام بكل ماطلب منهم تنفيذه ، على وجه من الدقة والحرص ، فجاءت المدينة المدورة نموذجا طيبا للفن المعماري العربي الاسلامي ، ولئن اندثرت معالم المدينة من مدة طويلة ، فان صفحات التاريخ سجلت لنا ملامح ذلك الفن ، وابرزت لنا بعض ما كان فيها من مظاهر هندسية ، لا نملك معها إلا ان نكبر تلك الايدي العاملة المسلمة التي خططت ونفذت ، ثم اضفت على ذلك التخطيط فقه العمل وروح العلم ومسحة الجمال .

ولئن لم يول المؤرخون المسلمون ، بناء مدينة المنصور المدورة الاهتمام الكبير الذي تستحقه ، ولئن فعل المؤرخون الاقدمون ذلك ، فان بعض الباحثين المحدثين ؛ من علماء الاثار قد تناولوا المظاهر المعمارية الهندسية فيها ، وأرجعوها الى اصول أقدم من عهد بنائها ، وكأنهم يريدون ان يقولوا أن هذه المظاهر مستعارة او منقولة ، عن تلك النماذج التي تسبق فترة قيام الدولة العباسية ، بل وترتقي الى عهود سابقة للاسلام .

ومن هنا ، كان لابد ان تبحث المدينة المدورة ، من جانبها المعماري والهندسي بحثا جديدا ، على ان بحث هذا الجانب ، تلزم بالضرورة ، بحث تاريخ العمارة الاسلامية على ضوء ما توافر لدينا من النصوص التي تتناول تأريخ العمارة الاسلامية ، في الشام والعراق ، دون التوسع فيها الى أقاليم واسعة من العالم الاسلامي ؛ على اعتبار ان الاساليب الفنية التي قامت في

العهد العباسي ، هي تجميع للطرز الفنية التي ابتكرها العباسيون مضافا اليها ما ورثوه عن الامويين •

وان كان البحث في فن اختطاط المدن الاسلامية ، لم يزل وليدا ، يحتاج الى توسع ودراسة وتتبع ؛ فقد اخذنا على عاتقنا ، مناقشة آراء المؤرخين وعلماء الآثار ، في أمر هذا الفن ، ثم انتهينا بما أوردناه من نصوص تاريخية ، وشواهد أثرية ماثلة ، الى ان العرب قد عرفوا هذا الفن في الفترة التي سبقت الاسلام ، ثم تمرسوا عليه أكثر ، تبعا للحاجة التي استجدت عند مجيء الاسلام ؛ حتى استوى هذا الفن ونضج في العهد الاموي ؛ وارتفع هذا النضج الى مستوى التكامل في العقد الثاني من قيام الدولة العباسية، فجاءت بغداد ، مدينة المنصور المدورة ، مثلا طيبا لهذا التكامل الفني •

ومن الباحثين من كتب عن المدينة المدورة ، المستشرق البريطاني لسترانج تناول الكلام عن المدينة المدورة في كتابه « بغداد في عهد الخلافة العباسية » • وكذلك العالم الآثاري الالماني هرتسفيلد ، الذي زار العراق ونقب في مدينة سامراء ونشر كتابه مع ساره « بعثة أثرية » الذي تناولا فيه البحث عن بناء مدينة المنصور المدورة • وكذلك كتب البروفسور كريزويل العالم الآثاري البريطاني عن هذه المدينة في كتابه « العمارة الاسلامية » في الجزء الثاني وتطرق فيما كتب الى المظاهر الهندسية والمعمارية ، وقد ناقشنا هذين العالمين عند بحثنا في أمر تلك المظاهر •

ومن الباحثين العرب الذين اهتموا بخطط بغداد ، الدكتور عبد العزيز الدوري حيث كتب بحثا عن « بغداد » في دائرة المعارف الاسلامية ، وكذلك تناول الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة الحديث عن بغداد في كتابهما « دليل خارطة بغداد » •

ومن البحوث الحديثة التي لم تطبع بعد عن بغداد ، بحث للاستاذ ناجي

معروف في كتابه « تخطيط المدن عند العرب » الذي تناول فيه الكلام عن بغداد ، كما وان للدكتور صالح احمد العلي بحث عن خطط بغداد تناول فيه الكلام عن المدينة المدورة .

كما وان كلا من الباحثين ، لسترانج ، وهرتسفيلد ، وستريك والدوري ، وسوسة ، قد وضعوا خرائط للمدينة المدورة .

أما المراجع العربية القديمة ، فان الباحث يدرك لاول وهلة ان ما ورد في هذه المراجع مختصر ، لايتناسب ومكانة المدينة المدورة في عالم السياسة والثقافة والفن . وأهم هذه المراجع ، ما كتبه اليعقوبي في كتابيه «البلدان» و « التاريخ » ففي مؤلفه التاريخ تحدث عن بناء المدينة المدورة بخمسةعشر سطرا ، اما مؤلفه الآخر ، البلدان والذي يعتبر من أقدم ما وصل الينا عن المدينة المدورة ، فانه كتب فيه بشكل اوسع بكثير مما كتبه فيكتابه التاريخ.

أما البلاذري ، صاحب كتاب « فتوح البلدان » فأنه أفرد لبحثه عن مدينة السلام خمس صفحات تناول في الصفحتين الاوليين منها عن بغداد .

وأما المسعودي فيمروج الذهب ، فقدروى عنبناء بغداد رواية واحدة عن ابن عياش المنتوف . ثم يقول بأنه اتى على خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لها وتسميتها وخبر القبة الخضراء وخبر خضراء الحجاج بواسط ، كل ذلك قاله في كتابه الاوسط ، ومن المعروف ان كتابه هذا لم يصلنا .

أما الطبري ، فقد كتب عن المدينة المدورة بحثا طيبا ، ويعتبر بحثه اوسع من بحثي اليعقوبي والبلاذري .

ويعتبر « تاريخ بغداد » لأبي بكر الخطيب من أهم المصادر التيبحثت عن بناء المدينة المدورة وخططها وانهارها ولقد اعتمدناعليه كثيرا في بحثنا هذا.

أما ياقوت في«معجم البلدان» ،فرواياته عن المدينة المدورة منقولة عن المراجع السابقة له ، وقد افادنا كثيرا في شرح اسماء الامكنة والانهار

والمحلات وغيرها .

ويعتبر كتاب « مناقب بغداد » المنسوب خطأ لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ آخر هذه المراجع الاساسية المهمة ، وهذا الكتاب هو مختصر لتاريخ بغداد للخطيب الذي أشرنا اليه قبل قليل .

وسوف يحيط الباحث في الابواب والفصول الآتية صفحة واضحة عن مدينة بغداد المدورة من كافة الوجوه الفنية والعسكرية والمعمارية والاقتصادية وقد قسمنا البحث الى — ٧ — ابواب وجعلنا في كل باب عددا من الفصول تتناسب وأهمية البحث كما اننا زودنا الكتاب بخرائط ومخططات منها ما أقتبسناه من مصادر مختلفة ومنها ما وضعناه .

موجز الرسالة

يعتبر قيام الدولة العباسية مولد طراز جديد في تاريخ الفن الاسلامي أطلق عليه الباحثون اسم « الطراز العباسي » الذي قام على اكتاف الطراز الاموي ، ولقد بالغ علماء الآثار في تأثير الفنون البيزنطية والساسانية وغيرها في الطرازين الاموي والعباسي ، حتى يخيل للباحث وهو يقرأ بحوثهم ان الطرز الاسلامية الفنية ما هي الا أساليب منقولة عن الاساليب السابقة لها دون ان يحس بوجود فن عربي اسلامي متميز ، ولقد تسنى لبعض المشتغلين بالآثار والعمارة الاسلامية الرد عليها وتفنيد آرائهم .

وكان حريا بنا ان نناقش مثل تلك الآراء ، مسترشدين بالبحوث والنتائج التي أشار اليها الكتاب الذين عنوا عناية عظيمة بالآثار العربية في اليمن والعراق والشام وغيرها من الاقطار لنوضح ان العرب قد مارسوا فن البناء والعمارة قبل الاسلام ، ففي الجزيرة العربية مثلا اقام العرب مدنا وحصونا وقصورا كثيرة أشار اليها المؤرخون الاقدمون وأيدها الرحالون أمثال آرنو وهالفي وكلازر . ولعل الدراسات الأثرية في المستقبل ستكشف الكثير من نواحي فن العمارة لدى العرب قبل الاسلام وحينما جاء الاسلام ، مصّر المسلمون مدينتي الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

أما في العهد الاموي ، فقد أختار الامويون دمشق عاصمة لهم ثم دعتهم الحاجة بعد ان توطدت اركان دولتهم الى اقامة بعض القواعد العسكرية

في العراق وشمال أفريقية ، مثل القيروان في تونس وواسط في العراق وغيرهما • وبالاضافة الى هذه المدن ، انشأ الامويون عمائر دينية ومدنية كثيرة • وكان تنفيذ جميع تلك المدن والعمائر بتوجيه من الخلفاء والولاة وبمشاركة العمال والمهنيين من المسلمين وغيرهم من السكان المحليين ، فامتزجت بذلك الاساليب المعمارية السورية المحلية بما كان لدى العرب من خبرة ومن هذا الامتزاج نشأ الاسلوب المعماري الاموي فصار أسلوبا جديدا عما كان سائدا في الشام قبل الفتح الاسلامي •

وبعد قيام الدولة العباسية شرع المنصور ببناء المدينة المدورة ، تلك التي اعتبر تخطيطها بحق مفخرة من مفاخر العرب والمسلمين في ميدان العمارة والهندسة والتخطيط •

ويعتبر موضع بغداد — في الفترة التي سبقت عهد البناء — موقعا مهما فيه الكثير من الانهار والقنوات حيث قامت عليه العديد من القرى والاديرة •

وكان نهر رفيل أهم انهار منطقة بغداد الغربية ، يأخذ مياهه من الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وعند المحول ينقسم الى قسمين ، يصب اولهما في دجلة عند الموضع الذي انشأ فيه عيسى بن علي قصره ويصب الثاني في جنوب بغداد • وفي العهد العباسي سمي هذا النهر بأسم « نهر عيسى » نسبة الى عيسى بن علي عم المنصور ، ونهر الصراة الذي يأخذ مياهه من نهر عيسى فوق قرية المحول ويصب في دجلة اسفل قصر الخلد بشيء يسير • ونهر ثالث مهم ، هو نهر كرخايا ، الذي يحمل مياهه من نهر عيسى أسفل المحول ، وكان يتفرع من يساره اربعة فروع هي نهر رزين ، البزازين ، الدجاج ، والقلائين ، ويتفرع من يمينه نهر واحد هو نهر الكلاب ، وهناك نهر آخر تصل مياهه الى أرض بغداد الغربية هو نهر دجيل • الذي يستقي مياهه من الضفة اليمنى لنهر دجلة بين تكريت وبغداد ، ويتفرع الى فرعين رئيسين

احدهما نهر بطاطيا الذي كانت له ثلاثة فروع تسقى طسوج قطربل وتعبر فوق الخندق الطاهري .

أما أهم قرى طسوج قطربل في منطقة بغداد فهي الخطابية والشرفانية والوردانية وسونايا ، وأهم قرى طسوج بادوريا هي قرية براثا وقرية الكرخ ورستاق الفروسيج الذي يشتمل على ثلاث قرى وهي سال وورثالا وبناورا وقرية قطفتا . وموضع يدعى بـ (سوق بغداد) وقصر سابور .

ومن الاديرة في منطقة بغداد ، دير مارفثيون وعمر صليبا وديرالجاثليق ودير مديان . وأتخذ العباسيون قبل بغداد . عدة مراكز وهي ، الكوفة والهاشمية وقصر ابن هبيرة والانبار .

أما اسباب بناء بغداد ، فتؤكد الروايات العربية ، ان المنصور كره سكنى الهاشمية بعد ثورة الراوندية وأفساد اهل الكوفة لجنده ، وفي رأينا ان هذه الثورة كانت سببا مهما لانتقال المنصور ، وحسبنا دليلا ما رواه الطبري ان المنصور قال « اخطأت ثلاث خطيـآت وقاني الله شرها ... وخرجت يوم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعا » .

وحينما عزم المنصور على بناء مدينة له ، خرج بنفسه باحثا عن مكان صالح للعاصمة ويصف المؤرخون المسلمون ذلك بأسهاب اخص منهم الطبري في تاريخه ، ولقد عرف المسلمون منذ فجر الاسلام حتى بناء بغداد بأنهم كانوا يتخيرون مواضع مدنهم ويتفحصون امكنتها تفحصها طوبوغرافيا .

وتفحص موضع بغداد القديم يشير الى ان المكان يمتاز بمزايا عديدة جعلته ملائما للدولة العباسية من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والمناخية والصحية .

يتضح من دراسة النصوص القديمة التي تناولت ذكر اسم بغداد ، ان المؤرخين المسلمين قد اجمعوا ان لفظة بغـداد فارسية الاصل ، غير انهم

اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هذا الاسم • وقد ورد اسم بغداد في وثائق تاريخية وأثرية ترتقي الى عصور قديمة سبقت الميلاد ، منها وثيقة قانونية من عهد حمورابي ، وورد ذكر اقليم بغدادي في حجر من احجار الحدود الكشية كما ورد الاسم في اخبار حرب الملك الاشوري نرارى الثاني • كما ان ثكلات بلاسر الثالث قهر قبيلة في موضع يدعى (بغدادو Bagdadu وقبض سرجون الثاني على زعيم يدعى بكدت •

وقد ظهر في هذا القرن فريق من الباحثين ، يرجح ان يكون أصل كلمة بغداد آرامي واول من قال بهذا يوسف غنيمة ، الذي ادعى ان اسم بغداد مؤلف من كلمتين من (ب) المقتضبة من كلمة (بيت) عند الآراميين ، ومن (كدادا) بمعنى غنم او ضان ، فيكون مفاد بكدادا مدينة او بيت او دار الغنم والضان • ورد عليه توفيق وهبي في بحث له نشر بمجلة المجمع العلمي العراقي أستخلص منه ان اصل كلمة بغداد فارسي وليس بآرامي •

والظاهر ان المنصور لم يرض اطلاق لفظة بغداد على مدينته ، وذلك لأن الناس كانوا يفسرون بغداد بـ(عطية لصنم) او (عطية الشيطان) وكان الفقهاء يكرهون بدورهم هذا الاسم ، لذا فضل المنصور تسميتها (مدينة السلام) • ولا يعرف بالتأكيد لماذا اختار لها هذا الاسم وهناك عدة اسباب وجيهة ، ولم ينتشر اسم مدينة السلام ، وانما ظلت تسمى بغداد ، واقتصر استعمال الاسم الجديد على الوثائق الرسمية والمراسلات والسكة • وسميت بالزوراء أيضا وربما سميت كذلك لازورار القبلة في جامع المنصور ، او لازورار الابواب الداخلية عن الابواب الخارجية منها • أما مساحة المدورة ، فمن الصعب ابداء رأي قاطع فيها ، ذلك لأن الرواة المسلمين اختلفوا في مقاييس المدينة ، وفي ادناه المساحات مستنتجة من المقاييس التي اوردها كل من اليعقوبي في البلدان والخطيب في تاريخ بغداد ، ومساحة المدورة حسب رواية اليعقوبي تكون

(٧٫٩٤٥٫٤٥٧) مترا مربعا ، أي حوالي ثمانية كيلو مترات مربعة على أساس ان المسافة بين باب وآخر خمسة آلاف ذراع .

أما الخطيب فيروي عدة روايات هي :

الرواية الاولى ــ تكون مساحتها ٣٫١٤٢٫٨٥٧ مترا مربعا أي اكثر من ثلاث كيلو مترات مربعة .

الرواية الثانية ــ تكون مساحتها ٥٫٠٨٤٫٩٤٩ مترا مربعاً أي اكثر من خمسة كيلو مترات مربعة .

الرواية الثالثة ــ أعطي فيها قطران مختلفا الطولين .

الرواية الرابعة ــ تكون مساحتها ٧١٤و٩٥٠ مترا مربعا اي اقل من الكيلو متر المربع الواحد .

الرواية الخامسة ــ تكون مساحتها ٢٣٤٠٠٠ مترا مربعا .

الرواية السادسة ــ تكون مساحتها ١٢٫٥٧١٫٤٢٨ مترا مربعا اي اكثر من اثني عشر كيلو مترا مربعا .

وقد قسمت ارباض موضع المدورة عند بدء تخطيطها الى اربعة اقسام اناط المنصور الاشراف على كل ربض منها بثلاثة من الرجال اولهم قائد وثانيهم مولى وثالثهم مهندس . وبالاضافة الى هؤلاء كان الحجاج بن ارطأة وابو حنيفة يشرفان على البناء أختارهما المنصور من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة . ولم يشرع المنصور بالبناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن الوف كثيرة .

ومن المعروف ان المنصور قد أعد المال اللازم لهذا المشروع ، فقد اشترى اراضي المدورة من أصحابها واقطعها أهل بيته وقواده وصحابته وجنده وكتابه ، ونهج الخليفة سبيل الاقتصاد اذ كانت هذه طبيعته ، وليس معنى ذلك انه كان بخيلا ، وانما كان يرى في توفير المال اللازم والحفاظ عليه

ضمانا لما قد يحدث في المستقبل من طوارىء • اما نفقات البناء فقد أورد المؤرخون أرقاما تكاد تكون متقاربة •

ويروي المؤرخون ان المنصور وضع أساس مدينته في وقت اختاره نوبخت المنجم وما شاء الله بن سارية المنجمين ، وقبل ان يشرع العمال بالبناء أحب المنصور ان ينظر الى تخطيطها فأمر ان يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة ثم أمر ان يجعل على تلك الخطوط حب القطن والنفط وراح ينظر اليها وهي تشتعل ثم أمر ان يحفر الاساس على ذلك التخطيط •

ومن أهم العناصر المعمارية في المدينة المدورة ، شكلها الدائري ، ولقد أشارت المصادر العربية الى تدويرها ، فكبر على بعض علماء الآثار ان يروا مثل هذا التخطيط في العمارة الاسلامية فذكر كريزويل ان هرتسفيلد جمع عددا من المعسكرات الاشورية ذات الاسوار الدائرية وقد غاب عليه ، ان تلك المعسكرات كانت تقام على قمم الجبال فتأخذ بطبيعة الحال شكل القمة الدائرية ثم انه ليصعب علينا التصديق بأن بناةبغداد أخذوا أسلوب التخطيط من تلك المعسكرات التي كانت مخفية تحت الانقاض • هذا وقد ذكر كريزويل في كتابه الكبير عشرا من المدن الدائرية او البيضوية ، ثم اضاف في موجزه نموذجين ، ترتقي الى العصور البارثية والبيزنطية والرومانية ونرى اتماما للبحث ان نضيف مثالين وهما (مأرب) و (الكوفة) حيث ذكر آرنو ان مدينة مأرب القديمة كانت مستديرة ، ورسم لها مخططا دائريا ، كما ان بعض النصوص التاريخية تشير الى استدارة الكوفة وبخاصة ماارواه البلاذري وياقوت وابو الفدا ، وعليه نرى ان تاريخ تخطيط المدن قبل الاسلام قد عرف الاسلوب الدائري في مأرب ، وظهر بعدئذ في العصر الاسلامي في الكوفة ، تكامل هذا التخطيط بعد ان نضجت قدرات العرب والمسلمين الفنية

في بناء بغداد فجاءت مدينة فريدة اعتبر تخطيطها المستدير من النماذج المهمة في تخطيط المدن التي عرفت في التاريخ .

اما اقسام المدينة المدورة فسنورد وصف ما قسم من أقسامها الاربعة مبتدئين من الخندق حتى مركز المدينة :

الخندق ـ كانت له مسناتان وظيفتهما حماية السور وجدران المدينة من تسرب مياه الخندق اليها .

ويحاذي المسناة السور الخارج والظاهر من روايات المؤرخين ان هذا السور كان أقل سمكا وارتفاعا من السور الثاني الذي يليه ، وله اربعة أبواب ، المسافة بين كل باب وآخر خمسة الآف ذراع حسب ما روى اليعقوبي ولهذه الابواب ظاهرة معمارية فريدة هي أزورار مداخلها كما روى الخطيب « اذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطفه على يساره في دهليز ازج » وهذا الطراز من المداخل يخفي وراءه أسلوبا عسكريا يلاحظ فيه اضطرار الغزاة بعد اقتحامهم البوابة الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم . ولقد كان هذا العنصر المعماري مثارا لمناقشات بين علماء الآثار ، فقد ذكر كريزويل ان المدخل المنحني هذا كان معروفا في التاريخ المصري القديم في كرم الاحمر وشونة الزبيب . ولقد استخلصنا انه لا الحثيون في مدينتهم سنجرلي لم يعرفوا هذا النوع من المداخل المزورة ولا الآشوريون في مدنهم آشور وخورصباد ولا البابليون في بابل قد نظموا بواباتهم كالتنظيم الذي ظهر في المدينة المدورة . ونستطيع القول ان المدخل المزور لم يستعمله الرومان ولا البيزنطيون في شمال افريقية وبهذا تكون أبواب مدينة أبي جعفر المنصور هي أقدم امثلة حقيقية للمدخل المزور ظهر بصورة واضحة .

وكان بين السور الخارج والسور الاعظم مسافة خالية تدعى (الفصيل) وفائدة هذا الفصيل تنحصر في الدفاع عن المدينة ،وقد منع المنصور السكنى

فيه ، ويختلف اليعقوبي عن الخطيب في مقاييس هذا الفصيل •

السور الاعظم — تختلف المصادر العربية في تحديد ابعاده ، ولقد حرص بناة المدورة على جعله بناء قويا وضخما حتى يستوفي شروط الدفاع والاستحكام ، وجعلوا له ابرجة عظاما وكان عند مدخل هذا السور دهليز عليه بابا حديد جليلان عظيمان ، وكان فوق البوابة الرئيسة في هذا السور قبة عظيمة عالية معقودة مذهبة ، وكانت لمداخل هذا السور أبواب حديد عددها ثمانية أبواب في كل مدخل من المداخل الرئيسة بابان •

الفصيل الداخل — وبعد دهليز السور الاعظم يفضي الداخل فيه الى رحبة مربعة ، على يمينها طريق وعلى يسارها طريق ، ويدور هذا الطريق (الفصيل) على جميع الابواب عرضه (٢٥) ذراعا ويفضي بعدئذ من الرحبة الى الطاقات ، وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل ، وعرض الطاقات كما روى الخطيب (١٥) ذراعا ، وطولها من اول الرحبة الى الطاقات الصغرى (١٠٠) ذراع • وتمتد خلف الطاقات من جهتي اليمين واليسار المنطقة السكنية التي تتضمن السكك والدور والشوارع ، وتنقسم هذه المنطقة الى أربعة ارباع ، وكل قسم منها يؤلف ربع دائرة • وهي المنطقة السكنية الوحيدة للناس في المدينة المدورة ، وتقع بين الجدار الضخم للسور الاعظم والجدار المحيط بالمنطقة المركزية ، وأشار اليعقوبي الى اسماء هذه السكك وافاد بأنها تعرف بقواد المنصور ومواليه وبسكان كل سكة •

الطاقات — يبدو من رواية الخطيب ان للمدورة نوعين من الطاقات ، طاقات كبرى وطاقات صغرى طولها مائتا ذراع ، واشار هرتسفيلد ان الطول المعطى من قبل الخطيب يعتبر قياسا قليلا واستنتج كريزويل افتراضين بطريقة قياس الغرف والجدران ان طول الطاقات في الافتراض الاول (٦٥٦) ذراعا وفي الافتراض الثاني (٥٩٨) ذراعا • وقد كانت هذه الطاقات بمثابة أسواق المدورة حتى عام ١٥٧ هـ ، وفيه أمر المنصور تحويلها الى ربض الكرخ •

اما الطاقات الصغرى فتقع كما أشار الخطيب بعد الطاقات الكبرى التي تلي دهليز المدينة ٠

الرحبة العظمى — كان الداخل يفضي الى الرحبة العظمى من دهليز عظيم عليه بابا حديد وتقع الرحبة في وسط المدينة المدورة ونستطيع ان نطلق عليها قلب المدينة ٠ وكان في هذه الرحبة قصر المنصور والمسجد الجامع ودار للحرس وسقيفة كبيرة احداهما لصاحب الشرطة والاخرى لصاحب الحرس ، ومنازل اولاد المنصور الاصاغر والدواوين ٠ وكان المنصور لايسمح لأحد من أتباعه او حاشيته بالدخول الى الرحبة العظمى وهو راكب ٠

قصر باب الذهب :

كان المسلمون قبل بغداد اذا أختطوا مدينة بدأوا بالمسجد الجامع اولا ، اما في المدورة فان المنصور جعل في وسطها قصره ٠ وقصر باب الذهب على هيئة مربع كل ضلع من اضلاعه الاربعة اربعمائة ذراع ، وفي صدره أيوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا ، وكان في مؤخرة الايوان مجلس على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعه عشرون ذراعا ، وفوقه مجلس آخر له نفس الابعاد وفوقه القبة الخضراء ٠ وكان على رأس القبة الخضراء صنم على صورة فارس في يده رمح ، ومن الجدير بالذكر ان نشير الى أن معاوية قد بنى في دار امارته بدمشق قبة خضراء ، كما ان الحجاج في واسط جعل في قصره قبة خضراء ، وليس من المستبعد ان يكون هذا الاسلوب في تشييد القبب الخضر قد انحدر من الاسلوب الاموي المعماري ٠

مسجد المنصور :

يعتبر مسجد المنصور اول مسجد شيد في ارض بغداد ، ويعد تخطيطه نموذجا لتخطيط الجوامع التي بنيت بعدئذ في بغداد ، ومما يؤسف له ان معالم هذا المسجد قد زالت عن الوجود منذ سنين كثيرة ٠

وسوف نصف بصورة موجزة المراحل التي مرت عليه خلال العصور العباسية وتسهيلا للبحث تقسم هذه المراحل الى ثلاث :

١ — المرحلة الاولى — مرحلة التأسيس المرحلة الثانية — مرحلة التجديد — المرحلة الثالثة — مرحلة الزيادة .

المرحلة الاولى — مرحلة التأسيس — حيث تم تنفيذ بناء المسجد في هذه المرحلة على يد الخليفة المنصور في عام ١٤٥ هجرية ، وجعل المنصور المسجد ملاصقا لقصره ، وهو على هيئة مربع متساوي الاضلاع طول كل ضلع من أضلاعه مائتا ذراع . المصلى فيه فسيح يحتوي على خمس سوار (اساكيب) في كل اسكوب منها ستة عشر عمودا من الخشب وكان للمسجد مجنبتان لكل منها رواقان كما كانت له مؤخرة تقع قبالة المصلى وتتألف من رواقين ، وفي وسطه الصحن ، وكان المصلى والمجنبان والمؤخرة تطل على جوانب الصحن الاربعة . كما كانت له منارة نستنتج من رواية الخطيب انها كانت على مقربة من أساطين المصلى . وقد بني في هذه المرحلة باللبن والطين ، اما أعمدته فمن الخشب . اما قبلته فتحتاج الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وقد نشأ هذا الانحراف من جراء بناء المسجد ملاصقا للقصر الذي كان غير مستقيم على القبلة .

المرحلة الثانية — مرحلة التجديد — تبدأ هذه المرحلة في عهد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٢ هـ فقد هدم الرشيد المسجد الاول وأعاد بناءه بالآجر والجص ، على نفس المخطط السابق له ، اي انه بقى مربع الشكل ، طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع . وقد سجل الرشيد تاريخ هذا التجديد في لوحة كتابية تضمنت اسم البناء وتاريخ البناء وكانت هذه الكتابة لاتزال باقية في حدود منتصف القرن الخامس الهجري حيث الف الخطيب كتابه تاريخ بغداد .

المرحلة الثالثة — مرحلة الزيادة — تبدأ هذه المرحلة بعد عودة العاصمة من سامراء الى بغداد سنة ٢٧٩ هـ . في عهد الخليفة المعتمد . ومع فائدة

البحثين اللذين كتبهما كل من هرتسفيلد وكريزويل عن مسجد المنصور ومع تقديرنا الكبير لهما ، نحب ان نشير الى انهما قد اضطربا في أمر هذا المسجد . اما هرتسفيلد فان اضطرابه يظهر واضحا في مشروعه لتخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر فهو في تصميمه له يضعه في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة وهذا مخالف للنصوص التي أوردها الخطيب . وأما اضطراب كريزويل في بحثه للمسجد فانه يؤكد ان اضافة دار القطان ، التي وردت صراحة في رواية الخطيب لم يتم .

ويتلخص تصميم هرتسفيلد للمسجد بان فتح سبعة عشر طاقا في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين ثلاثة عشر منها الى الصحن واربعة الى الاروقة الجانبية يدل على ان المسجد القديم لابد وانه كان يحتوي على ١٧ رواقا من اليسار الى اليمين وان الاروقة الجانبية كانت اربعة في كل جانب رواقان .

ويعلق كريزويل على تصميم هرتسفيلد آخذا عليه ادخال دار القطان في الزيادة ، اما كريزويل فانه يضع المسجد الجديد ملاصقا لجانب القبلة ،ويقول اذا ما فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجدا على مثاله ، ونقلنا المحراب والمنبر الى المسجد الجديد ، فانه لايكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان .

اما التصميم الذي نراه صحيحا وملائما للروايات التاريخية فنحدده بالنقاط التالية .

١ — نرى أن المسجد قد بني ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي في قصر باب الذهب .

٢ — تؤيد ذكر الخطيب باضافة دار القطان الى مسجد المنصور ونرى تجاهل كريزويل أمر هذه الاضافة ادعاء في منتهى الغرابة .

٣ — تمت الزيادة على عهد المعتضد حيث اقتطع من القصر مساحة مقاربة لمساحة مسجد المنصور وضمت الى المسجد وسميت بالصحن الاول بينما سمي

صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الاول سبعة عشر طاقا ٠

أما دار القطان ، فانه يمكننا ان نحدد موضعه مما يستشف من رواية للخطيب امام المسجد أي في واجهة المسجد المقابلة لباب خراسان ٠

مكث مسجد المنصور مكانا يؤدي المسلمون فيه الصلاة من سنة ١٤٥ هـ حتى عام ٧٢٧ هـ وقد وصفه الرحالة الذين زاروا بغداد ، كبنيامين التطيلي في سنة ٥٦٦ هـ — ١١٦٠ م وابن جبير ٠ وتأثر هذا المسجد بحوادث الغرق الكثيرة منها في عام ٦٤٦ هـ و ٦٥٣ هـ وقد تهدم الجامع في الغرق الاخير ٠ ووصفه ابن بطوطة عند زيارته لبغداد في عام ٧٢٧ هـ ، والظاهر انه زال من الوجود بعد زيارة ابن بطوطة بحوالي نصف قرن ٠

ومما يتصل بمسجد المنصور ، محراب جامع الخاصكي ٠ ولقد أثار هذا المحراب بعض المناقشات العلمية بين الباحثين والمتخصصين بالاثار وقد ذكرته مس جرترود بل بقولها « وفي جامع الخاصكي محراب في غاية الجمال مصنوع من قطعة واحدة من الحجر » ويظن هرتسفيلد انه من المحتمل ان يكون هذا المحراب هو محراب مسجد المنصور بالمدينة المدورة ، ويستدل هرتسفيلد من لون رخامه الابيض المصفر ، على انه ربما صنع في دمشق او حلب وذلك لتوفر مثل هذا الرخام بهما وعدم توفره في شمال العراق ٠ ونحن لانعلم ما اذا كان المحراب قد تم صنعه في الشام ثم حمل منها الى بغداد اولا ، والذي نعرفه من دراسة زخارفه الجميلة انها لاتمثل نماذج الفن الاسلامي العراقي ، اذ انها سابقة للفترة التي ازدهر فيها الطراز العباسي ، وعلى وجه التأكيد أنها تشبه أسلوب الزخارف التي ظهرت في الطراز الاموي ٠

« موجز الاطروحة المقدمة لجامعة بغداد بعنوان مدينة المنصور المدورة وضع طاهر مظفر العميد » ٠

الباب الاول

نقد آراء العلماء والباحثين فى العمارة الاسلامية

ان انتقال عاصمة الدولة الاسلامية من الشام الى العراق كان معناه في تاريخ الفن العربي الاسلامي [١] مولد طراز جديد أطلق عليه بعض الباحثين والمتخصصين بدراسة الفنون العربية الاسلامية اسم الطراز العباسي [٢] .

ولعل اعتماد العباسيين على الايرانيين في فجر دولتهم ، ثم وجود بغداد عاصمة الدولة العباسية على مقربة من ايران ، وأزدياد النفوذ الايراني عند تأسيس هذه الدولة ، لعل كل هذا ادى الى التأثر بالاساليب والطرز الساسانية .

ولكن هذا التأثر بالاساليب الساسانية لم يكن كبيرا في ميدان الفنون بصورة عامة ، والفن المعماري بصورة خاصة الى الدرجة التي يبالغ فيها الباحثون ، والتي قد تصل احيانا الى درجة المبالغة فينسبون كل ظاهرة هندسية وكل عمل فني وتخطيط معماري الى الرومان والبيزنطيين والقبط والساسانيين ، ويسلبون بذلك حق العرب في اشادة مبانيهم وتطوير فنونهم .

ومع تقديرنا الكبير للمستشرقين الاوربيين الذين تناولوا الفنون والعمارة والزخرفة ومختلف مجالات الحضارة العربية الاسلامية بالبحث

---

(١) حينما بدأ الغربيون فى دراسة الفنون العربية الاسلامية اطلقوا عليها اسماء كثيرة فقسم منهم اطلق عليها اسم (الفن الشرقي) Saracenic Art وسماها آخرون باسم (الفن الغربي) Moorish Art وسماها البعض الاخر الفن العربي) Arabic Art وذهب فريق آخر من الباحثين الى تسميتها (الفن المحمدي Muhammedan Art واطلق عليها معظمهم اسم (الفن الاسلامي Islamic Art ولا ريب فان اصح جميع هذه التسميات هما (الفن العربي) و (الفن الاسلامي) على اساس ان العرب هم الذين حملوا الاسلام الى الممالك التي فتحوها ، وكان لهم الفضل الأكبر فى اقامة الحضارة الاسلامية . ثم ان الاسلام كان بمثابة حلقة الاتصال بين شعوب تلك الممالك وبين فاتحيها . لذا فاننا نفضل تسمية هذه الفنون بـ (الفنون العربية الاسلامية) .

(٢) فنون الاسلام — الدكتور زكي محمد حسن صفحة ١٣

والتتبع والاستقصاء وزودوا المكتبات العالمية ببحوث كثيرة عن اوجه تلك الحضارة وعرفوا العالم الغربي بها ، فانه لا يسعنا ، ونحن في معرض الحديث عن اراء بعض العلماء والباحثين في العمارة الاسلامية إلا ان نذكر ان قسما كبيرا من بحوث هؤلاء المستشرقين يغلب عليها طابع التحيز لغير العرب والمسلمين وانكار فضل العرب في المساهمة باشادة صرح عمائرهم وتخطيط مدنهم .

وقد عقد الدكتور احمد فكري فصلا كبيرا عن المآخذ على بحوث المستشرقين وكتب في هذا الصدد يقول : « وتسلطت على علماء الآثار المستشرقين نظرية تجريد العرب من كل فضل في عمارتهم وفنونهم[٣] » .

ومن الامثلة التي تؤيد تحيز المستشرقين ، ما رواه كريزويل مؤكدا « ان الذي بنى الكعبة قبل الاسلام بناء حبشي اسمه «باقوم» وان طريقة بنائها نقلت نقلا عن الحبشة[٤] » والمثال الثاني الذي لفت الدكتور احمد فكري النظر اليه هو افتراء كريزويل على المقريزي . فقد ذكر المؤرخ العربي ان « ثلاثة اخوة قدموا من الرها[٥] بنائين بنوا باب زويله وباب النصر وباب الفتوح[٦] » وعندما ترجم كريزويل هذا النص الى اللغة

---

(٣) المدخل ـ الدكتور احمد فكري ص ١٠

(٤) Early Muslim Architecture, Creswell Vol. 1 p. 7

وانظر كتابه المختصر A short account of Early Muslim., p. 3

(٥) الرها ـ قال عنها ياقوت ٨٧٦/٢ بانها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ويقول سميت بالرها نسبة الى الذي استحدثها وهو الرها بن البلندي. وقيل الرها بالرومية «اذاسا» بنيت فى السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك ساوقس وتسمى الان «اورفا» وهو اسم تركي .

(٦) دخل جوهر قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفسطاط فى ١٧ شعبان عام ٣٥٨ هـ وفى مساء هذا اليوم اختط جوهر اساس اسوار القاهرة. وكانت فى تلك الاسوار ثمانية ابواب منها باب النصر وباب الفتوح فى الجهة

الانكليزية اضاف من عنده كلمة مسيحيين فأصبح النص « ثلاثة اخوة مسيحيين(٧) » .

ومثل آخر لتحيز المستشرقين هو ما ادعاه الاب منريك Manrique من آباء الطائفة الاغسطينية ان باني ومخطط الاثر الاسلامي الضخم والمعروف بتاج محل(٨) هو المهندس جيرومينو فيرونيو Geromino Veroneo غير انه ليس هناك من الاسانيد ما يعزز هذا الرأي ، سواء في سجل الحوادث المحلية او فيما دونه كل من الرحالين تافرنييه Tavernier وبورنية Bornier وتيفنو Thevenot في الرحلات التي صنفوها .

هذه امثلة قليلة وواضحة ، من امثلة كثيرة احتوتها مؤلفات وبحوث المستشرقين تؤكد تحيز اولئك العلماء(١٠) » .

الشمالية وباب زويلة فى الجنوب . وقد مرت اسوار القاهرة هذه فى ثلاث مراحل . الاولى التي شيدها جوهر والثانية حيث شيدها الوزير بدر الجمالي فى عام ٤٨٠ هـ — ١٠٨٧ م اما الثالثة فقد كانت على يد صلاح الدين حيث انتدب فى عام ٥٦٩ هـ — ١١٧٦ م بهاءالدين قرقوش الاسدي لعمل السور فبناه بالحجارة كما هو عليه اليوم .

(٧) Muslim Architecture of Egypt, Vol. 1 p. 162

(٨) تاج محل — وهو ضريح ضخم . بناه فى اكره الملك الهندي المغولي المسلم «شاه جهان» ليضم رفات زوجته «آرجمند بانو بيكم» وكلمة تاج محل محرفة عن الاسم الذي كانت تحمله هذه الأميرة وهو « ممتاز محل » وهي ابنة آصف خان وقد تزوج منها شاه جهان سنة ١٦١٢ م وعمرها تسعة عشر سنة . وولدت منه اربعة عشر طفلا ثم توفيت عام ١٦٣١ م على اثر الوضع . فدفنت مؤقتا فى زين آباد وحينما اقام هذا الأثر نقل جثمانها اليه .

(٩) دائرة المعارف الاسلامية . مادة «تاج محل» ٤٥٢/٤ .

(١٠) انظر كتب وبحوث المستشرقين الآتية :

جروترود بل «الاخيضر» G. Beli-Ukhaider, p. 145—147

وقد تسنى لبعض المشتغلين بالآثار والعمارة الاسلامية تفنيدهـا والرد عليها[١١] • والذي اراه ان الذي شجع اولئك المستشرقين على القول بان العرب ، سواء في عهد الجاهلية او الاسلام ، لم يكونوا ذوي دراية بفن العمارة والتخطيط ، ولم يطلعوا على فنون الهندسة والبناء ، هو انفراد اولئك المستشرقين في خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، بالاهتمام بدراسة الآثار والمخلفات والمنشآت العربية الاسلامية ، اذ المعروف ان الرحالين والباحثين الغربيين بدأوا يومئذ زيارة المواقع الاثرية الاسلامية[١٢] • وتنيجة لتلك الزيارات والدراسات صنفوا مؤلفاتهم وكتبوا بحوثهم ، ثم ان جهل الكثيرين منهم بفنون اللغة العربية وبيانها ، وعدم استطاعتهم فهم النصوص اللغوية والدينية ، ادى بهم الى الوقوع في الاخطاء • والذي شجع هؤلاء العلماء على انكار فضل العرب ، هو ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من ان « العرب ايضا اعرق في البدو وابعد عن الصنائع » وان «المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول[١٣] » • والراجح ان ابن خلدون كان يقصد بلفظة «العرب»

كريزويل — « العمارة الاسلامية الاولى » ٦/١

Early Muslim Architecture Vol. I p. 6

كوتيل — «نشأة المأذنة وتاريخها» في مجلة الجمعية الشرقية الامريكية ٣٠/ ١٣٣

Gotheil—The Origin and the history of the Minaret, Vol. 30 p. 133.

(١١) انظر — فنون الاسلام . المرحوم الدكتور زكي محمد حسن صفحة ٣٣ وحضارة العرب — لوبون صفحة ٥٢٣ والمسجد الجامع بالقيروان . الدكتور احمد فكري الصفحات ٣٩ — ٥٠ والمدخل — للدكتور احمد فكري . الصفحات ٨ — ٢٠ .

(١٢) امثال — ماكس فان برشم Max V. Berchem وهرتسلفد Herzfeld والسيدة بل Bell وسارة Sarre وكريزويل Creswell ـوزيل Musil وماسينيون Massignon

(١٣) مقدمة ابن خلدون — المجلد الاول . الفصل الثامن — صفحة ٦٤٥ .

البدو ، ولقد اخذ المستشرقون ظاهر هذه اللفظة ليثبتوا ان العرب كانوا ابعد الناس عن البناء والصناعة ، من غير ان ينتبهوا الى الاستعمال الخاص لها في تاريخ ابن خلدون(١٤) . والظاهر ان هذه الاسباب وتلك التي اشرت اليها ، ساعدت بل وشجعت بعض الباحثين والمستشرقين ان يؤكدوا بان الاقاليم العربية في الجاهلية والاسلام كانت تفتقر الى فن البناء والتخطيط والعمارة .

والواقع اننا لا نقبل مثل هذا الرأي أو نقر احدا عليه ، ولا نستطيع ان نحكم حكما صحيحا ما لم نسترشد بالبحوث والنتائج التي اشار اليها الكتاب الذين عنوا عناية عظيمة ، في القرنين الماضي والحاضر ، بالآثار العربية في اليمن والعراق والشام وشمال افريقية والاندلس وصقلية .

واذا ما عرجنا الى الجزيرة العربية ، نلاحظ ان العرب اقاموا فيها قبل الاسلام مدنا كثيرة لا زالت آثار بعضها ماثلة الى يومنا هذا ، غير ان القسم الكبير منها قد اندثر وعفى عليه الزمن ولم يبق منها سوى بعض الاشارات والاخبار في الكتب والكتابات الاثرية .

وقد جمع الاستاذ ناجي معروف اسماء كثيرة لهذه المدن التي شيدت قبل الاسلام في اقاليم مختلفة من الجزيرة العربية(١٥) .

ومن الامثلة على ذلك تخطيط مأرب ، حيث قام آرنو Arnaud(١٦)

---

(١٤) دراسات عن مقدمة ابن خلدون . الحصري . الصفحات ١٥١–١٦٨ .

(١٥) عروبة المدن الاسلامية . ناجي معروف صفحة ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ .

(١٦) وهو جوزيف توما آرنو Joseph Thomas Arnaud شاب فرنسي صيدلي كان فى خدمة حاكم تركي ارسلته حكومته فى خدمة خاصة الى اليمن فى عام ١٨٤٣م . وزار مأرب فى نفس العام ، وفى طريقه اليها زار خرائب مدينة صرواح وزار سد مأرب ونقل كثيرا من النقوش السبأية التي رآها

بعمل رسم تخطيطي للمدينة القديمة ، وذكر انها كانت مستديرة الشكل وان بها ثمانية ابواب[١٧] .

وبنى اليمنيون مدينة «صنعاء» التي قال عنها ياقوت انه « ليس بجميع اليمن اكبر ولا اكثر مرافق واهلا من صنعاء[١٨] » وقال عنها انه كانت لها « تسعة ابواب لا يدخلها غريب الا باذن[١٩] » ووصفها الهمداني بانها « احدى جنان الارض عند كافة الناس[٢٠] » .

ولقد كان للرحلات العلمية التي قام بها بعض العلماء في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده فضل كبير في اماطة اللثام عن اوجه الحضارة العربية في اليمن ، فأصبح معروفا لدى كل متخصص في الدراسات الشرقية — بعد ان تيسر للعلماء نشر نتائج بحوثهم — ان الجزيرة العربية قد شهدت في اطرافها الجنوبية حضارة رائعة لا يمكن بأي حال من الأحوال انكارها او التغافل عنها .

ففي عام ١٨٦٩ م قام المستشرق هالفي Joeseph Halvey [٢١] برحلة الى اليمن . وقد سبق هالفي واعقبه علماء ورحالة آخرون في فترات مختلفة برحلات الى اليمن ، ولم ينجح من هؤلاء جميعا الا الصيدلي الفرنسي

Nature, Vol. CXI, p. 513, 1937

فكانت اول نقوش هامة تصل الى ايدي العلماء وقد نشر هذه النقوش ومذكراته القنصل الفرنسى فى جدة المسمى فرسنيل Fresnel فى عام ١٨٤٥م .

(١٧) Journal Asiatique, série, VII, Vol. II

وانظر العرب قبل الاسلام — جرجي زيدان صفحة ١٦٢ .

(١٨) معجم البلدان — ياقوت ٣/٤٢١ .

(١٩) نفس المصدر صفحة ٤٢٢ .

(٢٠) الاكليل — الهمداني صفحة ١٩ .

(٢١) هالفي مستشرق فرنسى ارتأت «اكاديمية الفنون الجميلة فى باريس»

آرنو ، الذي جمع نقوشا عديدة في سبأ في عام ١٨٤٣ م والاستاذ كلازر[٢٢] المستشرق النمساوي الذي قام باربع رحلات فيما بين سني ١٨٨٢ و ١٨٩٢ زار فيها سبأ وظفار وجهات اخرى في داخلية اليمن[٢٣] .

وزار اليمن نزيه مؤيد العظم في عام ١٩٣٦ م[٢٤] ، كما قامت في عام ١٩٣٦م بعثة الجامعة المصرية برئاسة الدكتور سليمان حزين ، وكانت مهمتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والجيولوجية[٢٥] .

Académie Inscription at Belles Lettres ارساله فى بعثة الى بلاد اليمن لجمع بعض النقوش المدونة عزمت الاكاديمية اخراجها بعد اهتمام فرنسا بالابحاث العربية الجنوبية فى عام ١٨٦٩م وتدعى هذه المدونة
((Corpus insciptionum Semiticarum))

وتزيا هالفي بزي يهودي جاء من القدس الى اليمن عام ١٨٧٠ م وانتقل فى مختلف جهات اليمن ثم عاد الى بلاده ونشر فى عام ١٨٧٢ مؤلفه عن الرحلة

(٢٢) كلازر — وهو تلميذ المستشرق المشهور د. هـ. موللر قام بين اعوام ١٨٨٢ — ١٨٩٢ بأربع رحلات كبيرة كانت اهمها رحلته الثالثة فى عام ١٨٨٨ م وهي التي تمكن فيها من الوصول الى مأرب ، وقد رأى كلازر — وهو يهودي مثل هالفي — ان يدعي الاسلام ويلبس ملابس العلماء المسلمين ويسمي نفسه باسم الحاج حسين ووصفه الكامل لرحلته الى مأرب لم ينشر فى حياته بل قام بنشره بعد وفاته فى مايو سنة ١٩٠٨م كل من موللر ورودوكاناكيس
Muller und Rodoknakis, Eduard Glasers Reise nach Marib, Vienna 1913.

(٢٣) آثار معين — محمد توفيق صفحة ١ و ٢

(٢٤) واصدر فى نتائج زيارته كتابا سماه «رحلة فى بلاد العرب السعيدة» من مصر الى صنعاء فى جزئين . طبع بالقاهرة عام ١٩٣٨ .

(٢٥) وقد نشر الدكتور حزين بعض ملاحظاته فى مجلة
Nature, Vol. CXI, p. 513, 1937.

وفي عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ م اوفدت جامعة فؤاد الاول الاستاذ محمد توفيق الى اليمن (٢٦) ، وقد تسنى له زيارة منطقة الجوف في هاتين السنتين. وقال عن رحلته تلك « وتمكنت من دراسة سطح هذه المنطقة وخرائبها دراسة جديدة ومستفيضة الى حد ما ، واستعنت على استكمال هذه الدراسة بالصور الفوتوغرافية التي تظهر لاول مرة عن الجوف ، وما فيه من آثار ونقوش وزخارف الى غير ذلك (٢٧) .

وقام الدكتور احمد فخري في عام ١٩٤٧ برحلته الى اليمن ، زار خلالها مناطق صرواح ومأرب وجميع مراكز الحضار المعينية في الجوف وسبأ (٢٨) .

ومع هذا فان هذه الرحلات المتعددة الى منطقة اليمن، لم تفدنا كثيرا في التعرف على فنون العمارة وتخطيط المدن لدى عرب اليمن آنذاك ، اذ المعروف ان غرض الرحلات السابقة التي قام بها المستشرقون في القرن الماضي كان من أجل الحصول على أكبر عدد ممكن من النقوش العربية الجنوبية ، دون الاهتمام كثيرا بالعمائر ، الا ما يأتي عرضا في وصفهم لما يشاهدونه في طريق تجوالهم . ومن مشاهدة الصور الفوتوغرافية (٢٩)

---

(٢٦) كان الغرض من هذا الايفاد هو لدراسة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره وقد ساهمت جامعة فؤاد الاول مع المركز العام لابحاث مقاومة الجراد بلندن .

(٢٧) آثار معين — محمد توفيق . صفحة ٢ .

(٢٨) ونشر الدكتور احمد فخري نتائج زيارته تلك في بضع مقالات علمية وفي كتاب اسمه An Archaeological Journey to Yemen, Cairo 1952 وهذا الكتاب يقع في ثلاثة اجزاء اقتصر ثانيهما على النقوش التي فحصها .

(٢٩) انظر الاشكال من رقم (٤) حتى رقم (٢٣) من كتاب آثار اليمن لمحمد توفيق .

التي أرفقها الاستاذ محمد توفيق ضمن بحثه نستطيع ان نتخيل أية عمائر عظيمة تمثلها هذه الأوابد الباقية كما وتدل « الاطلال الباقية في معين انها كانت مدينة مسورة بسور عال عظيم تهدم اكثره • ولم يبق منه الا ارتفاع جزء بسيط منه عند الباب الغربي وهو نحو مترين ونصف متر ، وجزء آخر عند الباب الشرقي وهذا باق على حاله الاصلي ويبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر مترا ولا تزال ترى به فتحات المزاغل لتصويب السهام والمراقبة »(٣٠) وبالاضافة الى المدن العديدة التي بنيت في اليمن فان الاخباريين العرب ، وعلى وجه الخصوص ، الهمداني صاحب كتاب «الاكليل» اورد اسماء كثيرة للقصور والمحافد(٣١) التي كانت تعج بها اليمن•

فمن هذه القصور قصر غمدان ، الذي وصفه الهمداني بانه « اول قصور اليمن وأعجبها وأبعدها صيتا(٣٢)» وقصر تلغم الذي وصفه الهمداني بقوله انه «من اقدام قصور اليمن (٣٣)» كما روى الهمداني انه في ظفار قصورا منها قصر ذي يزن(٣٤)• ومن محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف ارحب(٣٥)• وهناك حصون مشهورة كثيرة روى المؤرخون العرب بعض اخبارها منها «سلحين» الذي قال عنه ياقوت « بانه حصن عظيم بارض اليمن(٣٦) » وحصن ناعط الذي كان لبعض الاذواء قرب عدن(٣٧) وبينون حصن عظيم

---

(٣٠) نفس المصدر صفحة ٤ و ٥

(٣١) المحافد ـ جمع محفد والمحفد فى اللهجات العربية الجنوبية هو «محفدن» بمعنى البرج والمكان الحصين الذي يحتمى به •

(٣٢) الاكليل ـ الهمداني صفحة ٣

(٣٣) نفس المصدر ـ صفحة ٩٦ •

(٣٤) نفس المصدر ـ صفحة ٢٣ •

(٣٥) نفس المصدر ـ صفحة ١٠٥ •

(٣٦) معجم البلدان ـ ياقوت ١١٥/١ •

(٣٧) نفس المصدر ٧٣١/٤ و ٧٧٦/٣ •

على مقربة من صنعاء[٣٨] وحصن صرواح قرب مأرب[٣٩] وحصن هكر من اعمال ذمار[٤٠] .

واذا ما عرجنا الى شمال الجزيرة العربية ، فهناك الحجر التي تقع الى الجنوب من دومة الجندل وهي كما يقول ياقوت اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام[٤١] . ويقول الاصطخري عنها انها ديار ثمود الذين قال الله فيهم « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد »[٤٢] ويذكر[٤٣] انه رأى تلك الجبال ونحتهم الذي قال الله « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين »[٤٤] وهذه الجبال اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها[٤٥] .

رأينا فيما سبق ان العرب في عصور مختلفة من الفترة التي سبقت الاسلام ، قد اقاموا مدنا في اقاليم مختلفة من اراضيهم ، أوردنا اسماء بعضها ، ثم ذكرنا اسماء قليلة من قصور ومحافد اليمن . والذي اوردناه يثبت بصورة قطعية لا جدال فيها ان العرب كانوا على علم باصول فن البناء واساليب الهندسة والعمارة ، ويثبت ايضا بطلان الاقوال التي تدعي ان الاراضى العربية كانت فراغا معماريا[٤٦] ، وقد اعتمدنا في اثبات ما

---

(٣٨) نفس المصدر ١/٨٠١ .

(٣٩) نفس المصدر ٣/٣٨٣ .

(٤٠) نفس المصدر ٤/٩٧٩ .

(٤١) معجم البلدان — ياقوت ٢/٢٠٨ .

(٤٢) القرآن الكريم — سورة الفجر . آية ٩ .

(٤٣) مسالك الممالك — الاصطخري صفحة ١٩ .

(٤٤) القرآن الكريم — سورة الشعراء آية ٢٤٩ .

(٤٥) معجم البلدان — ياقوت ٢/٢٠٨ .

(٤٦) A short account of Early Muslim Architecure, Creswell,

ذهبنا اليه ، على المدن والعمائر والابنية التي شيدها العرب في الجزيرة العربية ، ومدينة الحجر في شمال الجزيرة هذه ، واسقطنا من الحساب المدن والعمائر وما اقامه العرب من ابنية وقصور في أراضى العراق والشام وغيرهما من الاجزاء العربيـة الاخرى ، وعلى وجـه الخصوص تلك التي شيدها الغساسنة والمناذرة ، وذلك لاننا اعتبرنا الاسلوب المعماري الـذي نما وازدهر في العهود الاسلامية المختلفة كان استمرارا للاسلوب الفني الذي شاهدناه في اليمن وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية ، متمثلا في دول معين وحمير وسبأ وغيرها ، وعلى هذا الأساس ، فاننا نرى ان الجـزيرة العربية كانت مصدرا للالهام استقى المسلمون منها أصـول فن البنـاء والعمارة وان كان المسلمون قد تأثروا ببعض الاساليب المعمارية الفنية المحلية للاقاليم التي فتحوها ، فان هذا التأثير ليس كبيرا الى الدرجة التي يبالغ بها المستشرقون . والذي احب ان أؤكده ، مما له صلة وثيقة بهذا البحث ، هو افتقارنا الى الدراسات والبحـوث التي تتناول فن البنـاء والتخطيط لدى العرب والمسلمين ، فلقد انصب اهتمام الباحثين من علماء الآثار والفنون في نواح أخرى من مظاهر الحضارة الفنية الاسلامية ، مثل التصوير الاسلامي ومدارسه ، والزخرفة والخزف والنسيج والخط والابنية الدينية والمدنية . أما أوجه فن بناء المدن والتخطيط والهندسة ، فانه ليس من بين مئات البحوث والمؤلفات التي تناولت تأريخ الحضارة الاسلامية الا كتاب واحد تناول مؤلفه الاشارة الى بناء المدن الاسلامية الاولى في معرض حديثه عن العمارة الاسـلامية[٤٧] ولقد فطـن باتيسيه[٤٨] Patissiée

(٤٧) Early Muslim Architecture, 2 Vols.

(٤٨) صاحب كتاب «تاريخ فن البناء» قال عنه لوبون بانه مؤرخ لتأريخ من احسن ما لدينا من تواريخ فن البناء .

لهذا النقص فقال « ان مباحث تاريخ العمارة الاسـلامية تحتاج الى توسع كبير[٤٩] ويؤكد لوبون في اثناء حديثه عن الطراز العربي قبل ظهور النبي عليه الصلاة والسلام بأن هذا الطراز لا يزال مجهولا ، خلا ما يستشف من بقايا مباني اليمن القديمة ، ومن بقايا المبـاني التي اقيمت في الممالك العربية السورية القديمة[٥٠] .

واملنا كبير ان يجتذب هذا الفراغ من تراثنا في فن البناء والعمارة ، المعنيين والمتخصصين فينصرفوا اليه ويولوه عناية خاصة في البحث والتنقيب والدراسة والمقارنة حتى تتكشف للعيان معميات وغوامض كنوز فن البناء لدى العرب ، وتتم معرفة الصلة التي تربط بين حضارتي العرب في مجال البناء قبل الاسلام وبعده ، واذ كنا قد بينا بوضـوح ، ان الجـزيرة العربية ، كانت مصدرا للالهام ، استعار المسلمون منها اسلوب البنـاء ، فان ذلك لا يعني مطلقا ، اننا نتنكر لبعض التيارات الفنية المعمارية التي اثرت في اسلوب البناء الاسلامي ، فمن المعروف ان اقاليم سورية ومصر وشمالي افريقية ، كانت تسودها اسـاليب فنية محليـة ، وترعرعت على ايدي الحاكمين فيها آنذاك ، فسورية مثلا ، كان الطراز المعماري الهلنستي والبيزنطي والروماني ، هو الطراز المفضل في كل عمارة وبناء ، ولكننا نقول ان التأثر بتلك الاساليب لم يكن عظيما وكبيرا ، على عكس ما يذهب اليه بعض المستشرقين ، الذين يؤكدون ان مصادر الفن الاسـلامي المعمـاري يتحدر من اصول بيزنطية ورومانية وقبطية وساسانية .

ومن ملاحظة اطـلال المدن السـورية القديمة ، التي شـيدت على الاسلوب البيزنطي والروماني ، نلاحظ بوضوح لا يرقى اليه شك ، ان

---

(٤٩) حضارة العرب — لوبون صفحة ٥٢١ .

(٥٠) نفس المصدر صفحة ٥٤٨ .

طريقة بناء تلك المدن يختلف اختلافا كبيرا عن المدن والعمائر التي اقيمت في ارض الجزيرة العربية ، خلال العصور الجاهلية ، من جهة ، وعن المدن التي شيدت في اقاليم العراق والشام وشمالي افريقية ، في العصور الاسلامية المختلفة من جهة أخرى . وهذا الاختلاف الواضح في التخطيط والتنفيذ والتزيين يبعد الصلة في تشابه هذين الاسلوبين ، ويقرب حتما ، بين الطراز العربي في الجاهلية والطراز العربي في الاسلام .

ففي سورية مثلا ، كانت فيها عمائر ومدن منتشرة في ارجائها ، اقامها الرومان كهدف اقتضته ضرورة التحكم والسيطرة ، كان الطابع المميز لمعظم هذه العمائر والمدن عسكريا . وقد اظهرت التنقيبات والتحريات العلمية التي قام بها علماء الآثار في تلك المواضع العديد من المدن والمباني تنسب الى السلوقيين والرومان والبيزنطيين (٥١) .

وقد توفر علماء الآثار على دراسة هذه العمائر دراسة دقيقة متقنة ، فوصفوا آثارها واماكنها ، امثال سوفاجيه Sauvaget وبرونو Brunnow وزميله فون دوماس زيفسكي البولندي Von Domas Zewski ومارسيل بويت M. Pöete وبير لافدان Pierre Lavedan والظاهر من وصفهم لها، انها بلغت درجة كبيرة من المتانة والجمال، فضلا عن ضخامتها ومتانتها حتى تؤدي الوظيفة التي انشئت من اجلها ، وتستكمل جميع وسائل التحصين والدفاع العسكرية .

ومن مشاهدة آثار المدن والقلاع القائمة اليوم في الشام نستطيع ان نرسم ملامح فن التخطيط الروماني والبيزنطي والسلوقي ، فالمخطط العام للمدينة في العهد السلوقي كان يقام على اسلوب التخطيط المنتظم الذي يشبه رقعة

---

(٥١) مثل انطاكية واللاذقية وافاميا ودور اوريس وحلب ودمشق

الشطرنج (٥٢)، ونستطيع ان نقول في ثقة تامة، ان الفن المعماري العربي الذي ظهرت ملامحه قبل الاسلام في اقاليم الجزيرة العربية كان يختلف اختلافا بينا وواضحا عن الاسلوب المعماري الذي ادخله الرومان والفرس الى سورية والعراق .

والمدن الرومانية المشيدة في سورية كانت تتبع نظاما خاصا، وهو المخطط السلوقي وفيها الساحة العامة ، والاغورا Agora والمسرح المدرج ، وميدان السباق والشارع الرئيس الذي يقطع المدينة من الشرق الى الغرب ويسمى Le Decumenus والآخر يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب ويسمى Le Cardo وكانوا يتخيرون ربوة عالية في وسط المدينة اوعلى طرفها احيانا يبنون عليها المؤسسات الرسمية والقصر والمعبد . . . ولقد كان الشارع الرئيس عريضا على جانبيه رواقان ذوا اعمدة كورنيشية Corinthian Columns عرض كل منها ستة امتار . وفي نقطة التقاطع بين الشارعين الرئيسين كانوا ينشئون قوسا محمولا على عمد سامقة ذوات اربع فتحات تسمى « ترابيل » Tetrapel ويجعل لها اطناف مزينة بالاشخاص وهي ذات موضوع ديني او حربي (٥٣) .

وخلاصة القول ان الخصائص المعمارية لفن العمارة وتخطيط المدن في العهود الهلنستية والرومانية والبيزنطية كان يقوم على الاسراف في العظمة والبذخ ، والاخذ بوسائل الدفاع والتحصين ، والميل الى تجسيد القوة العسكرية بمزيد من الضخامة والابهة .

اما العمائر في العهد الجاهلي ، فلم تكن جميعها تتمتع بخصائص العظمة

وتدمر وسركيسيو وزنوبيا أو حلبتا الحالية .

(٥٢) الفن الهلنستي والروماني في سورية ـ بشير زهدي صفحه ١١ و ١٣ .

(٥٣) آثارنا . . . ـ ابو الفرج العش صفحة ٢٢ .

والضخامة والبذخ ، كما سبق واشرنا ان مباحث فن البناء والعمارة لـدى العرب في الفترة التي سبقت الاسلام ، تحتاج الى دراسات وتنقيبات كثيرة، اذ انه من غير شك ان آثار بعض المدن والقلاع لازالت تحت الانقاض ، ولكن ليس معنى هذا ، انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نصيب من الفنون المعمارية ، كما يحاول ان يلصق بهم بعض المؤرخين التأخر في هذا المضمار ، اذ انه اصبح من الثابت علميا وتأريخيا ، الى درجـة لايمكن اغفالها او معارضتها ، انه كان للعرب حضارة ومدنية تتمثل في المخلفات والآثار التي عثر عليها في اليمن وبعض المدن العربية القديمة الاخرى ، والذي اكتشف في هذه المدن من مبان وعمائر وخزف ونقود ومجار للمياه ، واقنية وخزانات ونقوش كتابية ، كلها تشهد ان بناتها كانوا على درجة من التمدن والحضارة .

وحينما جاء الاسلام ، عاش المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد خلفائه الراشدين حياة بسيطة متواضعة ، بعيدة كل البعد عن البذخ والترف والتأنق ، حيث انشغلوا في صدر الاسلام بالدعوة الى مباديء الدين الجديد ، كان من نتائجها ان التحم المسلمون مع الفرس والروم في معارك ضارية ، انتهت بانتصار المسلمين وخروج الفرس والروم من العراق والشام ومصر ، وفي هذه الحقبة من التاريخ كانت المدينة مدينة الرسول ، عاصمة الدولة الناشئة فيها اقام الرسول وخلفاؤه من بعده ، ومنها انبعثت جحافل المجاهدين عبر الجزيرة نحو الشمال والشرق والغرب .

ولم يكن في المدينة من الخصائص المعمارية ، مايدعو الى تسجيلها ، اللهم الا تخطيط المسجد الجديد الذي شيده الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه ليكون مكانا يؤدي المسلمون فيه فروض عباداتهم ، اما عدا ذلك ، فالمدينة بسيطة متواضعة تعكس بصفاء حياة الجماعة الاسلامية في فجر الاسلام ، التي يغلب عليها طابع الرضى والبساطة والنفور من الابهة والعظمة .

الباب الثاني

نظرة في تخطيط المدن العربية

والضخامة والبذخ ، كما سبق وأشرنا الى مباحث في البناء والعمارة لـدى العرب في الفترة التي سبقت الاسلام ، تحتاج الى دراسات وتنقيبات كثيرة ، اذ انه من غير شك ان آثار بعض المدن والقلاع لا زالت تحت الانقاض ، ولكن ليس معنى هذا ، انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نصيب من الفنون المعمارية ، كما يحاول ان يلصق بهم بعض المؤرخين التأخر في هذا المضمار ، الا انه اصبح من الثابت علميا وتاريخيا ، الى درجة لا يمكن انكارها او معارضتها ، انه كان للعرب حضارة ومدنية تتمثل في المخلفات والآثار التي عثر عليها في اليمن وبعض المدن العربية القديمة الاخرى ، والذي اكتشف في هذه المدن من مبان وحصون وحرف ونقود ومجار المياه ، واقنية وزخارف ونقوش كتابية ، كلها شهود ان ماضيها كان على درجة من التمدن والحضارة .

وحينما جاء الاسلام ، عاش المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد خلفائه الراشدين حياة بسيطة متواضعة ، بعيدة كل البعد عن البذخ والترف والتأنق ، حيث انشغلوا في نشر الاسلام والدعوة الى مبادىء الدين الجديد ، كان من نتائجها ان التحم المسلمون مع الفرس والروم في معارك ضارية ، انتهت بانتصار المسلمين وخروج الفرس والروم من العراق والشام ومصر ، وفي هذه الحقبة من التاريخ كانت المدينة مدينة الرسول عاصمة الدولة الناشئة فيها اقام الرسول وخلفاؤه من بعده ، ومنها انبعثت جحافل المجاهدين من الجزيرة نحو الشمال والشرق والغرب .

ولم يكن في المدينة من المنشآت المعمارية ، ما يدعو الى تسجيلها ، اللهم الا تخطيط المسجد البسيط الذي انشأه الرسول عليه الصلاة والسلام واصحابه ليكون مكانا يؤدي المسلمون فيه فروض عباداتهم ، اما عدا ذلك ، فالمدينة بسيطة متواضعة تعكس بساطة حياة الجماعة الاسلامية في فجر الاسلام ، التي يغلب عليها طابع الزهد والبساطة والتحرر من الابهة والعظمة .

الفصل الاول
تمصير المدن قبل بغداد

وقد دعت الحاجة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى انشاء معسكرات يجتمع فيها المحاربون المسلمون، فمصر الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر .

اما البصرة فتؤكد المصادر العربية انها اول مدينة احدثت في الاسلام[١] وقد وردت روايات متعددة عن تاريخ استحداثها ، ولكن الراجح انها بنيت في سنة (١٤ هـ) ، وقد ذكر الطبري خبر تمصيرها في حوادث هذه السنة فقال « واختطت على نحو من خطط الكوفة[٢] » ويرى البلاذري انه لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة[٣] كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياها انه لابد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم . فكتب اليه ان اجمع اصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفته ، فكتب اليه اني وجدت ارضا كثيرة القصبة في طرف البر الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلما قرأ

---

(١) فتوح البلدان البلاذري الصفحات ٣٤٦ ، ٣٥١ والتنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٣٥٧ و ٣٥٨ . وكتاب المعارف لابن قتيبة صفحة ٢٧٩ و ٢٨٠ .

(٢) الطبري — ٩١/٣ .

(٣) الخريبه — كما جاء فى معجم ياقوت ٤٢٩/٢ — موضع بالبصرة وسميت بذلك فيما ذكر الزجاجي لان المرزبان كان قد ابتنى به قصرا وخرب بعده فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه ابنية وسموها الخريبة .

الكتاب قال « هذه ارض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب » وكتب اليه ان انزلها الناس ، فانزلهم اياها فبنوا مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا من قصب ويقال ان عتبة تولى اختطاط المسجد بيده ، ويقال اختطه محجر ابن الادرع البهزي من سليم ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة حين خط داره ويقال بل اختطه الاسود بن سريع التميمي ، وبنى عتبة دار الامارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فاذا رجعوا اعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك . ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل وبنى ابو موسى الاشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين وسقفها بالعشب وزاد في المسجد وكان الامام اذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم الى القبلة (٤) . وروى البلاذري ايضا « ثم لما استعمل معاوية بن ابي سفيان زيادا على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج وقال لاينبغي للامام ان يتخطى الناس فحول دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد فكان الامام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الامارة يطوف فيها وينظر الى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه اهل البصرة ، اترون خللا ؟ فيقولون مانعلم بناء احكم منه فقال بلى هذه الاساطين التي على كل واحدة منها اربعة عقود لوكانت اغلظ من سائر الاساطين (٥) » .

اما تمصير الكوفة فقد تم في سنة ١٧ هـ كما اورد البلاذري الذي يروي حادث البناء فيقول « لما فرغ سعد بن ابي وقاص من وقعة القادسية وجه الى المدائن فصالح اهل الرومية وبهر سير ثم افتتح المدائن واخذ اسبانبر

---

(٤) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٥) نفس المصدر صفحة ٣٤٢ .

وكرد بنداذ عنوة ، فانزلها جنده فاحتووها فكتب الى سعد ان حولهم فحولهم الى سوق حكمة وبعضهم يقول الى كويفة دون الكوفة . . . فاصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمه ان الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك فكتب اليه عمر ان العرب بمنزلة الابل لايصلحها الا مايصلح الابل فارتد موضعا عدنا [٦] ولا تجعل بيني وبينهم بحرا وولى الاختطاط للناس ابا الهياج الاسدي عمرو بن مالك بن جنادة ، ثم ان المسيح بن بقيلة اتى سعدا وقال له ادلك على ارض انحدرت من الفلاة وارتفعت عن المباق فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال لها سورستان ، فلما انتهى الى موضع مسجدها امر رجلا فغلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم غلا بسهم قبل مهب الشمال واعلم على موقعه ثم غلا بسهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقعة ثم غلا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعة ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام الغالي وما حوله واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولا فله الجانب الايسر وهو خيرهما فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات ، وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة ثم ان المغيرة بن شعبة وسعه وبناه زياد فاحكمه وبنى دار الامارة » [٧] .

---

(٦) عدنا — كما جاء فى معجم متن اللغة ٢٨/٤ عدنا وعدونا بالبلد — اقـام وتوطـن .

(٧) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٢٧٤ و ٢٧٥ وقد كتب الاستاذ ناجي معروف فى — عروبة المدن الاسلامية صفحة ١٣ انه ورد فى البلاذري صفحة ٢٧٥ (علا ، والعالي) وهما خطأ . والصواب ما ذكرناه اعـلاه . وجاء فى القاموس المحيط للفيروز بادي — غلا بالسهم غلوا وغلوا — رفع يديه لاقصى الغاية . وكل مرماة غلوة . والمِغْلَى — سهم يُغلَى به وفى ياقوت ٦/٤ يقـال بينهما غـلوة سـهم .

وحينما انتقلت الخلافة الى الامويين ، لم يتخذ الامويون اية مدينة من المدن الاسلامية المشهورة آنئذ مركزا لدولتهم ، كالمدينة ومكة والكوفة مثلا ، اذ كان يدرك معاوية ، وهو رجل سياسي خبير محنك انه لايمكن الاعتماد على اهل الكوفة ، فهم معروفون بميلهم الى العلويين . اما المدينة ومكة فقد كان فيهما الكثير من اصحاب رسول الله ، عليه الصلاة والسلام، وان اهل هاتين المدينتين كانوا يرون انهم احق بالخلافة من معاوية . لذلك اختار بنو امية دمشق عاصمة لدولتهم ، ولم تمض عليها سنين كثيرة حتى اصبحت حاضرة العالم الاسلامي ومركز توثبه السياسي ، فيها يقيم الخليفة واتباعه،وبين سهولها واغواطها سطر العرب المسلمون حضارة ضخمة اشتملت على الكثير من نواحي الحياة الروحية منها والمادية .

ولعل اهم ماشغل الامويين خلال سني حكمهم الفتوح الكثيرة في شرق العالم وغربه ، تسنى لهم خلالها السيطرة على معظم بقاع العالم المعروف آنذاك تحت امرة قادة افذاذ ، امثال المهلب بن ابي صفرة ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، ومسلمة بن عبد الملك ، وموسى بن نصير وطارق بن زياد ، وقد تكللت جميع حروبهم بالنصر في مناطق قريبة ونائية ، كخراسان والسند والهند شرقا وشمال افريقية وشبه جزيرة ايبريا غربا .

وحينما توطدت اركان الدولة الاموية وقويت مراكزهم العسكرية في العراق والحجاز ومصر وبقية الامصار الاخرى التي تدين لهم بالطاعة والولاء رأى خلفاء بني امية والولاة الموفدون من قبلهم ، ان دواعي الحياة الجديدة واساليب الدفاع والهجوم الحربية تتطلب منهم بناء المدن والقواعد والحصون وتتيجة لهذه المطالب الملحة ، بنى الامويون مدنا عسكرية ، مثل القيروان في تونس وواسط في العراق وغيرهما من المدن الكثيرة،ومن الطبيعي ان الغرض من بناء هاتين المدينتين الكبيرتين كان واضحا ومعروفا ، وذلك لاتخاذهما

مراكز عسـكرية مهمة تحفظ سيطرة الامويين في العراق وشمال افريقيـة وفارس وجعلهما منطقتي تجمع القوات الاسلامية المقاتلة وايفادها اذا دعت الضرورة الى المناطق والاقاليم المتاخمة لهما في الشرق والغرب .

وقد احصيت المدن التي بناها الامويون من الفترة التي حكم فيها معاوية ابن ابي سفيان حتى نهاية حكم مروان بن محمد ، فبلغت اكثر من عشرين مدينة (٨) .

اما واسط فقد احـدثها الحجاج كما روى البلاذري في سنـة ثلاث وثمانين (٩) ، وذهب اليعقوبي الى ان الحجاج بنى مدينة واسط في السنة التي هرب فيها ابن الاشعث ، ويذكر هروبه في عام ٨٣ (١٠) ويشير الطبري الى بنائها في حوادث عام ٨٣ هـ (١١) . اما ياقوت فانه يذكر بان الحجاج شرع في عمارتها في سنة ٨٤ وفرغ منها في سنة ٨٦ (١٢) . ويخالف بحشل (١٣) جميع هؤلاء المؤرخين فيذكر انها أسست عام ٧٥ هـ .

وكانت واسط كما يروي البلاذري ارض قصب فسميت واسـط (١٤) القصب ، وبينها وبين الاهواز والبصرة والكوفة مقدار واحد .

---

(٨) عروبة المدن الاسلامية — ناجي معروف الصفحات ٤٩ — ٥٣ .

(٩) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٢٨٨ .

(١٠) تاريخ اليعقوبي — ٢/٣٣٣ .

(١١) الطبري — ٥/١٨٤ حوادث سنة ٨٣ هـ .

(١٢) معجم البلدان — ياقوت ٤/٨٨٣ .

(١٣) بحشل — هو اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المتوفى فى حدود سنة ٢٨٨ هـ .

(١٤) واسط — وهو مخطوط فى المكتبة التيمورية فى دار الكتب العصرية ونسخته .

وبالاضافة الى المدن العديدة التي بنيت ، انشأ الامويون عمائر دينية ومدنية تتمثل اهم العمائر الدينية بقبة الصخرة ، التي شيدها عبدالملك بن مروان وقد تم بناؤها في عام «٧٢ هـ — ٦٩٠ م» ولسنا في معرض وصف عمارة قبة الصخرة وما هي عليه من ضخامة وروعة ورشاقة ، فان هذا مبسط في مصادر اثرية[١٥] . الا اننا نكتفي بذكر ما اورده مجيرالدين العليمي ، بان عبدالملك بن مروان انفق على بناء هذا الاثر خراج مصر لمدة سبع سنوات[١٦] . ثم المسجد الجامع بدمشق الذي شيده الوليدبن عبدالملك في عام ٨٨ للهجرة[١٧] .

اما العمائر المدنية ، فقد اقبل الامويون على بنائها ومعظم هـــذه العمائر قد انشأ في بادية شرقي الاردن ، بيد ان غالبية هذه المبـــاني تكاد تكون اليوم خرابا ، ولم يبق منها الا الاطلال منتشرة هنا وهناك ، ونستطيع ان نستثني من جميع تلك العمائر ، قصير عمرة ، وقصر المشتى ، فان ما بقي من آثارهما يوضح بجلاء ما كانت عليه امثال تلك العمائر من ضخامة في البناء ، ومعرفة في التخطيط .

---

(١٥) راجع ما كتب عن قبة الصخرة في كتاب «كريزويل» المختصر من الصفحة ١٧ حتى ٤٠ وراجـع فنـون الاسـلام للمرحـوم الدكتـور زكي محمد حسن صفحـة ٣٦ — ٤٠ .

(١٦) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . العليمي ٢٤١/٢ .

(١٧) انظر البلدان لليعقوبي الذي قال « ومسجدها الذي ليس في الاسلام احسن منه بالرخام والذهب بناه الوليد بن عبدالملك » . ابن الطقطقي صفحة ١٢٧ . وابو الفدا — صفحة ٢١٧ حيث يذكر ان الوليد امر بناء جامعدمشق في سنة ثمان وثمانين وانه انفق عليه اموالا عظيمة ويذكر المسعودي في مروج الذهب ١٦٦/٣ ان الوليد ابتدأ في سنة سبع وثمانين ببناء المسجد الجامع بدمشق وانه انفق عليه وعلى مسجد الرسول بالمدينة اموالا جليلة .

وقصير عمرة ، فهو قصر صغير على بعد خمسين ميلا شرقي عمان ، وقد كشفه لاول مرة (موزيل Musil) الذي كان على رأس بعثة علمية للتنقيب في عام ١٨٩٨ م[١٨] ، وباني هذا القصر غير معروف على وجه التأكيد ، ولكن الباحثين استطاعوا حصر تاريخ بنائه بين معركة شريش التي جرت في عام (٩٢ الهجري) او سقوط سمرقند في سنة (٩٣ الهجري) وبين وفاة الوليد سنة (٩٦ الهجري)[١٩] .

أما قصر المشتى فهو من اشهر القصور الاموية ، وقد اكتشف من قبل لايارد Layard في عام ١٨٤٠ م . ويقع على بعد عشرين ميلا جنوبي عمان[٢٠] . وليس لدينا في المصادر التاريخية ما يهدينا الى معرفة تاريخ هذا القصر الكبير ، لذلك قامت حول تاريخه مناقشات وآراء مختلفة وكثيرة ، فذهب فريق من العلماء الى انه من آثار الملوك اللخميين في الحيرة من القرن الرابع الميلادي ، وقال آخرون انه من عمائر الغساسنة في القرن السادس الميلادي ، ونسبه فريق ثالث الى كسرى الثاني حين خضعت له البادية بين عامي ٦١٠ و ٦٢٣ م قبل ان يهزمه هرقل[٢١] . وقد ذكر كريزويل جميع تلك الآراء والمناقشات[٢٢] ثم انتهى الى انه بناء أموي . ومهما يكن من أمر ، فان الذي يهمنا بعد ان اثبت العلماء المتأخرون نسبته

---

(١٨) العمارة الاسلامية — المختصر . كريزويل صفحة ٨٤ .

(١٩) انظر نفس المصدر صفحة ٩٢ — ٩٣ . وفنون الاسلام . زكي محمد حسن صفحة ٤٧ .

(٢٠) العمارة الاسلامية — المختصر كريزويل صفحة ١٢٤ .

(٢١) فنون الاسلام — زكي محمد حسن صفحة ٥٢ .

(٢٢) انظر العمارة الاسلامية — المختصر . كريزويل صفحة ١٣٧ وما بعدها وانظر ايضا العرب في سورية قبل الاسلام — رينيه ديسو . الصفحات من ٣٧ الى ٤٩ .

الى عصر اسلامي ، ان هـذا القصر كان مثالا طيبا للعمارة الامويـة الاسلامية ، التي نمت وازدهرت على ايدي الامويين الحاكمين • بفضل ما كان للعرب في الجزيرة من معرفة في البنـاء وما استعاروه من اساليب فنية معمارية عن البيزنطيين والساسانيين ، وما اضافوه هم من ابداع خـلاق وعبقرية فذة ، حتى استوى بين ايديهم اخيرا فن اسلامي معماري جديد •

ولقد كانت واجهة هذا القصر ، بما فيها من زخارف نباتية وحيوانية، وما تشتمله من افاريز واطر ، آية في العظمة مما حدا بالقيصر غاليوم الى الحصول على موافقة السلطان عبدالحميد في عام ١٩٠٣ م في نقـل تلك الواجهة الى متحف القيصر (فردريك) في برلين • فتم له ذلك ، فأصبحت هذه الواجهة نواة للقسم الاسلامي لمتحف برلين[٢٣] •

وهناك قصور اخرى ، غير هذين القصرين ، اقامها خلفاء بني اميه في بادية الشام منها قصر الحير الشرقي[٢٤] ، وقصر الحير الغـربي[٢٥] وقصر خربة المفجر[٢٦] ولا ريب ان سورية كانت تضم مجموعة طيبة من الصناع

---

(٢٣) فنون الاسلام ـ الدكتور زكي محمد حسن صفحة ٤٩ .

(٢٤) وهو قصر فى الصحراء على بعد ٦٠ ميلا شمالي شرقي بالميرا وحوالي ٤٠ ميلا جنوبي الرصافـة .

(٢٥) يقع قصر الحير الغربي بين تدمر وحـوارين وقد كشـفته دائرة الآثار السورية ثم نقلت اجزاءه الى متحف دمشق .

(٢٦) خربة المفجر ـ قصر بناه هشام بن قبدالملك ، كشـفته دائرة الآثار الفلسطينية شمالي اريحا ، ويتألف القصر من ثلاثة ابنية كبيرة . منها قصر للسكن وبناء آخر كمسجد للصلاة . والثالث حمام . وقد ظهـرت فى حمام هذا القصر ارض من الفسيفساء يعتبرها مؤرخو الفن الاسلامي ابدع الفسيفساء الاموية . وقد امسكت كتب التاريخ عن ذكر هـذا القصر الا ان التنقيبات التي اجريت فى عام ١٩٤٧ م عثر خلالها على مخطوطتين اثريتين من الرخام . مكتوبة بالحروف الكوفية معنونة لهشام بن عبدالملك .

والعمال والمهرة من البنائين المحليين ، وقد اسهم هؤلاء في اقامة وتشييد المدن والحصون والعمائر البيزنطية قبل الاسلام . ولا شك ان هؤلاء العمال قد اكتسبوا على توالي السنين والعصور الخبرة والمران ، كل في مجال اختصاصه .

وحينما فتح المسلمون الشام ، تقهقر الروم من اراضيها ، فلم ير المسلمون حرجا بالاستعانة من تجارب وخبرات الصناع والمهرة المحليين حينما استدعتهم الحاجة الى البناء والتعمير فاقبلوا على الاستفادة منهم ، ومن هنا امتزجت الاساليب المعمارية السورية المحلية بما كان لدى العرب من خبرة في هذا المضمار ، ومن هذا الامتزاج نشأ الأسلوب الهندسي الاموي المعماري ، ونستطيع ان نؤكد ـ كما شرحنا ذلك سابقا ـ ان هذا الاسلوب المعماري الجديد يختلف عن الاسلوب الذي كان سائدا في الشام قبل الفتح الاسلامي . ونحن لا ننكر ، كما أوضحنا قبل قليل الفائدة التي جناها المسلمون من استخدام المهرة من العمال والصناع السوريين المحليين في تشييد العمائر واقامة المباني ولكننا نرى بنفس الوقت ، ان الفن الناشيء لم يكن مشتقا في اصوله وجزئياته من الفنون السابقة للاسلام ، وعلى وجه الخصوص الفن الهلينستي (٢٧) .

وقد اسهب المستشرقون وعلماء الآثار ، في الكلام عن الفن العربي الاسلامي الذي رعته الايدي الاموية الحاكمة ، فجزأوا هذا الفن ـ والذي يضم فيما يضم من فنون الفن المعماري ـ الى اجزاء واقسام أرجعوها الى اصول فارسية وورومانية وقبطية وصينية (٢٨) .ولعل هذه الفكرة قد وجدت

---

(٢٧) امتزاج الفن اليوناني الغربي بالفن الشرقي المحلي يسمى الفن الهلينستي . Early Muslim Architure, Vol. I p. 90 and 388, 389

(٢٨) انظر البحوث والكتب التي اوردناها فى الصفحة (٤) فى الهامش رقم (٣) من هذه الرسالة .

صدى كبيرا لدى البعض من طلاب العلوم الاثرية والباحثين في تاريخها ، فراحوا يبخسون حق العرب والمسلمين ، وتأكيـدا لهذه النظريـة يقول ديمتري برامكي [٢٩] : « فالهندسة الامويـة المعماريـة والفن الامـوي مشتقان من الهندسة والفن الرومي والفارسى » [٣٠] وفي هذا القول خطـأ كبير ، وابتعاد عن الحقيقة والواقع ، فضلا من انه يسلب من امة متحضرة ذات حضارة ، جزءً من حضارتها فالمعروف عن العرب في فجر الفتوحـات الاسلامية ، انهم لم يعيروا التربية الهندسية والمعمارية اهتماما كبيرا كمـا كانوا يفعلون في بث مبادىء الدين الجـديد ، وطـرد الفرس والروم عن مناطق الشام والعراق ومصر ، ولكن الحال اختلفت بعدئذ حين توطدت اركان الدولة وقويت شوكة العرب والمسلمين في المراكز التي احتلوهـا ، فقد راح العرب والمسلمون يهضمون كل ما اخذوه من الامم المغلوبـة ، ويخرجونه في قالب جديد يختلف عن الاصول التي اخذ بعضـه منها ، وينسجم كل الانسجام مع طبيعة العرب ومبادىء دينهم .

والواقع ان الحضارة الانسانية ، بعد هذا كله ، على اختلاف اساليبها وتباين مظاهرها ليست ملكا لشعب دون آخر أو لامة دون اخرى وانمـا هي نتاج لامتزاج التيارات الحضارية لشعوب كثيرة اسهمت جميعهـا في ارساء قواعـد تلك الحضـارة .

وانظر ايضا رد (بريجز) على آرائهم فى كتابه Muhammadan Architecture in Egypt, Briggs, p. 47

وانظر مناقشات المؤلف نفسه (بريجز) فى الباب الذي كتبه بعد كتابه السابق عن العمارة الاسلامية فى كتاب (تراث الاسلام) الصفحـات من ١١١ حتى ١٦٠ من الترجمة العربية .

(٢٩) وهو استاذ علم الآثار بالجامعة الامريكية فى بيروت .

(٣٠) المؤتمر الثاني للآثار — بحث الدكتور ديمتري برامكي صفحة ١٤٠ .

والعرب بدورهم كأمة ، اسهموا في العصور الاسلامية المختلفة ، في جزء كبير من الحضارة البشرية ، بفضل ما اقتبسوه من الامم السابقة ، وما انتجوه هم من مختلف اوجه التقدم والازدهار ، وفي هذا يعترف مؤرخ غربي منصف بجهود العرب والمسلمين في هذا المضمار فيقول (ان العرب استطاعوا ان يبدعوا حضارة جديدة مستعينين بما استعاروا من الفرس واليونان والومان (٣١) .

(٣١) حضارة العرب ـ لوبون . صفحة ١٨٠ .

الفصل الثاني

المدينة المدورة نموذج لتخطيط المدن العربية

تعتبر بغداد ـ مدينة المنصور ـ بحق من مفاخر العرب المسلمين في مجال العمارة والتخطيط ، تلك المدينة التي ذكر الخطيب البغدادي ، مؤرخها المشهور ، ان الجاحظ قال في وصفها « قد رأيت المدن العظام والمذكـورة بالاتقان والاحكام ، بالشامات وبلاد الروم وفي غيرهما من البلدان ، فلم ار مدينة قط ، ارفع سمكا ، ولا اجود استدارة ، ولا انبل نبلا ، ولا اوسع ابوابا ، ولا اجود فصيلا ، من الزوراء ، وهي مدينة ابي جعفر المنصور كانما صبت في قالب وكانما افرغت افراغا[٣٢] » .

وقال عنها البروفسور كريزويل « ان مدينة المنصور المدورة يمكن ان تعد بحق احد الامثلة الشهيرة لتخطيط المدن التي وصلت الينا[٣٣] » .

ومثل هذه المدينة ، التي وصفها كاتب قبل عدة قرون كشاهد عيان ، وذكر عنها باحث متخصص بالآثار والعمارة الاسلامية ، بمثل ذلك الوصف المنصف ، والتي اتيح لها من الامكانيات والجهود والخبرات ، في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ما جعلها مركـزا للثقافة والعـلم والادب ، وبوأها مكانة مرموقة في دنيا الهندسة والعمران والتخطيط .

مثل هذه المدينة ، مع ما رافق تشييدها من خصائص معمارية ، تعكس لاول وهلة ، في ذهن الباحث والقارىء على حد سواء ، النموذج الأمثـل لأمة اخذت سبيلها في مدارج الحضارة والعمران وتوسلت بالعلم لتحقيـق غاية الخليفة العباسي الثاني في تشيد مدينة حصينة واسعة قوية ، تتوفر فيها

---

(٣٢) الخطيب ـ ١/٧٧

(٣٣) Encyclopaedia of Islam, new edition, Vol. I

وسائل الدفاع والهيمنة والراحة .

ولعل آراء الباحثين تختلف في شأن المدينة المدورة ، وهذا الاختلاف ينصب باديء ذي بدء في المصادر المعمارية التي استقاها ابو جعفر المنصور والمهندسين الذين اشرفوا على البناء ، فالمدينة ، كما وصلتنا اخبارها من المؤلفات العربية(٣٤) تحوي على خصائص ومزايا ، ينبغي على الباحث ان يقف عندها ممعنا النظر فيها ومتفحصا لها ، وفي رأينا ان هذه الخصائص الفريدة في تاريخ العمارة ، هي التي اثارت الباحثين ، فدفعتهم الى ان يبدوا بآرائهم ، سواء اكانت تلك الآراء صادرة عن بحث وتمحيص ، ام كانت نتيجة ارتجال محض .

والاستفسار الاول الذي قد يثار ، هو هل ان بناة هذه المدينة المدورة من العرب والمسلمين ، كانوا يعرفون فنون العمارة والتخطيط ؟ فان كان الجواب بالنفي ، اذن فما هي المصادر والمنابع التي استقى منها العرب والمسلمون اصول تخطيط المدينة المدورة ؟ وان كان الجواب بالايجاب فهل ان خبرة العرب في ميدان التخطيط والبناء قد تكامل واصبح ناضجا في خلال قرن ونصف القرن من الزمان ، ام يا ترى ان لهذا الفن جذورا موغلة في القدم الى الفترة التي سبقت الاسلام .

ولقد ناقشنا في الفصل السابق مثل هذا الرأي ، بروح علمية منهجية خالية من التحيز لفترة دون اخرى ، او لامة دون غيرها ، واعتمدنا في مناقشتنا على بعض آراء المعنيين والباحثين بدراسة الآثار والحضارة التي

---

(٣٤) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٨٣ــ٢٩٧ . والبلدان . اليعقوبي صفحة ٢٣٣ وما بعدها . الطبري ٦/٢٣٤ وما بعدها وصفحة ٢٦٤ وما بعدها . ومروج الذهب . المسعودي ٦/١٧١ والخطيب ١/٦٧ و ٧٤ . ومعجم البلدان . ياقوت ١/٤٥٧ وما بعدها .

سبقت عصر الاسلام والتي اعقبته .

وعلى ضوء ما تقدم ، ففي وسعنا ان نقول (نعـــم) ان بناة المدينـــة المدورة كانوا يعرفون فنون العمارة والتخطيط ، وقد ورثوا هذه المعرفـــة مـــن الخبـــرة الطويلـــة التـــي مارسهـــا اجدادهم العرب في الفترة التي سبقت الاسلام ، ثم توسعت بعد ذلك في العهود الاسلامية ، حتى غدا فن تخطيط المدن وهندســـة العمائر من الاساليب المعمارية المألوفة لـــدى المهندسين والفنانين والمهنيين والعمال العرب المسلمين .

الباب الثالث

منطقة بغداد الغربية

الفصل الاول

منطقة بغداد قبل الاسلام

في بحث نشأة اية مدينة من المدن ، او بتعبير ادق حين يتناول موضوع بناء مدينة ما ، لا بد ان يؤخذ بنظر الاعتبار دراسة الموضع الذي شيدت فيه تلك المدينة ، ومن الطبيعي ان بواعث بناء المدن في الماضي او الحاضر ، يختلف بعضها عن البعض الآخر ، فمن المدن ما شيد لاسباب عسكرية ، وبعضها لاسباب تجارية ، وبعضها لاسباب سياسية ، وقسم آخر منها يشيد للراحة والاستجمام .

والمدن التي تبنى للاسباب العسكرية ، يراعى في بنائها اختيار موقع ستراتيجي مهم يهيمن على طرق المواصلات ، ويؤمن خط الرجعة ، وتوصيل الامدادات البشرية والغذائية ، فضلا عن متانة البناء وتجهيزه بالابراج والشرفات والمزاغل .

والمدن التي تشيد كمركز تجاري ، يتطلب من المكان المختار ان يكون على مفترق طرق المواصلات البرية منها والنهرية ، وقريبا من مصادر الثروات الحيوانية والغذائية والصناعية . اما المدن التي تشيد لاسباب سياسية ، فأهم الشروط التي تتوفر في بنائها هي ان تكون في مركز متوسط ، حتى تتمكن ان كانت بمثابة عاصمة لدولة كبيرة ان تدير دفة الامور الادارية في اوقات السلم ، وان تسيطر على اعمال التمرد والشغب في فترات الحرب .

واما المدن المشيدة للراحة والاستجمام فالمفروض فيها ان تكون اداة للتسلية ، ووسيلة للراحة ، تشبع رغبة بناتها في توفير اوقات هادئة تتوافر فيها الحدائق والبساتين والمنتزهات والميادين والساحات وحدائق الحيوانات والبيوت المريحة .

أما بالنسبة لبناء مدينة المنصور المدورة ، فدراسة موضعها القديم للفترة التي سبقت عهد البناء ، أمر بالغ الاهمية ، ولئن كانت دراسة احد المواضع لمدينة بنيت لسبب واحد من الاسباب المتقدمة امرا مهما وواجبا ، فان دراسة موضع بغداد القديم ، يصبح اهم واوجب ، يدعو الى الدقة في البحث وامعان النظر ، وذلك لانها بنيت لكل تلك الاسباب المتقدمة ، بالاضافة الى ان بناء بغداد يمكن اعتباره تجربة معمارية عربية اسلامية ، ونستطيع القول بانها كانت اهم تجربة معمارية في القرن الثاني الهجري ، وضعت خبرات المهندسين والفنانين والعمال المسلمين ، مع خبرة القيادة والتوجيه والقدرة على التذوق والابتكار ، امام تجربة عملية تحققت للمنصور كفكرة في بادىء الامر ، ثم لم تلبث ان اخذت طريقها الى حيز التنفيذ .

ونظرة ممعنة فاحصة الى خارطة منطقة بغداد في اواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي (١) ، ترينا بصورة جلية وواضحة ان المنطقة الواقعة الى غرب نهر دجلة والتي تشمل طسوج (٢) قُطْرَبُّل (٣) وبادُوريا (٤)

---

(١) انظر الخارطة رقم (١) فى هذه الرسالة .

(٢) طسوج — لفظة فارسية اصلها تسو ، كما يقول ياقوت، فعربت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم فى آخرها واكثر ما تستعمل هذه اللفظة فى سواد العراق، وطسوج اقل من الكورة ، والكورة كما يروي ياقوت — كل صقع يشتمل على عدة قرى ، وبذلك يكون الطسوج جزء من اجزاء الكورة .

(٣) جاء فى معجم البلدان لياقوت ١٣٣/٤ عن قطربل بانه اسم لطسوج من طساسيج بغداد ، واضاف ان ما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا وما كان من غربيها فهو قطربل . وعلى هذا الاساس فان مباني المدينة المدورة اقيمت على اراضي هذا الطسوج . والكلمة كما افاد ياقوت اعجمية غير عربية . ويشير مؤلفا دليل خارطة بغداد فى الصفحة ٢٠ بأن اسم قطربل يوناني الاصل نسبة الى نقطربل ثم حذفت النون فصارت قطربل .

(٤) طسوج غربي نهر دجلة يقع اسفل طسوج قطربل يفصل بينهما نهر

تخترقها الاقنية والنهيرات مـن غربها وتجوس خلال اراضيها حتى تصب في دجلة • وتظهر اهمية هذا الموقع من تصميم ابي جعفر المنصور على اختياره وبناء مدينته فيه ، وبقائها عاصمة خلال العصور العباسـية ، الا في فترات سياسية قصيرة ، اتخذت قاعدة لحكم العراق ، واعتبرت حاضرة من اهـم الحواضر عندما كانت القسطنطينية عاصمةالدولة الاسلامية • وتتجلى اهمية موضع بغداد من وجود عدد من العواصم في هذه المنطقة ، اتخذت خـلال العصور عواصم ومراكز لاقدم الدول التي قامتفي العراق حتى انشاء مدينة بغداد امثال بابل(٥) وطيسفون(٦)

الصراة ، وهي فى زمن ياقوت كما قال محسوبه من كورة نهر عيسى بن علي وفى طرفه بنيت بعض بغداد .

(٥) بابل — وتقع على ما جاء فى الدليل التأريخي صفحة ١٧ — على بعد نحو ٩٠ كيلومترا جنوب غربي بغداد . واقدم اشارة تاريخية للمدينة جاءتنا من عهد السلالة الاكدية فى حدود ٢٣٥٠ ق. م. واصبح لبابل أهمية كبرى منذ قيام سلالتها الاولى التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي حيث اصبحت عاصمة الامبراطورية التي أسسها . وآخر حقبة مجيدة فى تاريخ بابل تقع فى العهد المعروف بالعهد البابلي الاخير (٦٢٥ — ٥٣٨ ق. م.) الذي اشتهر بحكم الملك الشهير (نبوخذ نصر الثـاني) ٦٠٤-٥٦١ ق. م. وبعـد غزو الفرس الاخيمينيين بابل على يدي كورش (٥٣٨ ق. م) دخلت بابل ومعها جميع القطر تحت حكم الدولة الاخمينية .

(٦) طيسفون — ويرى من بقاياها اليوم طاق كسرى . وموقعها — على ما جاء فى سومر ٨ (١٩٥٢) صفحة ٢٦٦ — على بعد بضعة كيلومترات جنوب مصب ديالى فى دجلة وتبعد عن جنوب بغداد مسافة ٣٠ كيلومترا كان اسم طيسفون فى اللغة الماذية القديمة (كسبيا) أو (كسبيا نام) أي (حصن الكسبيين) وعرفت عند الآرميين باسم كسفون . وسماها اليونان باسم (كتيسـفون

ودور كوريكالزو[٧] وسلوقية[٨] .

ومنطقة غربي نهر دجلة على وجه الخصوص المكان الذي اختاره المنصور موضعا لبناء مدينته المدورة ، منطقة ذات أهمية في التاريخ القديم الذي سبق التأريخ الاسلامي . وقد اصبحت هذه المنطقة فيما بعد جزءا من

(Ctesiphon) ثم عربت بصورة قطسفون وطيسفون وطسفونج . . وصارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق. م مقر اللفرثيين ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شتائية لدولتهم واطلق العرب عليها وعلى ما كان فى اطرافها اسم المدائن .

(٧) كوريكالزو — عرف هذا الموضع — على ما جاء فى الدليل التاريخي صفحة ٢٣ — باسم عقرقوف منذ ازمان بعيدة . وقد زاره منذ منتصف القرن السادس عشر سياح كثيرون وقد ظن عضهم خطأ ان زقورته هي برج بابل ثم عين بوجه صحيح منذ منتصف القرن الماضى بانه موضع المدينة الكشية التي اسسها الملك كوريكالزو الاول فى بداية القرن الخامس عشر ق. م وقد ايدت التنقيبات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية هذا .

(٨) سلوية — شيدها — كما ورد فى فياضانات بغداد صفحة ٢٧٠ — سلوقس نيقاطور فى القرن الثالث قبل الميلاد ، على الضفة اليمنى من النهر مقابل ارض المدائن الفارسية ، ولا تزال آثار هذه المدينة تعرف اليوم باسم (تلول عمران) أو (تل عمر) وهي تقع مقابل طاق كسرى الحالي فى الجانب الايمن لنهر دجلة ويقول بعض المؤرخين ان الاسكندر نفسه كان البادىء بانشاء الابنية فى موضع سلوقية وقد اختار موقعها لاقامته حتى مات ، وهناك من يشير الى ان هذه المنطقة كانت معمورة قبل عهد الاسكندر ، وذكر المستوفى فى كتابه (نزهة القلوب) ان الملك يامشيد اليشدادي اقام جسرا على نهر دجلة فى المدائن وهو جسر مقوس من الاجر الا ان الاسكندر هدمه على اعتبار انه اثر عظيم من آثار الملك الفارسى ولما أعاد اردشير بابكان بناء المدينة رغب فى اعادة بناء هذا الجسر لكنه لم يستطع انجازه لذلك اقام جسرا عائما من السفن مربوطة بعضها ببعض بسلاسل من حديد .

اقليم العراق ، الذي اهتم به المسلمون الفاتحون ، والعباسيون بعدئذ ، والراجح ان هذا الاهتمام روعيت فيه بصورة خاصة النواحي الاقتصادية ، والتي تتمثل في تنمية الزراعة ورعايتها ، والمعروف انوسط العراق وجنوبه ، كانا يرويان من نهري دجلة والفرات وروافدهما ، ولا ريب ان هذين النهرين لم يكونا يسدان حاجة الاراضى الواسعة المزروعة ، لذلك شق الخلفاء بعض القنوات والانهر الصغيرة من غربي دجلة وشرقي الفرات ، وكذلك من الروافد التي كانت تخرج من الفرات فتسير نحو الشرق لتصب في دجلة ، ولا يغرب عن البال ان بعض هذه الاقنية كانت موجودة منذ العصور التي سبقت الفتح العربي في العهود البابلية والكشية والآشورية والفارسية .

الفصل الثاني
انهار بغداد الغربية

وسوف نتناول في هذا الفصل البحث عن الانهار ، والقرى والاديرة ، وبعض الاماكن المهمة التي كانت موجودة في الفترة التي اختار المنصور هذا الموضع مكانا لتشييد مدينته المدورة (انظر الخارطة رقم ١) .

اما أهم انهار منطقة بغداد الغربية ، فهو « نهر عيسى » الذي يأخذ مياهه من الضفة اليسرى (أي الشرقية) لنهر الفرات عند قنطرة دِمِمّا[٩] جنوب مدينة الأنبار [١٠] ويسير هذا النهر حتى يصل مدينة المَحَوّل [١١] وعند المحول ينشطر النهر الى فرعين ، الاول يجري نحو الجنوب الشرقي حيث يصب في جنوب بغداد الحالية عند التلول المعروفة باسم تلول خشم

(٩) سهراب — صفحة ١٢٣ . مسالك الممالك للاصطخري صفحة ٨٤ — الخطيب ١/١١١ . ياقوت ٤/٨٤٢ .

(١٠) تقويم لبلدان — ابو الفدا صفحة ٥٢ .

(١١) يقول ياقوت فى معجمه ٤ / ٤٣٢ (ان اشتقاق المحول واضح من حولت الشيء اذا نقلته من موضع الى موضع) والظاهر ان بلدة المحول نشأت فى الموضع الذي يتفرع نهر الصراة من نهر عيسى. وكان فى هذا الموضع — كما جاء فى دليل خارطة بغداد صفحة ٧٣ — سد على نهر عيسى الاعظم لتنظيم المياه فيه وتقسيمها بين صدري فرعي الصراة وعيسى ، وقد سميت هذه البلدة (المحول الكبير) لتمييزها عن المواضع الاخرى التي بهذا الاسم لان السفن التي كانت تأتي من الفرات فى النهر الرئيس كانت تقف عند السدود تحول ما تحمله من بضائع الى سفن اخرى فى الجانب الآخر من السد لتنحدر من هناك الى دجلة فى مجرى نهر عيسى الاعظم .

الدوره[١٢] . اما الفرع الآخر الذي يتفرع من الجهة اليسرى للنهر الرئيس فيجري نحو الشرق ويصب مياهه اسفل الموضع الذي انشأ فيه عيسى بن علي قصره[١٣] .

وليس لدينا من النصوص التأريخية ، ما يهدينا الى معرفة تأريخ حفر هذا النهر الكبير ، على وجه الدقة والتحديد ، كما ان النصوص التأريخية تلتزم جانب الصمت في نسبة تسمية هذا النهر ، الا ما رواه ياقوت في معجمه من انه « منسوب الى الرفيل واسمه مه آذر بن خشيش بن ابرويز بن خشين ابن خسروان[١٤] » ويؤيد المستشرق الانكليزي لسترانج حفر هذا النهر في العهد الساساني حيث قام بحفره احد ملوك الفرس الساسانيين[١٥] . ويعلل ياقوت لماذا اطلق على (مه آذر) — وهو الذي قام بحفر النهر على ما جاء في روايته — اسم الرفيل بانه « لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ثوب ديباج يسحب على الارض ، فقال عمر من ذا الرفيل ؟ فصار له اسما علما[١٦] » وفي اعتقادنا ان هذه الرواية ضعيفة ، لا يمكن الاعتماد عليها في تحقيق اصل تسمية النهر الذي نحن بصدد البحث عنه .

أما في العهد الاسلامي ، فقد اصبح يعرف باسم ، نهر عيسى ، نسبة الى عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس[١٧] عم المنصور الذي قام باعادة حفر احد الفروع اليسرى للنهر الذي كان ينتهي الى بغداد ويصب في دجلة كما سبقت الاشارة الى ذلك . ان النهر الرئيس ، الذي يأخذ مياهه من

---

(١٢) دليل خارطة بغداد صفحة ٣ وفيضانات بغداد صفحة ٢١٣ .

(١٣) سهراب صفحة ١٢٣ الخطيب ١/١١١ وياقوت ٤/١١٧ .

(١٤) معجم البلدان — ياقوت ٤/٨٣٩ .

(١٥) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٧٠ .

(١٦) معجم البلدان — ياقوت ٤/٨٣٩ .

(١٧) الخطيب — ١/٩٢ ومعجم البلدان لياقوت ٤/٨٤٢ .

الفرات ، ويتفرع منه عند بلدة المحول ، فرع ثان فقد اصبح يعرف باسم (نهر عيسى الاعظم) والذي سماه بهذه التسمية ، هو اليعقوبي فقد قال عنه « نهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحتمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر تصير الى فرصة عليها الاسواق وحوانيت التجار لا تنقطع في وقت من الاوقات[١٨] » .

وفي وصف الاصطخري لنهر عيسى ما يوضح هذه الناحية بجلاء فقد ميز هذا الكاتب بين نهر عيسى الاعظم الذي تمر منه السفن أي النهر الرئيس الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ونهر عيسى الفرع الذي ينتهي مع بقية الفروع الى دجلة في جوف مدينة بغداد[١٩] .

ومع ان هذا النهر قد اشتهر في العصر الاسلامي باسم (نهرعيسى) كما اشرنا قبل قليل ، مع ذلك ، فان بعض المؤرخين المسلمين ، استعملوا الاسم القديم لهذا النهر (الرفيل) مما يدعونا الى القول بان التسمية السابقة له لم تمت نهائيا ، فابن الجوزي مثلا ، ذكر هذا النهر باسم (الرفيل) في حديثه عن سد فوهته في عهد معز الدولة البويهي الذي حكم من ٣٣٤ هـ حتى ٣٥٦ هـ فقال « وكان قد سد فوهة نهر الرفيل وشق النهروانات وعمل المغيض بالسندية ورد لمواريث الحشرية الى ذوي الارحام[٢٠] » كما ذكر مؤلف كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء التسمية القديمة للنهر فقال « وقدر للنفقة على بزَنـد من بزندات نهر الرفيل ثلاثين دينارا[٢١] »

(١٨) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٥٠ .

(١٩) دليل خارطة بغداد ــ صفحة ٦٥ .

(٢٠) المنتظم ــ ابن الجوزي ٣٩/٧ .

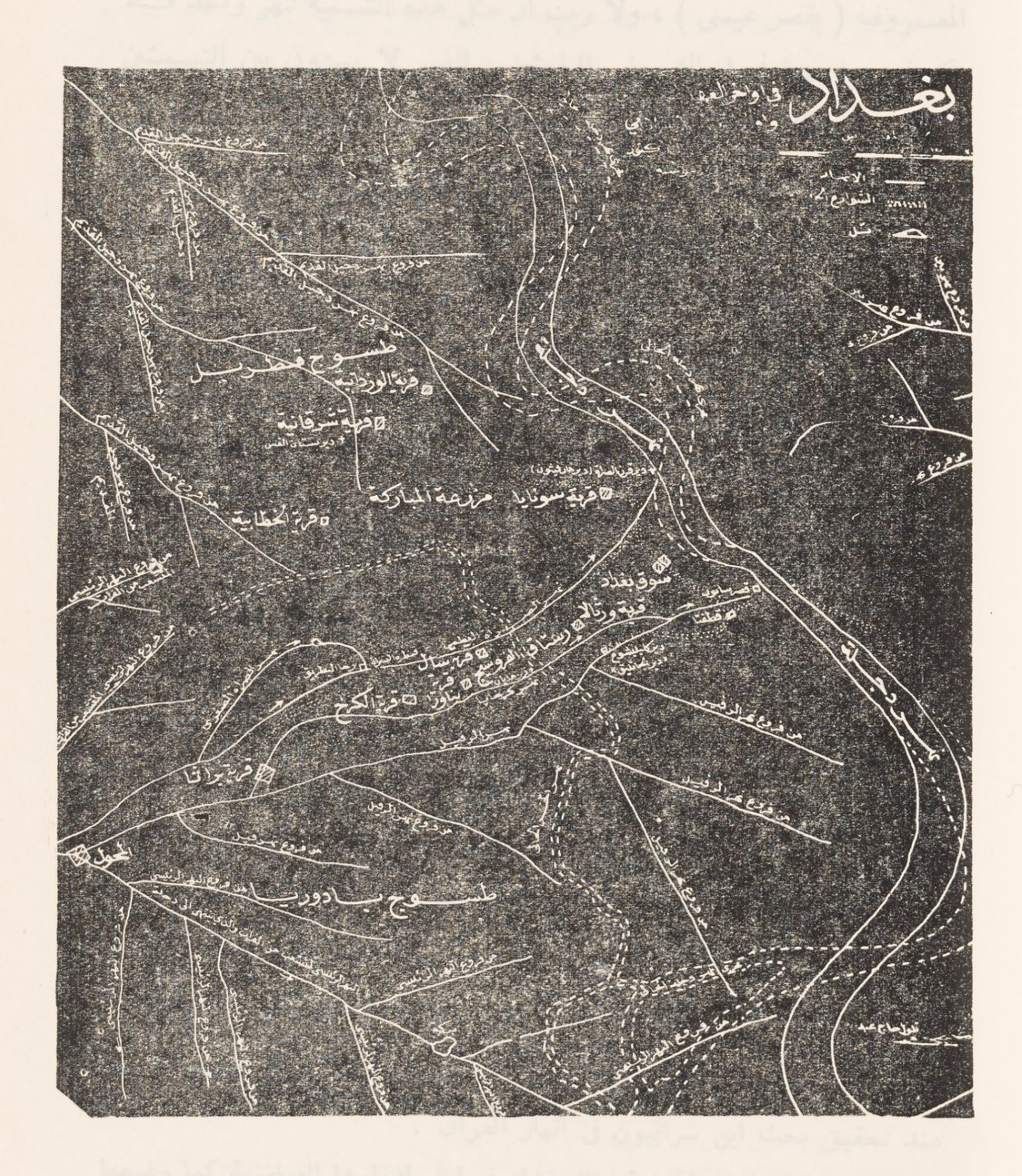
(٢١) تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ــ الصابي صفحة ٢٨٠ .

واستعمل ياقوت ايضا الاسم القديم في اثناء ذكره (قصر عيسى) فقال عنه « قصر عيسى منسوب الى عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس وهو اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور ببغداد وكان على شاطيء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة[٢٢] » .

وعلى هذا الاساس فمنطقة بغداد الغربية ، الموضع الذي اقيمت عليه فيما بعد المدينة المدورة ، فيها نهران يحملان اسم (نهر عيسى) نسبة الى عيسى بن علي ، أولهما الفرع الرئيس الكبير الذي سماه اليعقوبي ، كما مر سابقا باسم (نهر عيسى الاعظم) والذي يصب بنهر دجلة في جنوب بغداد وثانيهما (نهر عيسى) مجرد من كلمة الاعظم لانه يتفرع من النهر الرئيس ، (نهر عيسى الاعظم) ويصب في دجلة عند الموضع الذي بنى عيسى فيه قصره

---

(٢٢) معجم البلدان ـ ياقوت ١١٧/٤ .


بغداد
طسوج قطربل
قرية الوردانية
قرية شرقانية
دير بستان القس
قرية سونايا
مزرعة المباركة
قرية الخطابية
سوق بغداد
قرية وردانا
رستاق الفروسج
قرية براثا
قرية الكرخ
طسوج بادوريا
نهر دجلة
من فروع نهر الرفيل

(خارطة رقم — ١)

([illegible])

المعـروف (بقصر عيسى) ، ولا ريب ان مثل هذه التسمية لنهر واحد قـد تكون سببا مهما في ارباك بعض الباحثين ، الذين لا يميزون بين التسميتين « فقد وقع اكثر الباحثين في تاريخ بغداد ، وخصوصا اولئك الذين حاولوا رسم خرائط لخطط بغداد القديمة امثال لسترانج وستريك وغيرهمـا ، في ارتباك وحيرة من أمر نهر عيسى بسبب قصورهم واعتقادهم ان نهر عيسى هو اسم لنهر واحد ، واوضح دليل لتحير لسترانج في هذا الامر انه وضـع في اول الامر خارطة لانهار بغداد الغربية عند تحقيقه لبحث ابن سرابيون عن انهار العراق رسم فيها نهر عيسى نهرا واحدا يسير في اتجاه نهـر عيسى الاعظم الذي يصب في دجلة جنوب بغداد ، وكانت نتيجة ذلك ان جميـع الاماكن التي كانت تقع داخل بغداد رسمت في غير مواضعها الحقيقية لان نهر عيسى الاعظم يسير على مسافة بعيدة عن بغداد [٢٣] . ويظهر ان لسترانج شعر فيما بعد بخطئه هذا فحاول تصحيح خارطته في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية) ولكنه وقع هذه المرة في اخطاء اخرى يتجلى فيها ارتباكه وتحيره في أمر نهر عيسى فأهمل هذه المرة نهر عيسى الاعظم بالمرة كأن لـم يكن له وجود ورسم نهر عيسى على شكل دائرة يدور حول مدينة المنصور المدورة [٢٤] وكانت محاولته هذه غير مجدية أيضا لأنه اتخذ تخطيط مدينة القديم الذي كان موجودا في هذه المنطقة قبل ان يدخلها المنصور بمـدة طويلة . ومن اهم الاخطاء التي وقع فيها لسترانج بسبب ذلك انه رسـم الفرضة التي كانت عنـد مصب نهر عيسى الاعظم الذي ينتهي الى دجلـة

---

(٢٣) انظر الخارطة (رقم ٢) التي وضعها لسترانج لانهار بغداد الغربية عند تحقيق بحث ابن سرابيون فى انهار العراق .

(٢٤) انظر الخارطة (رقم ٣) بغداد فى اول ادوارها العباسية كما وضعها لسترانج .

جنوب بغداد وهي الفرضة التي لا تزال بقاياها موجودة في تلول ام الطبـول في غير موقعها الحقيقي فرسمها عند مصب نهر عيسى (الفرع) الذي ينتهي الى دجلة في جوف بغداد .. واذا رجعنا الى الخارطة التي وضعها المستشرق الالماني ستريك لمدينة بغداد الغربية(٢٥) .. نجد انه لم يكن في وسع هذا المؤرخ اهمال آثار نهر عيسى الاعظم التي لا بد ان تكون قد استوقفت نظره عند تنقيبه عن آثار بغداد القديمة فوقع في عين الخطأ الذي وقع فيه لسترانج في محاولته الاولى لحل مشكلة نهر عيسى المعقدة ، فعين نهر عيسى (الفرع) على نهر عيسى الاعظم ، وبهذا اصبحت المواقـع التي في الجانب الغربي من بغداد القديمة بعيدة كل البعد عن مواقعها الاصلية بل وقعت خارج المدينة بمسافة بعيدة(٢٦) » .

وبعد تأسيس مدينة بغداد ، انشئت على نهر عيسى (الفرع) بين المحول وموضع مصبه في دجلة عشر قناطر ، ذكرها سهراب في كتابه عند حديثـه عن مجرى نهر عيسى فقال « ويمر بقرى وضياع على جانبيه واذا صار الى المحول يتفرع منه انهار مدينة السلام .. ثم يمر الى الياسرية وعليه هناك قنطرة وهي قنطرة الياسرية (٢٧) ثم يمر في وسط بادوريا من جانبها المشرقي ثم يمر الى الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الاشنان ثم يمر الـى موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشـوك(٢٨) ثم يمر

(٢٥) انظر الخارطة رقم ٥ الي رسمها ستريك لمدينة بغداد الغربية .

(٢٦) دليل خارطة بغداد صفحة ٦٩ .

(٢٧) سميت بالياسرية كما روى الخطيب في تاريخه ٩١/١ نسبة الى ياسر مولى زبيدة وهناك ربض و اب يحمل نفس الاسم .

(٢٨) سميت كذلك نسبة الى باعة الشوك وقد وصفها ياقوت في معجمه ١٩١/٤ بانها قنطرة مشهورة معروفة على نهر عيسى ، وهناك محلة كبيرة وسوق واسع فيه بزازون وغيرهم من جميع ما يباع وقد نسب اليها قوم من أهل العلم بالشوكي.

الى موضع باعة الرمان وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمان ثم يمر الى قنطرة المغيض[٢٩] والمغيض ثم يمر الى قنطرة البستان ثم يمر الى قنطرة المعبدي[٣٠] ثم يمر الى قنطرة بني زُرَيْق[٣١] ويصب في دجلة اسفل من قصر عيسى[٣٢] » (انظر الخارطة رقم ٤ بغداد في اول ادوارها العباسية) ».

والراجح ان بقايا هذا النهر لا تزال ترى حتى يومنا هذا وهي تعرف باسم (نهر الداودي) او (نهر العيساوي) وتمتد في حدود امانة العاصمة السابقة[٣٣] بمحاذاة هذا النهر القديم وتنقطع آثار هذا النهر بعد ان يصل الى مدخل بغداد حيث يصبح امام قبر الشيخ معروف الكرخي الا انه اذا اتجهنا شرقا في نفس اتجاه النهر نجد انه يمتد من ظهر المطار المدني الحالي ، وبعد ان يجتاز قبر معروف الكرخي[٣٤] من الشمال يدخل مدينة بغداد

---

(٢٩) وردت فى سهراب باسم (المغيض) اما فى الخطيب طبعة السعادة بالقاهرة فقد جاءت فى صفحة ١١٢ باسم (المفيض) ووردت فى طبعة باريس (المغيض) فان كانت الكلمة باسم (المغيض) فمعناه كما ورد فى لسان العرب ٦٥/٩ « المكان الذي يغيض فيه الماء » أي ينقص أو يذهب وان كان أصل الكلمة (المفيض) فمعناه المكان الذي فيه ماء كثير يسيل على ضفة النهر .

(٣٠) نسبة الى عبدالله بن محمد المعبدي كما ذكر ياقوت فى معجمه ١٩١/٤ وكان له اقطاع فى موضعها وبنى هذه القنطرة على النهر المجاور واتخذ الى جانبها رحا تعرف به . وكانت داره أيضا هناك ثم صارت بعد ذلك لمحمد ابن عبدالملك الزيات وزير الواثق .

(٣١) نسبة الى دهاقين من أهل بادوريا كما جاء فى الخطيب ٩١/١ والمعروف ان اسرة بني زريق هذه اسرة فارسية من البنائين .

(٣٢) سهراب — صفحة ١٢٣ و ١٢٤ .

(٣٣) دليل خارطة بغداد صفحة ٦٤ .

(٣٤) كان الشيخ معروف الكرخي من موالي الامام علي بن موسى الرضا ولد مسيحيا وقيل مجوسيا ثم أعتنق الاسلام . وكان يعاصر هارون الرشيد.

وينتهي الى دجلة بجوار مسجد القمريه[٣٥] .

واشتهر عنه انه كان من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع دفن فى سنة ٢٠٠ هـ — ٨١٦ م فى موضع تربته الحالية التي كانت تعرف بمقبرة بـاب الدير . وفى سنة ٤٥٩ هـ — ١٠٦٧ م احترق المقام الذي شـيد فوق قبر معروف الكرخي فأعاد الخليفة القائم بناءه . ودفن فى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م بالقرب من هذا المقام لامير علي اصغـر ابن الخليفـة الناصر لدين الله الملقب بالملك العظيم وقد توفى قبل ابيه ، وربما اعيد بناء القبر بهذه المناسبة . وقد سلم المقام من التخريب فى اثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م وعند تربة الشيخ معروف منارة المسجد قائمة الى جانب مرقد الشيخ معروف يرجع تاريخ انشائها الى زمن الخليفة الناصر لدين الله . (دليل خارطة بغداد صفحة ٦٠ وفيضانات بغداد صفحة ٢٢١) .

(٣٥) مسجد القمرية — يرتقي الى العهد الاخير من الخلافة العباسية.

ويرى البعض ان تسميته هذه منسوبة الى الموضع الذي انشىء فيه وهو الموضع الذي كان يعرف بأسم قمرية نسبة الى قمريـة أهـل بيت الناصر لدين الله الخليفة العباسي او أحدى حظاياه مع ان ذكر اسم قمرية لهذا الموضع ورد فى حوادث حصار السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي لبغداد سنة ٥٥٢ هـ ، وقد شيد هذا الجامع فى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م فى عهد الخليفة المستنصر بالله وذكر انه انفق عليه (١٨٠٠٠ دينار) ولم يبق من بنائه العتيق الا منارته الحالية وهي قليلة الزخـرف . وقد غـرقت مسناة هـذا المسجد فى فيضان سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م وقد استؤنفت على المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت احمد باشا والي بغداد سنة ١١٦٣ هـ وهي زوجة عمر باشا الذي كان واليا على بغداد سنة ١١٧٧ هـ كما دل عليه مضمون الابيات المحررة على باب المصلى ثم اعاد عمارته سعيد باشا والي بغداد فى سنة ١٢٣٠ هـ وتاريخ آخر عمارة له مذكور على محراب المصلى (فيضانات بغداد صفحة ٢٢٤) .

ومما له علاقة بالموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه ، هو المكان الذي كان يصب فيه نهر عيسى بالنسبة للمواقع والامكنة الحالية لمدينة بغداد ، والذي يظهر ان الباحثين المحدثين الذين تناولوا بحث مدينة بغداد المدورة وتخطيطها ، قد اختلفوا في تحديد المكان الذي كان يصب فيه نهر عيسى (الفرع) وقد يكون اختلافهم هذا شيئا طبيعيا وذلك لان نهاية هذا النهر قد اختفت وليس هناك — في الوقت الحاضر — أي دليل اثري او طوبوغرافي يشير اليه .

وعند دراستي للخارطة التي ارفقها الدكتور عبدالعزيز الدوري مع بحثه عن بغداد في دائرة معارف الاسلام[٣٦] ، وجدت انه قد حدد في خارطته موضع مصب نهر عيسى الى الجنوب من جسر الشهداء الحالي .

أما الدكتور احمد سوسه واضع أطلس بغداد[٣٧] فانه يجعل مصب نهر عيسى الفرع الى الشمال من موقع جسر الشهداء الحالي ، ويقع مصبه هذا في الدور البويهي عند مشرعة القطانين والى الجنوب منه كان موضع جسر سوق الثلاثاء .

وقد اشار مؤلفا دليل خارطة بغداد الى ان نهر عيسى ينتهي الى دجلة بجوار مسجد القمريه[٣٨] . وحينما نشر الدكتور احمد سوسه آخر كتاب له (فيضانات بغداد في التأريخ) فانه يذكر بان نهر عيسى يصب في دجلة

---

(٣٦)
Art. of Baghdad, see the mep of the city of Baghdad p. 908.

(٣٧) اطلس بغداد . وضع الدكتور احمد سوسه صفحات ٢ و ٣ وما بعدها .

(٣٨) دليل خارطة بغداد صفحة ١١ و ٦٥ .

بالقرب من مسجد حبيب العجمي[٣٩] الحالي على الارجح[٤٠] .

اما خرائط المستشرق الانكليزي لسترانج التي تضمنها كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية[٤١]) فأننا لا نستفيد منها في تحديد موضع مصب نهر عيسى بسبب ما صاحب خرائطه من اضطراب في مجرى الانهر والقنوات ، ولعدم تمييزه بين نهري (عيسى الفرع) و (عيسى الاعظم) ومثل هذا الكلام نستطيع ان نقوله في الخارطة التي رسمها المستشرق الالماني ستريك في كتابه (بلاد بابل القديمة[٤٢]) .

اما نهر الصراة فكان يأخذ مياهه كما يقول سهراب من نهر عيسى فوق قرية المحول الكبير بشيء يسير ويسقي ضياع وبساتين بادوريا[٤٣] . وكما اشرنا سابقا ، ان معظم منطقة بغداد الغربية كانت تسقى من مياه نهر عيسى الذي كان يسمى في الفترة التي سبقت بناء بغداد باسم (نهر الرفيل) واضافة الى هذا النهر الرئيس ، كانت تلك المنطقة تسقى ايضا من نهر الصراة الذي كان يجري بعد تفرعه من النهر الرئيس ، موازيا نحو الشرق ثم ينتهي الى دجلة فيصب فيه داخل بغداد .

---

(٣٩) ينسب هذا المسجد الى حبيب العجمي ، وهو من الزهاد المعروفين ويقع على مقربة من مسجد القمرية ، وفى سنة ١٢٣٥ هـ جدد الوزير داود باشا آثاره والجامع الذي فيه . وهو اليوم بالقرب من بناية اعدادية الكرخ للبنين .

(٤٠) فيضانات بغداد فى التاريخ — احمد سوسه صفحة ٢١٤ .

(٤١) انظر الخارطة رقم ٣ منقولة عن النسخة المترجمة لكتاب لسترنج .

(٤٢) انظر الخارطة رقم ٥ كما رسمها لستريك مأخوذة من كتابه صفحة ٤٧ .

(٤٣) سهراب صفحة ١٣١ وانظر الخطيب ١/١١٢ ومعجم البلدان لياقوت ٣/٣٧٧ ومراصد الاطلاع لابن عبدالحق ٢/٨٣٦ .

وقد كتب لسترانج عن مجرى نهر الصراة بعد ان يتفرع من نهر عيسى الرئيس انه « يصل الى الجانب الجنوبي الغربي من المدينة المدورة عند الجسر القديم ولا يبعد كثيرا عن خارج باب الكوفة ومن هنا ينحرف حول سور المدينة فيمر امام باب البصرة ويستمر جاريا نحو الشمال الشرقي مسافة قصيرة حتى يصب في دجلة تحت حدائق قصر الخلد التي تقع خارج باب خراسان (٣٢) .

ومن ملاحظة مجرى نهر الصراة في الخارطة التي وضعها لسترانج لبغداد في اول ادوارها العباسية نرى انه اوجد للنهر مجرى دائريا يسير مع دوران سور بغداد الخارجي وكأنه خندق او سور آخر يحيط بالمدينة

---

(٤٤) بغداد في عهد الخلافة العباسية ـ لسترانج صفحة ٥٣ و ٥٤ .



(خارطة رقم ـــ ٢)

خارطة انهر بغداد الغربية كما رسمها لسترانج عند تحقيق بحث
ابن سرابيون عن انهــر العراق

(٢ — [illegible])

[illegible]

[illegible]

المدورة • ورسم لسترانج هذا خاطيء لا شك في ذلك ، والملاحظ لجميع الانهار والاقنية اتي رسمها لسترانج حول المدينة المدورة — ونهر الصراة منها — يرى انه جعل سور مدينةالمنصور اساسا بنى عليه اتجاهات الانهار ، مما قاده الى الوقوع في أخطاء كثيرة ، واداه الى أن يرسم شكلا هندسيا غريبا لمجاري الانهار يخالف الواقع مخالفة تامة(٤٥) •

كان نهر الصراة الذي بقي محتفظا باسمه الى ما بعد بناء مدينة ابي جعفر المنصور يسمى نهر الصراة الكبرى او (نهر الصراة العظمى) والظاهر انه كان في بغـداد نهران يحمـلان اسم (الصراة) الصراة الكبرى والصراة الصغرى(٤٦) • ويشير ياقوت بانه لا يعرف الا صراة واحدة(٤٧) • والراجح انه يقصد بنهر الصراة الكبرى •

والذي يبدو انه اصبح لنهر الصراة اهمية كبيرة في عهد بناء المدينـة

---

(٤٥) دليل خارطة بغداد صفحة ٢ .

(٤٦) ان وجود هذين الاصطلاحين الكبرى « او العظمى » والصغرى يلفتان النظر فى انهار بغداد الغربية والراجح ان القدماء كانوا قد اعتادوا ان يضيفوا كلمة (الاعظم) أو (العظيم) الى اسم الجدول الرئيس للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منه ويحمل اسم الجدول نفسه ايضا . كما كانوا يضيفون هذه الكلمة لى الشارع اذا كان اعظم شارع فى المدينة وهـكذا فقد سـمي نهر الصراة الرئيس باسم نهر الصراة الكبرى او العظمى للتمييز بينه وبين الفرع الذي كان يتفرع منه وصار يعرف باسم نهر الصراة الصغرى وكذلك سـمي نهر عيسى الرئيس باسم (نهر عيسى الاعظم) للتمييز بينه وبين الفرع المتفرع منه الذي صار يعرف باسم (نهر عيسى) ويشير مؤلفا دليل خارطة بغداد ايضا فى الصفحة ٧ — الى ان اهمية معرفة هذه الاصطلاحات فى بحث نظام الارواء لمنطقة بغداد الغربية اذ ان عدم معرفتها تقود الباحثين الى الوقوع فى الاخطاء.

(٤٧) معجم البلدان — ياقوت ٣٧٨/٣ .

المدورة والعصور التي اعقبت ، اذ يروي ابن حوقل ان « عليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتتفجر منه انهار كثيرة لعمارات الناحية[٤٨] » وحينما يصل الى بغداد يمر بقنطرة العباس ثم يمر الى قنطرة الصينيات ثم يمر الى قنطرة رحا البطريق [٤٩] وهي قنطرة الزَبَدة . ثم يمر الى قنطرة العتيقة [٥٠]. ثم يمر الى القنطرة الجديدة[٥١] ثم يصب في دجلة اسفل الخلد بشيء يسير[٥٢] ويخرج من الصراة نهر يسمى « خندق طاهر[٥٣] » سوف نذكره حينما نشير الى أنهار بغداد الغربية .

---

(٤٨) صورة الارض — ابن حوقل صفحة ٢٤٢ .

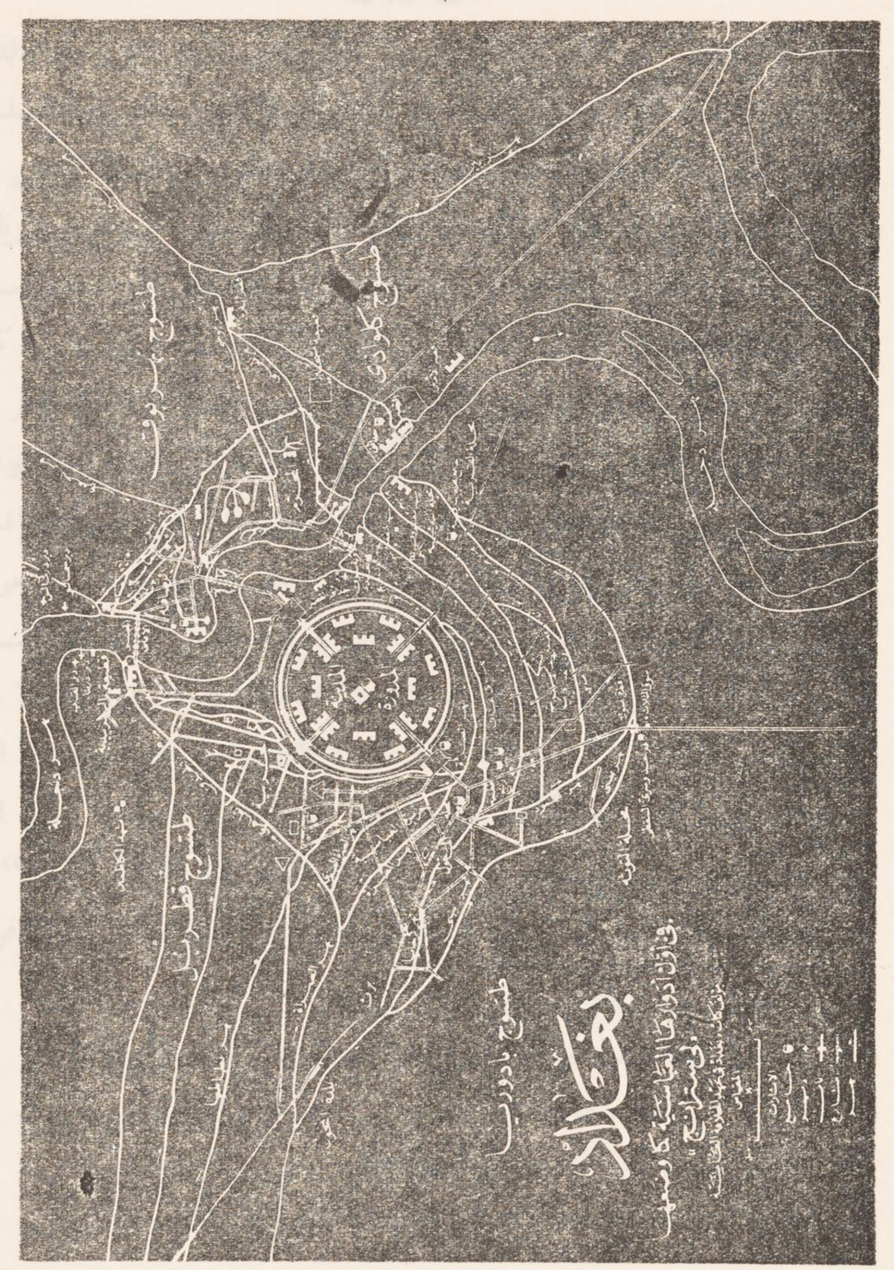
(٤٩) سيأتي الكلام عن رحا البطريق فى الصفحات التالية .

(٥٠) ذكر اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٤٣ و ٢٤٤ بأنها كانت معقودة بالجص والآجر محكمة وثيقة وروى أيضا بأنها سميت العتيقة لانها اول شيء بناه المنصور .

(٥١) سميت كذلك لانها آخر ما بني من القناطر كما روى اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٤٥ . والظاهر ان هذه القنطرة قد اصابها الخراب فى عصر ياقوت حيث اشار الى أنها اصبحت فى زمانه فى غاية العتق . رغم انها قد جددت مرارا . وذكر ايضا فى معجمه ١٨٨/٤ انها سميت بالجديدة لانها اول من بناها المنصور حيث كانت تلي دور الصحابة وطاق الحراني .

(٥٢) سهراب صفحة ١٢٣ .

(٥٣) سهراب صفحة ١٣١ والخطيب ١١٢/١ .



(خارطة — رقم ٣)

بغداد في اول ادوارها العباسية للسترانج

وكان نهر الصراة يفصل بين طسوج قطربل وسطوج بادوريا ٠ فالذي يقع على الضفة اليسرى من النهر ، او كما يدعوها بعض المؤرخين المسلمين بالجهة الغربية[٥٤] ، فهو طسوج قطربل ، والذي يقع على الضفة اليمنى من النهر او كما يدعوها بعض المؤرخين بالجهة الشرقية ، فهو طسوج بادوريا ٠
ومن الانهار المهمة التي كانت موجودة في موضع بغداد قبل ان يشيد المنصور فيه مدينته المدورة ، نهر يعرف باسم (كرخايا) ذكر عنه سهراب بانه كان يحمل مياهه من نهر عيسى اسفل المحول الكبير بشيء يسير[٥٥]٠ والظاهر ان بعض النهيرات كانت تتفرع من هذا النهر مؤلفة شبكة من النهيرات والقنوات تسقي الاراضي الواقعة بين نهر الصراة ونهر الرفيل اذ يروي سهراب بانه « يمر وسط طسوج بادوريا ويتفرع منه انهار تنبث في بادوريا تسمى وتعرف وعلى جانبيه قرى وضياع وبساتين[٥٦] » ويضيف ياقوت في وصفه لهذا النهر بانه « نهر معروف مشهور وقد اكثرت الشعراء من ذكره والآن لا اثر له ولا يعرف البته »[٥٧] وحينما اسست بغداد كان يدخل اليها من باب ابي قبيصه ، ويمر الى قنطرة اليهود ويمر الى قنطرة درب الحجاره ويمر الى قنطرة البيمارستان وباب محوّل فيتفرع منه هناك انهار الكرخ كلها[٥٨] ٠
وكان يتفرع من يسار نهر كرخايا اربعة فروع رئيسه ، ومن يمينه فرع

(٥٤) معجم البلدان — ياقوت ٤٦٠/١ ٠
(٥٥) سهراب صفحة ١٣٢ والخطيب ١١٢/١ وياقوت ٢٥٢/٤ ٠
(٥٦) سهراب صفحة ١٣٢ ٠
(٥٧) معجم البلدان — ياقوت ٢٥٢/٤ ٠
(٥٨) سهراب صفحة ١٣٢ والخطيب ١١٢/١ ٠

واحد ، وكان بعض الفروع التي على الجانب الايسر تصب في دجلة والبعض الآخر ينتهي الى الصراة ، اما الفرع الذي يتفرع من الجانب الايمن فكان ينتهي الى نهر عيسى فيصب البقية الباقية من مياهه فيه(٥٩) .

وكان الفرع الاول من فروع نهر كرخايا الاربعة اليسرى يسمى نهر رزين وصف سهراب مجراه فقال «اذا جاوز كرخايا قنطرة البيمارستان فأول الانهار يقال له رزين فيأخذ من ربض حُمَيد(٦٠) فيدور فيه ثم يمر الى سويقة ابي الورد(٦١) ، ثم يمر الى بركة زَلْزَل(٦٢) فيدور فيها ثم يمر الى

(٥٩) دليل خارطة بغداد صفحة ٧٩ .

(٦٠) سمي كذلك نسبة الى حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي وهو من القادة العباسيين الذين ساهموا فى ارساء الحكم العباسى فهو الذي فتح المدائن عام ١٣٢ هـ وغزى فى عام ١٥٢ هـ مدينة كابل مركز الافغان وانتصر عليهم وقد خرج مع عبدالله بن علي على المنصور فى الشام ولكنه عاد فرجع قبل الحرب الى صف جيش ابي مسلم الخراساني ، كما ان المنصور ارسله على رأس جيش من خمسة آلاف مقاتل للقضاء على ثورة النفس الزكية . كما عينه المنصور واليا على الموصل عام ١٣٧ هـ وعلى مصر عام ١٤٣ هـ .

(٦١) اورد الخطيب روايتان فى تاريخه ٨٧/١ و ٨٨ عن اصل تسمية هذه السويقه بسويقة ابي الورد ، فروايته الاولى مفادها انها سميت كذلك نسبة الى (عمر بن مطرف المروزي) الذي كان يلي المظالم فى عهد الخليفة المهدي . اما روايته الثانية فقال انها سميت كذلك لان عيسى بن عبدالرحمن كان يقال له ابو الورد وكان مع المنصور .

(٦٢) كان زلزل — كما يروي ياقوت فى معجمه ٥٩٢/١ — ضرابا على العود ويضرب به المثل بحسن ضربه وكان من الاجواد عاش فى ايام المهدي والهادي والرشيد ، وكان غلاما لعيسى بن جعفر بن المنصور . وقد حفر بركة للمياه فى موضع قرية سال واوقفها على المسلمين ونسبت البركة والمحلة التي تأسست جانبها اليه فأصبحت تسمى (بركة زلزل) .

باب طاق الحراني[٦٣] ، ثم يصب في الصراة الكبير اسفل من القنطرة الجديدة[٦٤] ويعرف هذا النهر في مجراه الاسفل باسم نهر ابي عتاب كما ذكر سهراب .

وأما الفرع الايسر الثاني من فروع نهر كرخايا فيسمى (نهر البزازين) الذي «يعطف في شارع المنصور[٦٥] ثم يمر الى دار كعب ثم يخرج الى باب الكرخ ثم يدخل البزازين ثم يمر الى الجزارين[٦٦] ثم يدخل في اصحاب الصابون ثم يصب في دجلة تحت دار الجوز[٦٧] .

والفرع الايسر الثالث يسمى (نهر الدجاج)[٦٨] الذي يمر «فيأخذ مادا الى اصحاب القنى ثم يمر الى اصحاب القصب وشارع القيارين ويصب في

(٦٣) اشار اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٤٥ بان هذا الطاق موجود فى قطيعة عمرو بن سمعان الحراني ، وهناك من يقول ان الذي بنى الطاق رجل من حران كان مولى للمنصور ثم اصبح مقربا للهادي الذي أسند اليه فى اواخر خلافته منصب الوزارة .

(٦٤) سهراب صفحة ١٣٢ .

(٦٥) وردت الكلمة فى كتاب عجائب الاقاليم السبعة لسهراب (المصور) وكذا وردت فى الخطيب طبعة باريس . أما فى الخطيب الطبعة المصرية بالقاهرة فقد جاءت (المنصور) وهي الاصح .

(٦٦) تأتي هذه الكلمة على هيئات مختلفة فى طبعات سهراب والخطيب فهي تأتي مرة باسم الخزازين واخرى باسم الجزارين ، واصحهما الجزارين اذ انه من المعلوم لدينا كما روى الخطيب ان المنصور حينما نقل اسواق المدورة الى الكرخ جعل سوق الجزارين فى اخر الاسواق .

(٦٧) سهراب صفحة ١٣٣ — وقد ورد هذا الاسم فى الخطيب طبعة باريس (ابي الجون) وقال عنه الخطيب ٨٤/١ انه من دهاقين بغداد .

(٦٨) سمي النهر بهذا الاسم لان باعة الدجاج كانوا يبيعون الدجاج على جانبيه كما روى اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٤٦ .

دجلة في أصحاب الطعام[٦٩] » .

أما الفرع الرابع الايسر فيسمى نهر القلائين[٧٠] الذي « يمر مادا الى السواقين ثم أصحاب القصب ويصب هناك في نهر الدجاج ويصيران نهرا واحدا ثم يمر النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابَق[٧١] ثم يصب في نهر عيسى في موضع يعرف بمشرعة الآس بحضرة دار بطيخ[٧٢] » .

أما الفرع الايمن وهو الفرع الوحيد الذي يتفرع من الجانب الايمن لنهر كرخايا فيسمى (نهر الكلاب) الذي يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى[٧٣] .

ومن الانهار التي كانت تصل مياهها الى موضع بغداد القديم ، نهر دجيل ، الذي يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة في مكان ذكره ياقوت اعلى من بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية[٧٤] دون سامراء فيسقي كورة

(٦٩) سهراب صفحة ١٣٣

(٧٠) القلائين — كما يقول ياقوت ٨٣٢/٤ — جمع قلاء للذي يقلي السمك وغيره ، وكان هذا النهر يأخذ من كرخايا واصبح موضعه فيما بعد محلة كبيرة في شرقي الكرخ ، وكان في موضع هذه المحلة قبل بناء المدورة قرية (ورثال) .

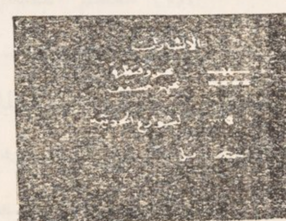
(٧١) اصبح في موضع هذا النهر بعد بناء المدورة محلة من محال الجانب الغربي لبغداد كما جاء في معجم البلدان ٨٤١/٤ ، وذكر ياقوت ان في سنة ٤٨٨ احرقت محلة طابق وصارت تلولا لفتنة كانت بينهم وبين محلة باب الارحاء .

(٧٢) سهراب صفحة ١٣٣ .

(٧٣) نفس المصدر صفحة ١٣٣ .

(٧٤) القادسية — كما روى ياقوت في المعجم ٩/٤ — انها قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حربى وسامراء ويعمل بها الزجاج ، والذي يبدو ان تسمية القادسية قديمة . وقد توسع موضعها بعد ان انشأ الرشيد قصره فيهـــا





(خارطة ــ رقم ٥)

بغداد في اول ادوارها العباسية كما رسمها ستريك

واسعة وبلادا كثيرة[٧٥] .ويقع مخرجه في الوقت الحاضر الى جوار اطلال الاصطبلات [٧٦]وبعد ان يسير مسافة قليلة يتشعب الى فرعين رئيسين يسير احدهما في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو قرية سميكة الحالية مخترقا ناحية مسكن القديمة حتى يصل الى مدينة بغداد الغربية[٧٧] . وقد وصف ياقوت هذا النهر بانه « يسقي كورة واسعة وبلادا كثيرة ... ثم تصب فضلته في دجلة[٧٨] » وكان ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع ادق من ياقوت في مصب دجيل فقال بانه يصب في الطاهرية[٧٩] .

ويسمى الفرع الذي ينتهي الى موضع مدينة بغداد باسم (نهر بطاطيا) قال سهراب [٨٠]انه يحمل من اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ يمر فيسقي ضياعا وقرى ويمر في وسط مسكن [٨١] . والذي يظهر مما رواه سهراب

وتوسعت اكثر حينما شرع المعتصم بناء مدينته فى سامراء .

(٧٥) معجم البلدان ـ ياقوت ٥٥٥/٢ .

(٧٦) الاصطبلات ـ مباني تقع امام مدينة المعتصم فى الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلو مترا من مدينة سامراء الحالية جنوبا، وهي المنشآت العسكرية التي اقامها المعتصم لجنوده والاصطبلات التي بناها لخيله ، وتتألف هذه المنشأت من حيث الاساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير ، وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بابراج . (للوصف الكامل لهذا المعسكر يراجع نشرة مديرية الآثار العراقية عن سامراء) .

(٧٧) دليل خارطة بغداد صفحة ٩٩ وفيضانات بغداد صفحة ٢١٥

(٧٨) معجم البلدان ـ ياقوت صفحة ٥٥٥ .

(٧٩) الطاهريه ـ كما جاء فى معجم البلدان لياقوت ٤٩٤/٣ ـ قرية ببغداد يستنقع فيها الماء فى كل عام اذا زادت دجلة فيظهر فيها السمك المعروف بالبني فيضمنه السلطان بمال وافر .

(٨٠) سهراب صفحة ١٣٤ والخطيب صفحة ١١٣ و ١١٤ .

(٨١) مسكن ـ وهو كما جاء فى معجم البلدان لياقوت ٥٢٩/٤ ـ بانه

عن نهر بطاطيا ، انه كانت له ثلاثة فروع تسقي طسوج قطربل ومنطقة الحربية التي انشئت في العهد العباسي ، وهذه الفروع الثلاثة اصبحت تعبر بعد عهد بناء المدينة المدورة فوق الخندق الطاهري[٨٢] .

موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق وبه كانت الوقعة بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ فقتل مصعب .

(٨٢) خندق طاهر — وصف هذا الخندق سهراب فى الصفحة ١٣١ و ١٣٢ ، ونقل عنه الخطيب فى ١١٢/١ وابن الجوزي فى مناقب بغداد صفحة ١٨ و ١٩ ان اوله من نهر الصراة اسفل من فوهته بفرسخ يمر فيسقي الضياع ويدور حول مدينة السلام مما يلي الحربيه فيمر الى باب الانبار وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى باب الحديد وعليه هناك قنطرة ويمر الى باب حرب وعليه هناك قنطره ويمر الى باب قطربل وعليه هناك قنطره رحا ام جعفر ويمر وسط قطيعة ام جعفر ويصب فى دجلة فوق دار اسحاق بن ابراهيم الطاهري بشيء يسير . أما ياقوت فى معجمه ٣٧٧/٣ و ٣٧٨ — فقد اخطأ فى تعيين مصب خندق طاهر حيث جعل مصبه فى دجلة امام باب البصرة . وقد صحح صاحب (مراصد الاطلاع) فى ٨٣٦/٢ و ٨٣٧ — فقال معلقا على كلام ياقوت (هذا غلط) فان خندق طاهر هذا هو الذي يسمى الطاهريه وهو درب يأخذ فضلة الماء اذا كثر وعليه قنطرة الحربية وقنطرة اخرى تحتها الى دجلة عند محلة القطيعه وهي محلة كانت مقابل باب التبن .. وكان الخندق يصب فوقها وأما الذي يصب عند باب البصرة فهو نفس الصراة . والذي يظهر ان هذا الخندق قد حفر بعد عهد المنصور ، ومن المرجح انه منسوب كما يشير ياقوت فى معجمه ٣٧٧/٣ و ٣٧٨ — انه منسوب الى طاهر بن الحسين . وهو قائد جيوش المأمون الذي اشتهر بحصاره لبغداد وقضائه على الخليفة الامير فى عام ١٩٨ هـ .

ولعل الخندق الطاهري كما يذكر مؤلفا دليل خارطة بغداد صفحة ٧٨ — قد فتح لاغراض عسكرية ترمي الى أحاطة الماء بمدينة المنصور من

والفرع الاول يحمل من نهر بطاطيا اسفل من جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيعبر قنطرة باب الانبار ثم يدخل بغداد من هناك فيمر في شارع باب الانبار ويمر في شـارع الكبش ويفنى هناك • والفرع الثاني كما يروي سهراب اسفل من الفرع الاول يجيء نحو بغداد فيمر على الخندق الطاهري من عبارة الكرخ بين باب حـرب وباب الحديد ويمر في شارع دجيل الى مربعة الفرس ويتفرع منه هناك فرع يقال له دكان الابنـاء ويفنى هناك • اما الفرع الثالث فيمر على قنطرة باب حرب ويدخل الى بغداد بعد ذلك منها(٨٣) •

كافة اطرافها فتكون على شكل جزيرة تحيـط بهـا المياه من كل جانب اذ تحدها دجلة من الشرق والصراة من الجنوب والخندق الطاهري من الغرب والشمال وذلك زيادة على الخندق الذي يدور حولها ومما يدل على ذلك انه سمي باسم (خندق) لا نهر .

(٨٣) انظر سهراب صفحه ١٣٤ .

الفصل الثالث

قرى بغداد الغربية

يلاحظ ان طسوج قطربل وطسوج بادوريا كانت فيهما بعض القرى والاديرة قبل ان يبني المنصور مدينته ، وقد استوطن المسلمون في بعض اماكن هذه المنطقة بعد احتلالهم للعراق ، اذ يشير المؤرخون العرب الى امتلاك قوم من المسلمين أراضي تقع الى الشمال من نهر الصراة الكبرى . وقد اطلقوا على هذه الاراضي أسما عربيا ، ويروى الطبري بسنده « ان مدينة أبي جعفر المنصور كانت قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفسا منهم فعوضهم عنها وارضاهم »[١] .

وكانت ثمة قرية قريبة الى (مزرعة المباركة) تسمى قرية (الخطابية) ثبت أحمدسوسه موقعها الى الجنوب الغربي من مزرعة المباركة[٢]. ووصف الطبري موقعها من المدينة المدورة فروى بسنده قال « كان حول مدينة أبي جعفر قرى قبل بنائها فكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية على باب درب النورة الى درب الاقفاص[٣] وكان بعض نخلها في شارع باب الشام الى أيام المخلوع[٤] في الطريق حتى قطع في أيام الفتنة وكانت الخطابية

---

(١) الطبري — ٦ / ٢٣٨ .

(٢) اطلس بغداد — احمد سوسه صفحة ٢ و ٣ .

(٣) وكان في درب الاقفاص —كما روى اليعقوبي في البلدان صفحة ٢٤٦ — قطيعة هاشم بن معروف أقطعها له المنصور بين باب الكوفة وباب الشام .

(٤) المخلوع — وهو الخليفة العباسي الأمين سمي بالمخلوع على اثر اصطدام جيشه بقيادة علي بن عيسى مع جيش اخيه المأمون بقيادة طاهر بن

هذه لقوم من الدهاقين يقال لهم بني فروه وبني قنورا »[٥] .

وكان الى الشمال من قرية الخطابية ، قرية أخرى تسمى (قرية الشرفانية) قال عنهما الطبرى «ولها نخيل قائم الى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجون »[٦] . واصبح موقعا بعد بناء المدينة المدورة بقرب قنطرة ابي الجون[٧] كما روى ياقوت[٨] .

وكان الى الشمال من قرية الشرفانية قرية تسمى (الوردانية) اقيمت فيها بعد تأسيس مدينة بغداد مربعة ابي العباس الفضل بن سليمان الطوسي[٩] . وهناك قرية اخرى في طسوج قطربل ، تقع في شرقي مزرعة المباركة ، على مقربة من مصب نهر الصراة العظمى بنهر دجلة تدعى (قرية سونايا) ويتبين من رواية صاحب مراصد الاطلاع ان اسمها قد تبدل الى اسم آخر وهو العتيقة ، وجاء في وصفه لها قوله « قرية قديمة كانت في

الحسين فى الري عام ١٩٥ هـ . وحينما تم النصر لطاهر بعث الى المأمون كتابا يخبره بالنصر ، فجلس المأمون للناس حيث اخذوا يهنئونه ويدعون له بالعز والنصر ويقال انه فى ذلك اليوم خلع محمد الامين ودعا الخلافة لنفسه، ومنذ ذلك الحين سمي الامين بالمخلوع .

(٥) الطبري ـ ٦ / ٢٣٩ .

(٦) نفس المصدر ـ ٦ / ٢٣٩ .

(٧) نسبة الى دهقان فارسي كانت له القرية التي نحن بصدد البحث عنها وهي الشرفانية وهي قرية كانت موجودة قبل تأسيس المنصور لبغداد وصارت فيها دار سعيد الخطيب فى العهد العباسي .

(٨) معجم البلدان ـ ياقوت ٣ / ٢٧٧ .

(٩) روى الطبري فى ٦ / ٢٣٩ ـ انه ذكر عن محمد بن موسى ابن الفرات ان القرية التي فى مربعة ابي العباس كانت قرية جده من قبل امه وانهم من دهاقين يقال لهم بنو زرارى وكانت القرية تسمى الوردانية .

بغداد ينسب العنب الاسود اليها الذي يتقدم ويبكر على سائر العنب مجناه، ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي العتيقة وبها مسجد لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يعرف بمشهد المنطقة[١٠] واضاف ياقوت بان هذه المحلة قد درست في وقته »[١١] .

ولا زال مسجد المنطقة الحالي يمثل موضع هذه القرية .

القرى السابقة التي ذكرناها ، تقع جميعها ضمن اراضي طسوج قطربل، شمال نهر الصراة العظمى ، واما قرى طسوج بادوريا ، فتقع جنوبي نهر الصراة العظمى .

من أهم هذه القرى ، قرية (براثا) وتقع عند البقعة التي ينفصل فيها نهر كرخايا عن نهر الرفيل [١٢] ويرتقي تاريخ هذه القرية الى الفترة التي سبقت عهد تأسيس مدينة بغداد[١٣] . وحينما تم بناء المدينة المدورة وتوسعها الى خارج اسوارها اندمجت هذه القرية مع محالها الكثيرة ، واشتهرت بعد ذلك اكثر من القرى الاخرى ، وذلك لوقوع جامع براثا في موضعها ، وقد وصف ياقوت هذه المحلة فقال « محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة ، وقد خرب عن آخره وكذلك المحلة لم يبق لها اثر ، فأما الجامع فادركت أنا بقايا من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الابنية ، وفي سنة ٣٢٩ فرغ من جامع براثا ، واقيمت فيه الخطبة، وكان قبل مسجدا يجتمع فيه قوم

---

(١٠) مراصد الاطلاع — ابن عبد الحق ٢ / ٧٥٧ .

(١١) معجم البلدان — ياقوت ١٩٧/٣ .

(١٢) انظر الخارطة رقم (١) المرفقة مع هذه الرسالة .

(١٣) معجم البلدان — ياقوت ١ / ٥٣٢ .

من الشيعة يسبون الصحابة فكبسه الراضي بالله[١٤] واخذ من وجد فيه وحبسهم وهدمه حتى سوى به الارض . وانهى الشيعة خبره الى بجكم[١٥] امير الامراء ببغداد فأمر باعادة بنائه وتوسيعه واحكامه وكتب في صدره اسم الراضي ولم تزل الصلوات تقام فيه الى بعد الخمسين واربعمائة ثم تعطلت الى الآن » [١٦] .

ومن القرى المهمة في منطقة طسوج بادوريا (قرية الكرخ)[١٧] ، وتعتبر هذه القرية من القرى المهمة فقد نسبت اليها المباني التي شادها المنصور

---

(١٤) هو الخليفة العباسي محمد الراضي بالله ابن المقتدر حكم من سنة ٣٢٢ حتى ٣٢٩ هـ . وجاء فى الخطيب ١ / ١٠٩ ((ان امر مسجد براثا رفع الى المقتدر بالله ان الرافضة يجتمعون فى ذلك المسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة فأمر بكبسه يوم جمعة وقت الصلاة فكبس وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبسا طويلا وهدم المسجد حتى سوى بالارض وعفي رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بجكم باعادة بنائه وتوسعته واحكامه) .

(١٥) روى ابن مسكويه فى تجارب الامم صفحة ٣٦٥ ــ انه فى سنة ٣٢٥هـ قلد محمد بن رائق وهو امير الامراء ابا الحسين بجكم الشرطة بمدينة السلام ويروي ابن مسكويه ان فى سنة ٣٢٦ هـ لقى بجكم الخليفة (الراضي بالله) فقلده الخليفة امرة الامراء مكان محمد بن رائق . وفى عام ٣٢٩ قتل بجكم .

(١٦) معجم البلدان ــ ياقوت ١ / ٥٣٢ .

(١٧) هناك بعض المواضع تحمل اسم الكرخ ، فمثلا كرخ باجدا ، وكرخ البصرة ، وكرخ سامراء ، وكرخ خوزستان . اما اصل كلمة الكرخ فيذكر ياقوت فى معجمه ٤/٢٥٢ ــ بانها ليست عربية وانما نبطية . وهناك من يظن ان اصلها آرامي معناه (المدينة المحصنة) كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ٢ / ٧٦٣ . كما ان هناك من يقول ان اصلها يوناني
Charcha , Charase , Careh
ثم عربت الى الكرخ وتعني المكان المسيج .

خارج اسوار المدورة للاسواق ، ثم اصبحت بعدئذ محلة كبيرة ، تناقل المؤرخون اخبارها في المؤلفات والكتب التي صنفوها فقد قال عنها الصابي بانها كانت تتألف من اثنتي عشرة قرية[١٨] .

والى الجنوب من نهر الصراة العظمى رستاق يدعى (الفروسيج)[١٩] ويشتمل هذا الرستاق على ثلاثة قرى تسمى الاولى (قرية سال) وموقعها بين قرية الكرخ والصراة وباب المحول وسويقة ابي الورد ، كما روى ياقوت[٢٠] . وقد اقيمت في موضع هذه القرية في العهد الذي عقب بناء مدينة المنصور ، بركة تدعى بركة زلزل .

واما القرية الثانية فكانت تسمى (قرية ورثالا)[٢١] التي كانت تسقى من أحد فروع نهر كرخايا المسمى بنهر القلائين ، وانشئت في هذا الموضع محلة في عهد المنصور نسبت الى النهر فدعيت محلة القلائين[٢٢] . أما القرية الثالثة فكانت تعرف باسم (قرية بناورا) والذي يبدو من احدى روايات الخطيب ان قطيعة الربيع[٢٣] اقيمت في موضع هذه القرية ، فقد روى الخطيب ان قطيعة الربيع كانت « مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رستاق الفروسيج من بادوريا اسمها الى الساعة معروف في

---

(١٨) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء — الصابي صفحة ٢٨١ .

(١٩) الفروسيج — موضع من طسوج بادوريا تحت الصراة العظمى ، وحينما بنى المنصور ادخل — كما يروي ياقوت في معجمه ٣ / ٨٨٦ — اكثر هذا الموضوع في عمارتها .

(٢٠) معجم البلدان — ياقوت ١ / ٥٩٢ .

(٢١) نفس المصدر — ٤ / ٨٤٣ .

(٢٢) نفس المصدر ٤ / ٨٤٣ .

(٢٣) الربيع — وهوالربيعبن يونس حاجب الخليفة ابي جعفر المنصور .

الديوان »[٢٤] .

وكان الى الجنوب من نهر الصراة العظمى موضع يدعى (سوق بغداد) ولسوق بغداد هذه أهمية تأريخية كبيرة ، وذلك لان مدينة ابي جعفر المنصور سميت بنفس الاسم الذي كان يطلق على تلك السوق . وجاءنا ذكر هذه السوق في تأريخ بغداد للخطيب وما نقله عنه ابن الجوزي في مناقب بغداد حيث قالا « ان اسم بغداد كان يعرف به قديما قبل المنصور ، وكانت بغداد في ايام مملكة العجم قرية تقوم بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة ويجتمع بها في ذلك الموسم التجار فلما توجه المسلمون الى العراق وفتحوا أول السواد ذكر للمثنى بن حارث الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها »[٢٥] .

وقد وصف ياقوت هذا الحادث نفسه فقال « قال أهل الحيرة للمثنى ان بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والاهواز وسائر البلاد يقال لها بغداد »[٢٦] (انظر مواضع هذه القرى في الخارطة رقم ١) .

وبالاضافة الى موضع سوق بغداد ، كانت هناك قرية تحمل اسم بغداد ايضا تسمى (قرية بغداد) وكان موقع هذه القرية على نهر الصراة ، والذي يؤيد ذلك ما جاء في الطبري نقلا عن حماد التركي « ان المنصور بعث رجالا يطلبون له موضعا يبني فيه المدينة فوقع اختيارهم على موضع بغداد قرية على شاطيء الصراة مما يلي الخلد »[٢٧] وفي امكاننا تحديد مكان قرية

(٢٤) الخطيب ٨٨/١ .

(٢٥) الخطيب ٢٥/١ وما بعدها ومناقب بغداد صفحة ٦ و ٧ .

(٢٦) معجم البلدان ــ ياقوت ١ / ٦٧٩ .

(٢٧) الطبري ــ ٦ / ٢٣٧ .

بغداد هذه ، بانها تقع الى الجنوب من نهر الصراة في طسوج بادوريا ، ومن المعلوم ، كما مر بنا سابقا ، ان هذا الطسوج كان في جنوب نهر الصراة ، وفي قرية بغداد قال اليعقوبي « ولم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة نعني ايام الاكاسر والاعاجم وانما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا »(٢٨) .

ومن القرى الاخرى التي كانت موجودة في موضع بغداد القديم، قرية كانت تعرف باسم (قطفتا)(٢٩) ، وقد احتفظت باسمها بعد تأسيس المنصور لمدينة بغداد ، واقيمت في نفس موضعها محلة عرفت باسم (قطفتا) ، وجاء في كتاب اثبات الوصية للمسعودي ان الإمام علي « اجتاز في طريقه الى الشام ببادورنا(٣٠) فخرج أهل قرية يقال لها قطفتا فشكوا اليه ثقل الوضايع في الخراج وانها مخالفة لساير وضايع السواد بالعراق »(٣١) ووصف ياقوت محلة قطفتا في معجمه فقال عنها « وهي محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه ، بينها وبين دجلة اقل من ميل ، وهي مشرفة على نهر عيسى الا ان العمارة بها متصلة الى دجلة »(٣٢) .

---

(٢٨) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٣٥ .

(٢٩) قال ياقوت ــ فى معجمه ١٣٧/٤ ــ عن اصل كلمة قطفتا بانها عجمية ولا اصل لها فى العربية . وجاء ــ فى مجلة لغة العرب ٥٨٣/٨ ــ ان اصل كلمة قطفتا آرامي معناها ما يقتطف او قطافة وسميت كذلك لما كان فيها من وفرة البساتين والثمار .

(٣٠) يقصد بها بادوريا .

(٣١) اثبات الوصية ــ المسعودي صفحة ١٥٠ (ويقصد بثقل الوضايع، اي كثرة ما فرض عليهم من خراج) .

(٣٢) معجم البلدان ــ ياقوت ١٣٧/٤ ومراصد الاطلاع ــ ابن عبدالحق ١١٠٧/٣ .

وكان عند مصب نهر الرفيل في دجلة ، قصر ساساني كان يعرف باسم قصر سابور ، وقد نصب عنده جسر يصل الجانب الشرقي بالغربي من دجلة. وقد ذكر البلاذري ان المسلمين عبروا هذا الجسر عند غزوهم لهذه المنطقة في عام ١٢ هـ فقال « ثم عبر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور »[٣٣] وبعد تأسيس مدينة بغداد انشأ عيسى عم المنصور قصرا في موضع قصر سابور المذكور ونسب اليه فسمي « قصر عيسى » وهذا موضح في رواية البلاذري التي ذكر فيها بان « قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي »[٣٤] .

واشار ياقوت بان قصر عيسى هو اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور ببغداد وكان على شاطيء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة[٣٥] والذي يبدو ان آثار هذا القصر قد زالت عن الوجود في عصر المؤرخ ياقوت الذي ذكر بانه « ليس للقصر اثر الآن انما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى »[٣٦] .

وكان في شمال قرية الخطابية في طسوج قطربل دير يعرف باسم (دير بستان القس) ويفهم من رواية الطبري[٣٧] ان صاحب هذا الدير احد الذين استدعاهم المنصور وسألهم عن مواضعهم فأخبره كل واحد منهم بما يعرف عن منطقته .

وكان على نهر الصراة العظمى ، في الزاوية المكونة من مصب نهر

---

(٣٣) فتح البلدان — البلاذري صفحة ٢٥٠ .

(٣٤) نفس المصدر — صفحة ٢٥٠ .

(٣٥) معجم البلدان — ياقوت ٤ / ١١٧ .

(٣٦) نفس المصدر ٤ / ١١٧ .

(٣٧) الطبري — ٦/ ٢٣٤ .

الصراة الصغرى بنهر الصراة العظمى[٣٨] طاحونه تسمى (رحا البطريق)[٣٩] وقد روى الطبري ايضا ، ان صاحب هذه الرحا كان من جملة من استدعاهم المنصور ليستنير برأيهم ، وقد نسبت هذه الرحا الى بطريق وفد مهنئا الخليفة المهدي ، ثم بنى في هذا الموضع الارحاء التي نسبت اليه[٤٠] .

ومن الاديرة المهمة في منطقة طسوج قطربل ، دير كان يعرف باسم (دير مار فيثيون) وهو كما جاء في رواية اليعقوبي عند (قرن الصراة) أي عند مصب نهر الصراة العظمى بنهر دجلة وفي هذا يقول اليعقوبي « ولم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطوريه »[٤١] .

ونستدل من رواية الطبري بان المنصور في اثناء بحثه عن موضع يبني فيه المدينة ، قد نزل (الدير الذي)هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا بصاحب هذا الدير)[٤٢] وتاريخ بناء هذا الدير كما يظهر من احدى الروايات التأريخية سابق لعهد بناء المدينة المدورة ، وقد ورد ذكره في اخبار الجاثليق (سبريشوع) الثاني المتوفي عام ٨٣٩ م انه (نزل بالدير الكبير وأحب

---

(٣٨) انظر الخارطة رقم ١ في هذه الرسالة .

(٣٩) موضع هذه الرحا كما اشار اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٤٣ انه فى آخر العباسية تجتمع الصراتان والرحا العظمى التي يقال لها رحا البطريق وكانت مائة حجر تغل فى كل سنة مائة ألف ألف درهم هندسها بطريق قدم من ملك الروم فنسبت أليه . والرحا كما ذكر ياقوت فى معجمه ٧٥٧/٢ الرحا التي يطحن بها .

(٤٠) الخطيب ـ ٩١/١ و ٩٢ ومعجم البلدان ـ ٧٥٩/٢ .

(٤١) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٥ .

(٤٢) الطبري ـ ٢٣٥/٦ .

تجديد بناء دير مارفشيون في العتيقة وكان بناؤه في ايام الفرس قبل بناء بغداد مجاورا لعمر صليبا)[٤٣] . وكما نلاحظ من نص رواية الجاثليق سبريشوع الثاني السابقة : ان هناك ديرا مجاورا لدير مارفشيون كان يعرف باسم (عمر صليبا) .

ومن الاديرة القديمة في منطقة بغداد ، دير آخر يدعى (دير الجاثليق)[٤٤] والظاهر انه كان هناك ديران بهذا الاسم احدهما في بغداد وثانيهما في شمالها وقد وصف الشابشتي هذا الدير فقال عنه انه (دير كبير حسن ، نزه، تحدق به البساتين والاشجار والرياحين ... وهو مقصود مطروق لا يخلو من المتنزهين فيه والقاصدين له[٤٥] وقد كان يسمى هذا الدير ايضا باسم (دير كليليشوع) او (دير مر-او مار -) كليليشوع[٤٦] وقد تحرفت هذه اللفظة في مراصد الاطلاع الى (كليليسع)[٤٧] ويذكر الاستاذ كوركيس عواد بان هذا هو المصدر الاسلامي الوحيد الذي ذكر الدير بهذه التسمية[٤٨] .

---

(٤٣) فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى الطيرهاني صفحة ٦٩ .

(٤٤) الجاثليق - كما ورد في الديارات للشابشتي صفحة ١٨ - لفظ يوناني catholicos معناه العمومي والمراد به الرئيس الديني عند الكلدان والنساطرة في ايام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين ويقابله في وقتنا هذا البطريرك .

وهذا التعليق لمحقق الكتاب السيد كوركيس عواد .

(٤٥) الديارات - الشابشتي صفحة ١٨ .

(٤٦) كليليشوع لفظة سريانية معناها اكليل يسوع .

(٤٧) مراصد الاطلاع - ابن عبد الحق ٤٢٦/١ .

(٤٨) الديارات - الشابشتي صفحة ٢١ .

وفي منطقة بغداد الغربية ، دير آخر كان يعرف باسم (دير مديان)(٤٩) يقع في طسوج بادوريا على نهر كرخايا كما روى الشابشتي(٥٠) (انظر مواضع هذه الاديرة في الخارطة رقم ١ المرفقة مع هذه الرسالة) .

---

(٤٩) مديان - لفظة سريانية معناها كما جاء في دليل الراغبين صفحة ٣٠٤ - موديناي اي المعترفين .

(٥٠) الديارات - الشابشتي صفحة ٢١ .

الباب الرابع

اختيار موقع بغداد

وفي منطقة بغداد الغربية ، دير آخر كان يعرف باسم (دير مديان)[٤٩] يقع في طسوج بادوريا على نهر كرخايا كما روى الشابشتي[٥٠] (انظر مواضع هذه الاديرة في الخارطة رقم ١ الرفقة مع هذه الرسالة) .

---

(٤٩) مديان — لفظة سريانية معناها كما جاء في دليل الراغبين صفحة ٣٠١ — مدنيان أي المشرقين .

(٥٠) الديارات — الشابشتي صفحة ٢٩ .

الفصل الاول

العواصم العباسية قبل بغداد

أ ـ الكوفـة :

لم تكن الظروف في اول الامر ، عند قيام الدولة العباسية مواتيـة للحكام الجدد لبناء عاصمة ملكهم الواسع فقد انشغلوا في فجر عهد دولتهم بتثبيت اركان الدولة الجديدة وتوطيدها ، والذي يبدو ان جو الكوفـة السياسي ، في الدور السري للدعوة العباسية ، كان مساعدا في جعلها مركزا طيبا للدعوة وتوسيع آراء الدعاة السياسية ، وقد استفاد ممثلو الإمام[1] الذين يقيمون في الكوفـة من كره الكوفيين لبني اميـة وسـعيهم لتجريد الامويين من الخلافة . والظاهر ان المختار بن ابي عبيد الثقفي كان قـد ادرك هذا الكره ، فخرج على الامويين ، وذهب الى الكوفة ثائرا في عام ٦٦ للهجرة [2] .

وحينما تم النصر للجيوش العباسية في خراسان[3] وفي العراق بعـد

---

(١) الامام ـ وهو ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وقد جاء في التنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٢٣٨ ـ انه لما حضرت محمدا (محمد بن الحنفية) الوفاة اوصى الى ابنه ابراهيم وسمي الامام ـ وقد قبض الخليفة الاموي مروان بن محمد على الامام ابراهيم بعد ان كشف امره وحبسه في سجن حران حتى مات فيه ويقال انه اوصى بالامامة الى اخيه عبـد الله ابن محمد بن علي (ابو العباس السفاح) وهو ابن الحارثية .

(٢) الطبري ـ ٤/ ٤٨٧ الى ٥٠١ .

(٣) راجع الطبري ٦/ الصفحات من ٢٢ حتى ٥٤ . ومروج الذهب

هزيمة ابن هبيرة[٤] دخل الجيش العباسي مدينة الكوفة[٥] ، ثم جاء ابو العباس فنزل اول الامر الكوفة[٦] .

وفي الكوفة تمت بيعة ابي العباس السفاح ، وكانت بيعته في دارالوليد ابن سعد الازدي [٧] . وبعد ان بايعه ابو سلمة الخلال « أمره ابو العباس بالانصراف الى عسكره ، فأنصرف من ليلته فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم واصطفوا لخروج أبي العباس ، وأتوه بالدواب فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الامارة بالكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ثم دخل المسجد » [٨] ثم القى خطبته المشهورة في هذا المسجد [٩] . وبعد الخطبة خرج ابو العباس السفاح «فعسكر بحمام أعين »[١٠] في عسكر أبي سلمة ... وأقام في العسكر أشهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة » [١١] وبهذا تكون الكوفة ، أول موضع ظهر فيه اسم الخليفة الجديد ، ومنها شاع اسمه الى بقية المدن والاقاليم الاسلامية الاخرى ، ومن

للمسعودي ٣/٢٥٤ .

(٤) الطبري ـ ٦/٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ٦/٧٥ .

(٦) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٧) تاريخ اليعقوبي ـ ٢/٤١٨ .

(٨) الطبري ـ ٩/٨٧ .

(٩) انظر نص خطبة ابي العباس السفاح فى تاريخ اليعقوبي ٢/٤١٩ و ٤٢٠ . .

(١٠) حمام اعين ـ معسكر للجند بالكوفة على بعد ثلاثة فراسخ منها كما روى الطبري . وسمي كذلك كما يقول البلاذري فى فتح البلدان صفحة ٢٨٠ ـ نسبة الى اعين مولى سعد بن ابي وقاص .

(١١) الطبري ـ ٦/ ٨٧ .

هنا كانت أهمية الكوفة في صدر التاريخ العباسي ، ومبعث هذه الاهمية نزول ابي العباس بها في عام ١٣٢ هجرية [١٢] .

وكما سوف نوضحه في الصفحات التالية ، أنه نزل بعدئذ في مدينة ابن هبيرة ، ثم تحول منها فبنى المدينة الهاشمية ، ثم ان المنصور بنى بظهر الكوفة مدينة سماها الرصافة [١٣] نزلها عدة مرات [١٤] . ولا يعرف موقع هذه المدينة على وجه التأكيد [١٥] كما أن الكثير من الدعاة العباسيين ومؤيديهم قد سكنوها أو زاروها ، وليس من المحال او المستبعد في شيء ان يستفيد المنصور من تخطيط الكوفة وعمائرها حينما بدأ تخطيط مدينتهم المدورة .

ب ـ الهاشمية :

روى البلاذري ان (يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره بأجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا [١٦] . فلما ظهر امير المؤمنين ابو العباس نزل تلك المدينة

---

(١٢) تاريخ اليعقوبي — ٢/ ٤١٣ .

(١٣) فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٨٥ والطبري — ٦/٢٣٤ .

(١٤) الطبري — ٦/٢٤٨ .

(١٥) مجلة كلية الآداب ـ لسنة (١٩٦٢) منطقة الحيرة . بحث للدكتور صالح احمد العلي صفحة ٢٥ و ٢٦ .

(١٦) جسر على نهر سورا — كما جاء في سهراب صفحة ١٢٤ — ونهر سورا هو قسم من نهر الفرات ، وهو اعظم من الفرات واعرض ، ويمر بقرى وضياع ويتفرع منه انهار كثيرة تسقي طسوج سورا ، ثم يمر بازاء مدينة قصر ابن هبيرة وبينهما اقل من ميل وعلى هذا النهر جسر هو جسر سورا.

واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية) [١٧] • ولم يمكث ابو العباس السفاح كثيرا في هذه المدينة ، اذ يلوح لنا بصراحة من رواية البلاذري ان الخليفة العباسي الاول قد ضاق ذرعا بالتسمية التي انتشرت عن القصر الذي أقامه ابن هبيرة ولم يتمه ، فأتمه هو ، حاسبا ان سكناه فيه ، وتتمته لبنائه سوف تنسي الناس اسم بانيه الاول ، فتطلق عليه اسم عائلته ، ومن الواضح ان رغبة الخلفاء او الملوك او الاباطرة كانت عظيمة في تخليد ذكراهم عن طريق انشاء مدينة او قصر او معبد ديني • لهذا فان الحاح الناس الذين كانوا ينسبونها الى ابن هبيرة آنذاك [١٨] ، جعل السفاح يقول « ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها » [١٩] • لذلك احجم عن سكناها والاقامة فيها « وبنى بحيالها المدينة الهاشمية » [٢٠] •

وأبو العباس الذي عاصر الدعوة العباسية في طورها السري والعلني ، وخبر الرجال ، واكتسب مع مرور السنين معرفة بالنوايا الحسنة والسيئة كان قد ادرك انه من الصعب عليه ان يركن الى الكوفيين بعد اعلان الدولة ومبادئها •

وان كانت الكوفة بيئة صالحة لنشر المبادىء العباسية طيلة الفترة السرية فان الامر أصبح يختلف كل الاختلاف بعد هذه الفترة ، لذا خشي ابو العباس أن يقيم بين الكوفيين كثيرا فآثر ان يعيش بين جنده الخراسانيين في معسكر حمام اعين ومنه كان يدير شؤون الدولة السياسية والادارية والعسكرية ،

---

(١٧) فتوح البلدان — البلاذري • صفحة ٢٨٥ •

(١٨) جاء في نفس المصدر صفحة ٢٨٥ (فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة) •

(١٩) المصدر السابق •

(٢٠) المصدر السابق•

وأشد ما كان يخشاه ابو العباس في تلك الفترة هو تعاظم الدعوة الى العلويين. هذه الدعوة التي كانت تجد صدى بعيد الاثر وتأييدا كبيرا في الكوفة وبعض الاقاليم والمدن الاسلامية الاخرى ولا يغرب عن البال ، ان بعض المؤيدين للدعوة العلوية كان من الدعاة الذين قامت على اكتافهم الدولة الجديدة ، فأبو سلمة مثلا كما يذكر فلهاوزن (ميـال الى العلويين ، يعبر عن ميله جهارا كي يجعل مكانا للشك انه لم يكن وحيدا في عواطفه ولاسيما ان زمام زعامة الحزب حتى ذلك الحين كانت في يده) (٢١) .

وأود ان ابين بوضوح ، أن اسم الهاشمية قد يكتنفه بعض الغموض والتشابه ، فالاسم يرد لمواضع وابنية متعددة ، والواضع من رواية البلاذري التي مر ذكرها ، ان أبا العباس اطلق اسم الهاشمية على المدينة التي بناها ابن هبيرة بالكوفة على الفرات ، ثم تركها بأمر من الخليفة مروان ، كمـا نوهنا سابقا ، ثم كره ابو العباس هذه المدينة ، وذلك لانها لم تشتهر بين الناس بأسم الهاشمية ، وانما بقيت تسمى مدينة ابن هبيرة فهجرها لهـذا السبب ، وبنى بحيالها مكانا سماه الهاشمية أيضا وهي بالكوفة أيضا (٢٢) ، وتعرف في كتب التواريخ بهاشمية الكوفة (٢٣) .

وحينما أنتقل ابو العباس الى الانبار بنى بها مدينة أيضا ، لم يذكر البلاذري أسمها ، وانما أشار اليعقوبي صراحة في البلدان الى اسمها فقال عن أبي العباس انه « انتقل الى الانبار فبنى مدينة على شاطيء الفرات وسماها الهاشمية » (٢٤) .

---

(٢١) الدولة العربية وسقوطها ــ فلهاوزن صفحة ٤٣٠ و ٤٣٢ .

(٢٢) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٨٥ .

(٢٣) تقويم البلدان ــ ابو الفدا صفحة ٢٩٧ .

(٢٤) البلدان ــ اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

وكذلك ذكرها ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيـات انه « بنيت له الهاشمية الى جانب الانبار » [٢٥] .

ولما استخلف المنصور بعد وفاة السفاح بنى الهاشمية كما يتضح من رواية اليعقوبي الذي يروى ان أبا جعفر المنصور بنى مدينة الهاشمية [٢٦] . ويشير الطبري كذلك الى ان أباجعفر بنى حين افضى الامر اليه الهاشمية [٢٧] هذا بينما لايشير البلاذري الى بناء المنصور للهاشمية ، وانما يذكر ان أبا جعفر المنصور « نزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئا كان بقي منهـا وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد » [٢٨] . وهاشمية المنصور تقع حسب ما روى الطبري قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق [٢٩] . وهي تقع حسب ما ذكر اليعقوبي « بين الكوفة والحيرة » [٣٠] . ويحدد لسترانج مكانها على جانب الفرات الغربي في موقع فوق النهر الذي كان يجري في القرن العاشر الميلادي ثم يتبدد في المستنقع الكبير او البطيحة [٣١] .

ومهما يكن من أمر ، فالذي يبدو ان خلفاء بني العباس الاول ، ومنهم على وجه الخصوص السفاح والمنصور، حرصا منهم في تخليد البيت الهاشمي، وتأكيدهم حب هذا البيت وطاعته ، أطلقوا اسم الهاشمية على مراكز ومدن شادوها في فجر الدولة العباسية .

---

(٢٥) فوات الوفيات ــ ابن شاكر الكتبي . ٤٨٦/١ .

(٢٦) البلدان ــ اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

(٢٧) الطبري ــ ٢٣٤/٦ .

(٢٨) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٨٥

(٢٩) الطبري ــ ٢٣٤/٦ .

(٣٠) البلدان ــ اليعقوبي . صفحة ٢٣٧ .

(٣١) بغداد فى عهد الخلافة العباسية ــ لسترانج . صفحة ١٣ .

ولم يظل المنصور كثيرا في الهاشمية ، فقد كرهها كرها شديدا ،وخاصة بعد ثورة الراوندية ، وهم حسب ما يذكر الطبري جماعة من الناس يقولون بتناسخ الارواح ، ويزعمون ان روح آدم حلت في عثمان بن نهيك ، وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور ... وأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا قصر ربنا [٣٢] .

ولم يرض المنصور عن تصرفاتهم المخالفة لمبادىء الاسلام في الوحدانية وأنكر عليهم هـذا التأليه المتعمد الذي ينطوي على الفوضى والتخريب ، واقتناص الفرص لقتل الخليفة والوثوب الى الحكم . والظاهر ان المنصور كان يظن في الراوندية الاخلاص في اول الامر ، ولكن حينما ظهرت آراؤهم واضحة جلية ، تصدى لهم ، منكرا وغاضبا ، ونستطيع ان ندرك اهمية هذه الثورة التي انتقلت الى قصر المنصور في الهاشمية ، ان الخليفة نفسه كان الموت يحـدق به ، والسيوف مشهرة من حوله تطلب رأسه ، لذا آثر ترك الهاشمية [٣٣] . ولا شك في ان المنصور أدرك ببصيرته النافذة الحكيمة — أن ثورة الراوندية — ما هي في الحقيقة الا بدء لسلسلة من الثورات والانتفاضات هدفها تقويض الحكم العباسي وأرهاقه . وحينما عزم المنصور على بناء عاصمة له انتقل من هاشمية الكوفة هذه حسب ما يروى البلاذري واليعقوبي والطبري .

وقد روى البلاذري « واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل الهاشميـة بالكوفة واستتم شيء كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد ثم تحول منها الى بغداد فبنى مدينته » [٣٤] أما الطبري فيروى بأنه لما « ثارت

(٣٢) الطبري — ١٤٧/٦ .

(٣٣) انظر صفحة (٨٠) من هذه الرسالة .

(٣٤) فتوح البلدان — البلاذري . صفحة ٢٨٥ .

الراوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية وهي بحيال مدينة ابن هبيرة كره سكناها لاضطراب من أضطرب أمره على الراوندية » (٣٥) اما الخطيب فيروي « ان أبا جعفر تحول من الهاشمية الى بغداد » (٣٦) .

ج ـ مدينة وقصر ابن هبيرة :

وهما مدينة وقصر ينسبان الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، أحد القادة الامويين الذي تحصن في واسط خلال الحرب بين الجيش الاموي والعباسيين في العراق (٣٧) ثم قتل في مسجده بالقصر الذي ينسب اليه (٣٨) وقد ورد ذكر مدينة وقصر ابن هبيرة في رواية البلاذري حيث قال « كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره بأجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا » (٣٩) .

ومن النص السابق يتبين لنا « ان ابن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ، وهي غير قصر ومدينة ابن هبيرة المشهورة والتي هي على جسر سورا . نزلها مدة قصيرة قبل ان تتم ثم تركها لاسباب ادارية » (٤٠) .

وموقع مدينة ابن هبيرة كما موضح في رواية البلاذري بالكوفة على

---

(٣٥) الطبري ـ ٦/٢٣٤ .

(٣٦) الخطيب ـ ١/٦٧ .

(٣٧) الطبري ٦ / ١٠٤ .

(٣٨) الاخبار الطوال ـ الدنيوري . صفحة ٣٧٠ .

(٣٩) فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٨٥ .

(٤٠) مجلة كلية الآداب ـ لسنة (١٩٦٢) منطقة الحيرة . بحث للدكتور صالح أحمد العلي صفحة ٢٦ .

الفرات أما قصر ابن هبيرة فيقع « على ضفة الفرات اليسرى او الشرقية فوق الكوفة كثيرا »[٤١] .

ويظهر من رواية المقدسي — الذي عاش في القرن الرابع الهجري — عن قصر ابن هبيرة انه كان على حالة طيبة فقد كتب عنه يقول « اما قصر ابن هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الاسواق تجيئهم الماء من الفرات ، كثيرة الحاكة واليهود . والجامع في السوق »[٤٢] .

والظاهر ان المنصور بعد شروعه ببناء المدورة ، عاد فسكن قصر ابن هبيرة ، اذ يروى اليعقوبي في اثناء حديثه عن خروج محمد بن عبدالله حيث يقول « ... ولم يقر ابو جعفر الا اياما حتى اتاه الخبر بخروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وظهور أمره فرجع الى الكوفة فأقام بقصر ابن هبيرة بين الكوفة وبغداد اياما »[٤٣] .

وحينما قضى المنصور على محمد بن عبد الله وأخيه ابراهيم تحول من مدينة ابن هبيرة الى بغداد ليكمل عمارتها[٤٤] وورد ذكر قصر ابن هبيرة في حوادث القتال بين جيوش المأمون وجيش الامين فقد روى الطبري ان طاهرا قائد جيوش المأمون قد وجه الى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى[٤٥] .

---

(٤١) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٤٢) احسن التقاسيم — المقدسي صفحة ١٢١ .

(٤٣) تاريخ اليعقوبي — ٢ / ٤٥٠ و ٤٥١ .

(٤٤) تاريخ ابو الفدا — ٢ / ٤ .

(٤٥) الطبري — ٧ / ٤٢ .

د ـ الانبار

مدينة تقع على الضفة اليسرى او الشرقية من نهر الفرات جنوبي خط طول ٤٣ ، ٤٣ شرقا ، وخط عرض ٢٢ر٥ ٣٣ شمالا . ويقول جغرافيو العرب أنها على مسيرة اثني عشر فرسخا من بغداد ـ اي ما يقرب من «٦٨» كيلو مترا اذا اعتبرنا ان الفرسخ يساوي « ٧ / ٥ » من الكيلو مترات [٤٦]. الا أن ياقوت يذهب الى انها تبعد عن بغداد بمقدار عشرة فراسخ [٤٧] .

وموقع الانبار في شمال منطقة شرقي السواد ، سهل قابل للزراعة ، على مقربة من نهر عيسى ، وهو القناة الاولى الصالحة للملاحة من نهر الفرات الى نهر دجلة . وموقعها هذا جعلها تسيطر على ممر مهم في الفرات [٤٨] .

وقد خلط ماريك Marica بينها وبين مسك او مسكن ، ولكن المؤرخين العرب [٤٩] ميزوا بين الاثنين [٥٠] . ويروي ان الذي اختط هذه المدينة هو الملك الساساني سابور الثاني ، الذي حكم من عام ٣١٠ حتى عام ٣٧٩ م . ومن المرجح ان هذه الرواية لم يقصد بها تخطيط مدينة جديدة ، وانما تشير الى اعادة بناء مدينة كانت قائمة في هذا الموضع وتحصينها . لأن دراسة الاطلال القائمة الى الآن تقطع بأنه كانت هناك مدينة ترجع الى ماقبل عهد الساسانيين [٥١] . وبقيت الانبار يقطنها اناس مختلفون الى أن احتوى

---

(٤٦) Encyclopaedia of Islam, new edition. Vol. I Art. of Anbar, p. 484.

(٤٧) معجم البلدان ـ ياقوت ١ / ٣٦٧ .

(٤٨) The Middle Euphrates, Musil, p. 267, 9.

(٤٩) انظر فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٤٩ و ٢٥٠ .

(٥٠) Encyclopaedia of Islam, Art of Anbar, Vol. I p. 484.

(٥١) دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ٢ .

سكانها العنصر العربي في اثناء الفتح الاسلامي [٥٢] .

وجاء ذكر فتح الانبار ضمن الفتوحات التي تمت في العراق على عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد ذكر البلاذري أن خالدا سار الى الانبار فتحصن أهلها ثم بعث خالد المثنى بن حارثه الشيباني الى سوق بغداد وبعد انغنموه أتوا الانبار وخالد بها فحصروا أهلها وحرقوا نواحيها [٥٣] . وكان ذلك في عام ١٢ للهجرة [٥٤] . ثم روى البلاذري « فلما رأى اهل الانبار مانزل بهم صالحوا خالدا على شيء رضي به فأقرهم » [٥٥] .

وبعد مضي فترة من قيام الدولة العباسية انتقل ابو العباس الى الانبار . وبنى بها مدينة [٥٦] اطلق عليها اسم الهاشمية [٥٧] . وكان انتقاله اليها سنة ١٣٤ هجرية بحسب رواية اليعقوبي [٥٨] .

وقد أختلف الباحثون المحدثون في تاريخ انتقال ابي العباس السفاح الى الانبار ، فقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية « اتخذها ابو العباس السفاح اول خلفاء بني العباس مقرا له من عام ١٣٢ الى ١٣٦ هجرية » [٥٩] هذا بينما جاء في دائرة معارف الاسلام ، الطبعة الحديثة ان « ابا العباس حول

---

(٥٢) Encyclopaedia of Islam, Vol. I p. 484

(٥٣) فتوح البلدان ـ البلاذري . صفحة ٢٤٧ والبلدان لا عقوبي صفحة ٢٣٧

(٥٤) معجم البلدان ـ ياقوت ١ / ٣٦٨ .

(٥٥) فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٤٧ .

(٥٦) فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٨٥ . والبلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٧ . والتنبيه والاشراف للمسعودي صفحة ٣٣٩ .

(٥٧) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٥٨) تاريخ اليعقوبي ـ ٢ / ٤٢٩ .

(٥٩) دائرة المعارف الاسلامية ـ ٣ / ٣ .

عاصمته الى الانبار في عام ١٣٤ هـ ــ ٧٥٢ م »[٦٠] وقد أشار مؤلفا دليل خارطة بغداد الى عام ١٣٢ هـ فكتبا « اتخذها الخليفة العباسي الاول عبدالله السفاح (١٣٢ هـ ــ ٧٥٠ م) عاصمة لمملكته »[٦١] الا ان اصح الروايات هي التي تشير الى رواية اليعقوبي في تاريخه حيث يذكر ان انتقال ابي العباس السفاح الى الانبار كان في سنة ١٣٤ هـ [٦٢] ويبدو ان السفاح حين ترك الكوفة ، لم يكن قد أتنق على مكان بادىء ذي بدء لينزل فيه ، فسار بأتباعه مع نهر الفرات وأخذ يتفحص الامكنة التي يمر بها تفحصا دقيقا حتى انتهى الى موضع الانبار فاستطابه ورضي عنه . واشترى اراضي هذا الموضع من اصحابها ، ثم قسمها خططا وزعها على قواده وأصحابه واهل بيته [٦٣] .

وفيها توفى الخليفة العباس السفاح عام ١٣٦ هـ [٦٤] . ودفن فيها [٦٥]. بقصره [٦٦] ، وبويع بالخلافة لابي جعفر المنصور وذلك في اليوم الذي توفى فيه أخوه ، وابو جعفر يومئذ بمكة ، وكان الذي أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت السفاح ، عيسى بن موسى ، الذي كتب الى المنصور يعلمه بموت أخيه وبالبيعة له [٦٧] .

وقد ورد ذكر الانبار في أخبار خروج ابراهيم بن عبدالله [٦٨] . وورد

---

(٦٠) Encyclopaedia of Islam, Art. — Anbar, Vol. I p. 485.

(٦١) دليل خارطة بغداد ــ صفحة ٣ .

(٦٢) تاريخ اليعقوبي ــ ٢ / ٤٢٩ .

(٦٣) نفس المصدر ــ ٢ / ٤٢٩ و ٤٣٠ .

(٦٤) الطبري ــ ٦ / ١٢٠ .

(٦٥) البلاذري ــ فتوح البلدان صفحة ٢٨٥ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٣٤ .

(٦٦) تاريخ اليعقوبي ــ ٢ / ٤٣٤ .

(٦٧) الطبري ــ ٦ / ١٢١ .

(٦٨) نفس المصدر ــ ٦ / ٢٤٢ .

ذكرها في الطبري حينما تناول خبر مقتل ايتاخ الخزري (٦٩) في عام ٢٣٥ هـ
وجاء ذكر الانبار كذلك في الطبري بحوادث عام ٢٥٠ هـ في اثناء حديثه عن
الفتنة التي وقعت بين أهل بغداد وجنود المعتز في سامراء (٧٠) .

ومر بها الرحالة ابن بطوطة في عام ٧٤٨ هـ — ١٣٤٧ م وكتب في رحلته
يقول « ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم الى هيت ثم الى
عانة » (٧١) .

والظاهر ، ان آخر ذكر للانبار جاء في حوادث تاريخ العراق لسنة
٨٢٤ هـ — ١٤٢١ م ، حيث ذكر الغياث البغدادي في التاريخ الغياثي « انه
دخل الحلة شخص من الانبار يقال له ابو علي ... مع أخ له اسمه ناصر
الدين ... واقام ابو علي مع نايب الامير ... لاستيفاء المال المقرر » (٧٢) .
والذي يبدو ان الانبار بدأ خرابها بعد هذا التاريخ لكثرة الحروب
ثم انتقل فوج منهم الى الكاظمية ولاتزال محلتهم تعرف بمحلة الانباريين (٧٣) .
والانبار اليوم اطلال واسعة فوق الفلوجة بشيء يسير بينها وبين ضفة الفرات
مزار يعرف بالفياض (٧٤) .

---

(٧٠) نفس المصدر — ٧ / ٤٤٤ .

(٧١) رحلة ابن بطوطة — ٢ / ١٧٥ .

(٧٢) التاريخ الغياثي — فتح الله البغدادي الملقب بالغياث (مخطوط)
حوادث سنة ٨٢٤ هـ صفحة ١٨٦ .

(٧٣) دليل خارطة بغداد — صفحة ٢ و ٤ .

(٧٤) سومر مجلد ٨ « ١٩٥٢ » صفحة ٢٥٢ و ٢٥٣ .

الفصل الثاني

العوامل التي دفعت المنصور الى اختيار بغداد

كانت للعاصمة أهمية عظمى في الادارة والتنظيم ، وعلى وجه الخصوص في العهود السابقة قبل ان تتطور الانظمة الادارية وتنتقل من مرحلة المركزية كنظام للسيطرة والحكم وتسيير دفة الامور الى نظام اللامركزية الذي أخذت به بعض الدول في السنين الاخيرة .

وطبيعة النظام المركزي في تلك العهود كان يحتم على الاقاليم المنضوية تحت أية امبراطورية ، ان تكون مشدودة الى العاصمة المركزية شدا وثيقا ، وهذا النظام الذي أخذت به الدول الاسلامية في الفترات المختلفة من عهود قوة المسلمين منح العواصم الاسلامية — التي اصبحت بعدئذ مراكز حضارية وعسكرية في آن واحد — القوة والسيطرة ، ومن الفترة التي حكم فيها المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام حتى الوقت الذي خسر المسلمون فيه سيادتهم ، تبرز لنا عدة مدن ، يقترن تاريخها مع عظمة المسلمين واشراق حضارتهم ، كعواصم سجلت بكل فخر واعتزاز ، تاريخ العرب والمسلمين عبر الاجيال ، والذي يبدو انه كانت لهذه العواصم ارتباطات وثيقة الصلة بالاسرات الحاكمةالتي تتابعت في حكم الدولة الاسلامية ، ولقد لفتت هذه الصلة نظر المستشرق الانكليزي لسترانج فكتب يقول « يظهر ان الضرورة قد اقتضت في الشرق ان تتخذ كل اسرة مالكة حديثة عاصمة جديدة لها »[1] .

---

(١) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٩ .

وهذا أمر بديهي ، بالنسبة لطبيعة الاسرات العربية او المسلمة الحاكمة ويتعلق أشد التعلق بالظروف السياسية التي جاءت فيها الى الحكم ، واذا ما القينا نظرة سريعة عاجلة الى العواصم الاسلامية المهمة ، التي كانت فيما مضى ذات أهمية كبيرة في تأريخ المسلمين وحضارتهم ، نلاحظ ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، بدأ دعوته السرية في مكة ، واستطاع فيها ان يجمع حوله نفرا من المؤمنين بالرسالة ، وبعد مضي مدة استبدل الدعوة السرية بالدعوة العلنية ، كان من نتائجها ان اضطهد هو واصحابه مما اضطرهم الهجرة الى يثرب ، والتي سميت فيما بعد باسم (المدينة) او (مدينة الرسول) ، وبعد سنين قليلة فتح المسلمون مكة فدخلوها فاتحين منتصرين واصبحت مكة منذ ذلك الوقت بيد الرسول واصحابه ، ومع وجود الكعبة فيها ومدى ما يكنه العرب والمسلمون لهذا المبنى من قدسية وتعظيم وتكريم مع ذلك فضل النبي عليه الصلاة والسلام ان يبقى في المدينة ، فاتخذها عاصمة له طيلة حياته اكراما لثراها الطيب الطاهر ، وحبا لاهلها الذين آووه ونصروه ، وبقيت كذلك في خلافة الراشدين الثلاثة الاول ابي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) وحينما جاء الإمام علي (رضي الله عنه) الى الحكم لبث فيها قليلا ثم سار الى العراق[٢] ، وبذلك تحولت العاصمة من الحجاز الى العراق .

وحينما اخذ الامويون زمام الحكم ، كان لا بد من ان يختاروا دمشق عاصمة لهم ، إذ ان الشام كانت تدين بالطاعة والولاء لمعاوية وعائلته ، ومن غير المعقول ان يترك معاوية منطقة موالية له لينتقل الى منطقة اخرى غير موالية له ، ومعاوية الذي خبر أهل الشام وعرف ودهم واغدق عليهم صلاته ، لا يمكن لمن كان مثله وفي ظروفه ان يتخذ من مكة او المدينة مثلا عاصمة له ، اذ المعروف عن هاتين المدينتين انهما مشهورتان بولائهما لشيوخ الصحابة

---

(٢) تاريخ اليعقوبي — ٢ / ٢١١ وما بعدها .

رضي الله عنهم ، وكذلك لم يكن لمعاوية الخيار في سكنى الكوفة • لـذا كانت دمشق ملائمة ومنسجمة كل الانسجام مع الحكم الاموي الجديد • فهي تقع في اخصب بقعة وعلى ممر طريق الحجاز حيث كانت المدينة ومكة المركزين الرئيسيين للسلطة الدينية في الاسلام ، وعدا ذلك فهي محمية بالصحراء العربية التي كان الخلفاء يأتون بجنودهم منها ، ولم يزل اهلها يؤثرون سكناها ويرتعون بها في بحبوحة من العيش وهم في الوقت نفسه مستعدون للحرب عند الحاجة ، كما ان دمشق كانت قريبة من حدود دولة الروم البيزنطيين ، التي كان يجتازها الجيش العربي في خلال التسعين سنة من الحكم الاموي ، فيهجم على آسية الصغرى من حين لآخر[٣] •

وحينما تم النصر للعباسيين ، كان موضوع اختيار عاصمة جديدة بالنسبة للخليفة الاول ابي العباس السفاح ، من الامور المهمة التي شغلت باله في اول عهد الدولة العباسية ، وقد سبق ان تطرقنا الى هذا الموضوع في مكان سابق ، ولاحظنا ان السفاح قد تنقل بين عدة مراكز ، واشرنا ايضا الى بعض الاسباب التي دفعته الى تغيير هذه المراكز ، والظاهر انه لم يحسم هذه القضية حسما ناجزا ، وكان لقصر مدة خلافته اثر كبير في ذلك •

ولما استخلف ابو جعفر المنصور ، انتقل اول الامر الى منطقة الكوفة فبنى مدينة الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة ، كما مر بنا سابقا ، ثم شرع بعد اكثر من ثماني سنوات في بناء بغداد المدورة • ومن الروايات المختلفة للمؤرخين العرب[٤] يظهر ان الذي اوجد المدينة المدورة كفكرة في اول الامر ، ثم نفذها فأصبحت حقيقة واقعة تشهد بعظمة الدولة العباسية ، هو

---

(٣) بغداد في عهد الخلافة العباسية ـ لسترانج صفحة ١٠ .

(٤) انظر البلدان لليعقوبي صفحة ٢٣٧ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤٩ والخطيب ١ / ٦٦ وما بعدها والطبري ٦ / ٢٣٤ وياقوت ١ / ٦٧٧ •

ابو جعفر المنصور ، ومع هذا الاتفاق التام في استحداث المدينة المدورة ، الذي يكاد يجمع عليه معظم المؤرخين المسلمين، مع هذا يروى المقدسي رواية يستشف منها ان الذي احدث بغداد هو ابو العباس السفاح فيقول «احدثها ابو العباس السفاح»[٥] .

ولا نستطيع ان نحدد على وجه التأكيد ما الذي يقصد به المقدسي من ان بغداد كان قد احدثها ابو العباس السفاح، فان كان يقصد من وراء ذلك ان السفاح قد بناها ، او أحدث في موضعها بعض العمارة ، فان هذا غير صحيح ، ولا يمكننا بأي حال من الاحوال ان نأخذ برواية المقدسي هذه ، اذ انها لم تؤيد لنا بالنصوص التأريخية الاخرى .

والذي نستطيع ان ندركه من رواية المقدسي السابقة ، هو ان السفاح ربما قد استحسن موضع بغداد القديم في أثناء بحثه عن مكان يبني فيه مدينة له . ولم يشرع ببنائها ، وانما الذي بنى في موضع بغداد هو المنصور ، وذلك موضح من سياق كلام المقدسي نفسه فهو يعقب بعد جملته تلك مباشرة من ان المنصور بنى « بها مدينة السلام »[٦] .

ومهما يكن من أمر فان معظم المؤرخين والباحثين المحدثين لا يختلفون في ان موجد مدينة السلام وبانيها هو الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور .

أما سبب بناء بغداد ، فيروي الطبري انه لما « ثارت الراوندية بابي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية وهي التي بحيال مدينة ابن هبيره كره سكناها لاضطراب من اضطرب امره عليه من الراوندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه فأراد ان يبعد من جوارهم »[٧] .

---

(٥) احسن التقاسيم — المقدسي صفحة ١١٩ .

(٦) نفس المصدر — صفحة ١١٩ .

(٧) الطبري — ٦ / ٢٣٤ .

ويروي الطبري رواية اخرى عن سبب بناء المنصور للمدينة المدورة فيذكر انه « افسد أهل الكوفة جند امير المؤمنين المنصور فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا »[٨] .

الواضح من الروايات العربية المختلفة ، والتي اشارت الى بناء المدينة المدورة ، كما قدمنا بعضا منها مما رواه الطبري قبل قليل ، ان الباعث الذي حدا بالمنصور الى ايجاد بغداد هو ثورة الراوندية التي خشى المنصور من ان تتطور فتتضاعف بعدئذ ، ومن يدري فلربما توقد ثورة كبيرة تذهب باستقرار دولته وامنها ، وتودي بحياته وخلافته وظهرت حديثا بعض البحوث التي لا تأخذ بهذا الرأي ولا تقر به كأساس لبناء المدينة المدورة ، ففي « مختصر تاريخ بغداد » اورد المؤلف حاشية عند كلامه عن اختيار موقع بغداد جاء فيه انه « لا صحة لما قيل من ان المنصور كره الهاشمية لقربها من الكوفة التي كانت حينذاك مركز الفتن وانه كرهها منذ ثارت عليه جماعة الراوندية سنة ١٤١ هـ . أو انه كان خائفا من اشياع ابي مسلم الخراساني الذي قتله في ساباط[٩] فبنى بغداد وحصنها وغاية ما هنالك انه بناها لاهمية موقعها من جهة ادارة الملك ولا يخفى ما في ذلك من عظيم الغاية بتدبير امر الدولة»[١٠]

---

(٨) نفس المصدر ٦ / ٢٣٤ .

(٩) المنصور لم يقتل ابا مسلم الخراساني فى ساباط كما ورد اعلاه ، وانما تشير الروايات العربية المختلفة ان المنصور قتل (الخراساني) فى (الرومية) التابعة للمدائن التي كان المنصور قد نزل بها ، حيث جاء فى تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤٠ (فأنصرف ابو مسلم واقبل يريد خراسان مغاضبا لابي جعفر فمر بالمدائن وابو جعفر نازل برومية) وقال الدنيوري فى الاخبار الطوال صفحة ٣٧٧ عن ابي مسلم « حتى وافى أبا جعفر بالرومية » .

(١٠) مختصر تاريخ بغداد — على ظريف الاعظمي صفحة ٥ و ٦ .

ويعلل «ريجارد كوك» Richard Coke سبب بناء المدينة المدورة للضرورة السياسية فيقول « ولعل سبب اقدام الخليفة المنصور على بناء المدينة راجع الى ضرورة سياسية آنية ، لا الى مطلب اجتماعي شائع ، ولقد شعر المنصور الخليفة العباسي الثاني ، بعد مضي قرابة عشر سنوات من حكمه ان كيانه الشخصي وكيان اسرته غير مرتكنين الى اساس قويم(١١) .

مما سبق يتبين لنا ان قسما من البحوث الحديثة لا تلتزم بالنصوص التي اوردها المؤرخون المسلمون ، وانما تحاول ايجاد مبررات تستند الى التأويل وليس الى النصوص . وبعضا منها لا تعير مسألة الراوندية أي اهتمام ، وانما تتجاهل هذه الثورة وترى ان هذه القضية لم تكن امرا ذا أهمية بالغة تستدعي المنصور لانشيد مدينة كبغداد المدورة ، وانما القضية كما تعرضت للمنصور من خلال تجاربه الادارية والسياسية ان يوجد عاصمة لملكه الواسع ، وفي مثل هذا المعنى قال الدكتور سليم عادل عبدالحق(١٢) .

وقد يكون في بعض ما قدمناه شيء من الصحة والحق ، ولكن ليس كل الحق ولا كل الصحة ، وان كانت البواعث الرئيسة التي حفزت المنصور الى الانتقال من الهاشمية وبناء بغداد ، قد بعدت عن بال بعض الباحثين ، فان هذا لايعني اننا نغض النظر فلا نتحرى الحقائق وتتلمس الاسباب ، ولقد فطن بعض الباحثين المحدثين الى هذا فأوردوا الحقائق كما هي مجردة عن كل هوى ، حيث اشار الدكتور عبدالعزيز الدوري اشارة موفقة مستقاة من المصادر العربية في تعليله لانتقال المنصور من هاشمية الكوفة ، التي لم يرتح لها لانها لم تكن منيعة كما اوضحت فتنة الراوندية ذلك ثم انها قريبة

(١١) بغداد مدينة السلام — ريجاردكوك . ١ / ٢٣ .

(١٢) محاضرة الدكتور سليم عادل عبد الحق التي القاها فى قاعة الشعب تحت عنوان « تشييد بغداد وأثره فى فن العمارة والعمران العربي والعالمي » .

من الكوفة العلوية التي كان المنصور يخشى اهلها(١٣) .

وقد ايد بطرس البستاني في دائرة المعارف سبب البناء خوفا من أهل الكوفة وكرهه للراوندية الذين كانوا يسكنون فيها ، ولذلك انتقل الى موضع آخر ليبني فيه(١٤) .

وفي رأينا ان قضية الراوندية أو بتعبير أدق ، ثورة الراوندية لم تكن قضية بسيطة هينة كتلك البساطة التي يأخذ بها الباحثون المحدثون وانما كانت مسألة مهمة بالنسبة لابي جعفر المنصور حيث لفتت نظر الخليفة الى موطن الضعف في عاصمته الهاشمية ، ولو فرضنا ان المنصور كان قد فكر في اثناء سكناه بالهاشمية اتخاذ عاصمة جديدة لدولته فان هذه الثورة قد حفزته للاسراع في التنفيذ .

وقد ذكر الطبري في تأريخه رواية ، ومن نص هذه الرواية ، ان كانت صحيحة نستطيع ان ندرك مقدار الاثر الذي تركته ثورة الراوندية في نفس المنصور ، ذلك الاثر الذي حرك المنصور لان يعترف صراحة بان يوم الراوندية كاد يودي بحياته ، ومن هنا نستطيع ان نؤكد في ثقة واطمئنان ان هذه الثورة كانت حافزا له لبناء المدينة المدورة . فقد روى الطبري بسنده ان المنصور قال « اخطأت ثلاث خطيات وقاني الله شرها ، قتلت ابا مسلم وانا في خرق ومن حولي يقدم طاعته ويؤثرها ولو هتكت الخرق لذهبت ضياعا . وخرجت يوم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعا . وخرجت الى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ضياعا »(١٥) .

وهناك سبب قد يكون مهما لبناء المدينة المدورة ، وهو رغبة الخلفاء

---

(١٣) انظر العصر العباسي الاول — الدكتور الدوري صفحة ٩٤ .

(١٤) دائرة المعارف — بطرس البستاني . ٥ / ٥٠٨ .

(١٥) الطبري — ٦ / ١٤٩ .

والحكام المسلمين في اقامة العمائر وتشييد المدن التي تحفظ اسماءهم وتبقي على ذكرها والامثلة على ذلك كثيرة ، ولا بأس اذا ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر ، ان المتوكل حينما شيد المتوكلية في سامراء وانتقل اليها عام ٢٤٧ هـ ، كان سروره عظيما بعاصمته الجديدة هذه على طريقة غيره من الحكام ولا سيما الشرقيين وقد سجل لنا اليعقوبي سرور المتوكل بقوله : « الآن علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها »[١٦] .

واضافة الى الاسباب المتقدمة فهناك اسباب اخرى تعتبر من أهم الاسباب ، سأتناولها في الصفحات القادمة .

لقد رأى المنصور ضرورة تغيير عاصمته الهاشمية ، لذا عزم البحث عن موضع يصلح لان يكون عاصمة لملكه الواسع . وقد روى الطبري في حديثه عن بحث المنصور لموضع مدينته المدورة فقال « انه خرج بنفسه يرتاد له موضعا يتخذه مسكنا لنفسه وجنده ويبتني به فبدأ فانحدر الى جَرْجَرَايا[١٧] ثم صار الى بغداد ثم مضى الى الموصل ثم عاد الى بغداد فقال هذا موضع معسكر صالح »[١٨] .

ويروي الطبري رواية اخرى مؤكدا الرواية السابقة قال « أفسد أهل

---

(١٦) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٦٧ .

(١٧) جرجرايا ــ وهي كما جاء في معجم ياقوت ٢ / ٥٤ ــ بلد من أعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، وقد كانت مدينة ولكنها خربت مع ما خرب من النهروانات ، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء ، وممن ينسب اليها محمد بن الفضل الجرجراي وزير المتوكل على الله بعد ابن الزيات ثم وزر للمستعين بالله ومات سنة ٢٥١هـ وكان من أهل الفضل والادب والشعر .

(١٩) الطبري ٦ / ٢٣٤ .

الكوفة جند امير المؤمنين المنصور عليه فخرج نحو الجبل يرتاد منزلا والطريق يومئذ على المدائن فخرجنا على ساباط (١٩) فتخلف بعض اصحابه لرمد أصابه فأقام يعالج عينيه فسأله الطبيب اين يريد امير المؤمنين قال يرتاد منزلا » (٢٠) .

ويروي الطبري رواية ثالثة بسنده فقال انه «لما أراد ابو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادا يرتادون له موضعاً ينزله واسطا رافقا بالعامة والجند فنعت له موضع قريب من بارما (٢١) وذكر له عنه غذاء طيب فخرج اليه بنفسه حتى ينظر اليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعا طيبا فقال لجماعة من اصحابه منهم سليمان بن مجالد وابو ايوب الخوزي وعبدالملك بن حميد الكاتب وغيرهم ما رأيكم في هذا الموضع قالوا ما رأينا مثله هو طيب صالح موافق . قال صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وانما اريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة فاني ان اقمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فأنا نازل فيه وبائت به فان اجتمع فيه ما اريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله

(١٩) ساباط كسرى بالمدائن — وهو موضع معروف كما جاء في معجم ياقوت ٣ / ٣ .

جبل بارما في وسط الجزيرة مما يلي المغرب والمشرق .

(٢٠) الطبري — ٦ / ٢٣٤ .

(٢١) بارما ذكر ياقوت في معجمه ١ / ٤٦٣ و ٤٦٤ بأنه جبل بين تكريت والموصل وهو الذي يعرف بجبل حمرين ، وتشق دجلة هذا الجبل عند السن ، والسن في شرقي دجلة فتجرى بحافتيه وفي الماء منه عيون للقار والنفط ويمتد

للجند والناس ابتنيه نخبر انه اتى ناحية الجسر فعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وكان في صيف وكان في موضع القصر بيعة قس ثم بات ليلا حتى أصبح فبات أطيب مبيت في الارض وارفقه واقام يومه فلم ير الا ما يحب فقال : هذا موضع ابني فيه فانه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الانهار ولا يحمل الجند والعامة الا مثله فخطها »[٢٢] .

ويروي الطبري ان المنصور لما رجع من ناحية الجبل سأل عن خبر القائد الذي حدثه عن الطبيب الذي اخبره عما يجدون في كتبهم من خبر مقلاص ونزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا بصاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقه فسألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فأخبره كل واحد بما عنده من العلم فوجه رجالا من قبله وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية فبات كل رجل منهم في قرية منها وأتاه بخبرها وشاور المنصور الذي احضرهم وتنحر اخبارهم فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد فأحضره وشاوره وساءله فهو الدهقان الذي قريته قائمة الى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي . وقباب القرية قائم بناؤها الى اليوم وداره ثابتة على حالها فقال يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الامكنة وطيبها وما يختار منها فالذي ارى يا امير المؤمنين ان تنزل اربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بُوق[٢٣] وكَلْواذى[٢٤] فأنت تكون بين نخل وقرب الماء

---

(٢٢) الطبري — ٦ / ٢٣٤ و ٢٣٥ .

(٢٣) طسوج نهر بوق فى الجانب الشرقي من بغداد قال عنها ياقوت فى معجمه ١ / ٧٦٢ « نهربوق كورة بغداد نفسها » .

(٢٤) طسوج كلواذي — وهي كما جاء فى معجم ياقوت ٤ / ٣٠١ انها

فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات وانت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات وتجيئك طرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك الميرة من أرمينيه وما اتصل بها في تامرا[٢٥] حتى تصل الى الزاب وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله وانت قريب من البر والبحر والجبل . فازداد المنصور عزما على النزول في الموضع الذي اختاره . وقال له يا أمير المؤمنين ، ومع هذا فان الله قد منّ على امير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده فليس احد من اعدائه يطمع في الدنو منه والتدبير في المدن ان لا تتخذ لها الاسوار والخنادق والحصون ودجلة والفرات خنادق لمدينة امير المؤمنين »[٢٦] .

وروى الطبري رواية أخرى فقال « بعث المنصور رجالا في سنة ١٤٥

« قرب مدينة السلام وناحية الجانب الشرقي من بغداد » واضاف « بأنها قد خربت فى زمانه وأثرها باق » . والظاهر ان الجانب الشرقي من بغداد قد قسم على طريقة مشابه لتقسيم الجانب الغربي . وطسوجا الجانب الشرقي أحدهما شمالي وهو يعرف بأسم طسوج نهربوق والقسم الجنوبي يسمى طسوج كلواذي ونهر بين .

(٢٥) قال ياقوت فى معجمه ١ / ٨١٢ و ٨١٣ عن تامرا « وهو طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن فى ايام المدود ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها » .

(٢٦) الطبري — ٦ / ٢٣٥ و ٢٣٦ .

يطلبون له موضعا يبني فيه مدينته فطلبوا وارتادوا فلم يرض موضعا حتى جاء فنزل الدير الذي على الصراة فقال هذا موضع ارضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة »[٢٧] .

وروى صاحب تاريخ الفخري ان المنصور خرج بنفسه يبحث عن الموقع فقال « فخرج بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولاهله ولجنده فانحدر الى جرجرايا ، واصعد الى الموصل ثم ارسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل وامرهم بارتياد موضع فاختاروا له مدينته التي تسمى مدينة المنصور »[٢٨] .

من الروايات السابقة التي اعتمدنا عليها من تاريخ الطبري وغيره ، وما رواه اليعقوبي[٢٩] واخبر به ياقوت[٣٠] يتضح لنا بصورة جلية ان الخليفة المنصور اهتم اهتماما خاصا في اختيار الموقع الذي سيقيم عليه مدينته المدورة ومن النصوص التأريخية المختلفة تلك ، اصبح معروفا عن المسلمين منذ فجر الاسلام حتى بناء بغداد ، انهم كانوا يتخيرون مواضع مدنهم ، ويتفحصون امكنتها تفحصا طوبوغرافيا ، لذلك وضعوا شروطا وقواعد لبناء المدن وتخطيطها[٣١] .

(٢٧) نفس المصدر — ٦ / ٢٣٦ و ٢٣٧ .

(٢٨) الفخري — ابن الطقطقي صفحة ١٦١ .

(٢٩) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٧ .

(٣٠) معجم البلدان — ياقوت ١ / ٦٨٠ و ٦٨١ .

(٣١) كتب الاستاذ ناجي معروف بأنه يلاحظ فى تخطيط المدن العربية الاسلامية النقاط التالية .

أولا — لقد عني العرب ببناء المدن فى الفتح ، وفى اثناء تأسيس دولتهم ، لاتخاذها معسكرات وحصرنا . ولذلك بنوها على طرف البادية قريبة من الماء كالكوفة والبصرة والفسطاط لايفصل بينهم وبينها بحرا او ماء وذلك ليتمكنوا

وطبيعي ان هذا خلاف ما ذكره ابن خلدون في مقدمته حيث يقول في الفصل الذي عقده « في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليهـا الخراب الا في الاقل » ويعلل سبب ذلك بقوله « والسبب في ذلك شـأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله — والله أعلم — وجه آخر وهو أمس به ، وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب المياه والمزارع والمراعي فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر ورداءته من حيث العمران الطبيعي، والعرب بمعزل عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة ولا يبالون بالمـاء طاب أو خبث ، ولا قل أو كثر ، ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنـابت والاهوية بانتقالهم في الارض ونقلهم الحبوب من البلد البعيد . فأما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كلها . والظعن كفيل لهم بطيبها لان الرياح انما تخبث

من أن يحموا ظهورهم بالصحراء ويتخذوا منها خطا لرجعتهم عند اشتباكهم مع الاعداء ، لذلك لم يعنوا باحاطتها بالاسوار المنيعة وببناء القلاع الحصينة ... ولما توغل العرب فى البلاد المجاورة لهم واستقروا بها عنوا بوجه خاص عند تخطيط المدن باحاطتها بخناق وتسويرها بالاسوار المتعددة وتحصينها بالابراج الكثيرة ويظهر ذلك واضحا فى تحصينات بغداد . اما فى سامراء فلم يعنى العباسيون بالاسوار كثيرا وذلك لانهم أمنوا شر أعدائهم بعد ان مضى على تأسيس دولتهم نحو قرن من الزمن .

ثانيا — وكانوا يعنون أيضا بتنظيم الاسواق وترتيبها داخل المدن وتصنيفها حسب ما يباع بها من السلع كما كانوا يعنون بأنشاء البرك والمنتزهات وحدائق الحيوانات وحلبات السباق .

ثالثا — كان العرب يحرصون فى الوقت نفسه ان يكون المحل المختار لبناء المدن صحيا خاليا من الحشرات غير موبوء ولا وخم الهواء وان تكون مناظره مما ترتاح له النفس . « انظر عروبة المدن الاسلامية الصفحات من ٢٤ حتى ٢٩ » .

مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات . وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان ، كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي ابلهم ، وما يقرب من القفر ومسالك الظعن ، فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن[٣٢] .

وقبل أن نناقش رأي ابن خلدون الذي ذكرناه آنفا ، نحب ان نشير الى ان بعض الباحثين يعتبر الفصول التي عقدها ابن خلدون في مقدمته انما هي « تأملات فلسفية اجتماعية » ولا تعتبر حجة تأريخية[٣٣] والعرب الذين قصدهم ابن خلدون هم فئة العرب «البدو» في مراحل التأريخ المختلفة ، ويؤكد ذلك « البارون ده سلان » الذي ترجم ابن خلدون في سنة ١٨٦٢. ويقرر في هذه الترجمة ان ابن خلدون استخدم « كلمة العرب بمعنى البدو »[٣٤] .

ودراسة النصوص التي اوردها ابن خلدون في حديثه عن المباني التي كان العرب يشيدونها والمدن التي يختطونها تدعونا ان نؤكد ان ابن خلدون لم يكن منصفا او عادلا في حكمه على العرب ومبانيهم ، واذا لاحظنا النص الذي سبقت الاشارة اليه في رواية ابن خلدون نرى انه يقول « وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي المهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن » .

واذا امعنا النظر في النصوص التأريخية التي سجلت بناء هذه المدن الثلاث ، البصرة والكوفة والقيروان ، ندرك ان الذين خطوها وبنوها كانوا من الصحابة والمسلمين من أهل الحجاز واليمن وغيرهم ، والمعروف عن هؤلاء

---

(٣٢) مقدمة ابن خلدون — ١ / ٦٤٦ و ٦٤٧ .

(٣٣) مساجد القاهرة ومدارسها — الدكتور أحمد فكري صفحة ١٠

(٣٤) انظر الحاشية (٣٥٩) على صفحة ٤١١ من المجلد الثاني تعليق الدكتور علي عبد الواحد وافى في مقدمة ابن خلدون .

انهم من سكنة المدن وانهم عرب اقحاح ولم يكونوا بدوا البتة ولا اعرابا.

واضافة الى ذلك ، نلاحظ ان العرب والمسلمين حينما اختطوا تلك المدن التي اشار اليها ابن خلدون ، تحروا عن الموضع ، وان بناء مدينتي الكوفة والبصرة تم بموافقة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتحت مشورته ، وقد ذكر البلاذري ان عمر كتب الى عتبة بن غزوان حينما استشاره في اتخاذ منزل للمسلمين يقول « اجمع اصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفته »(٣٥) .

وفي حوادث بناء الكوفة كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا(٣٦) .

وروى البلاذري انه (لما فرغ سعد بن ابي وقاص من موقعة القادسية توجه الى المدائن ... فانزلها جنده فاحتووها فكتب الى سعد ان حولهم فحولهم الى سوق حكمه وبعضهم يقول الى كويفة دون الكوفة .. فأصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمه ان الناس قد بُعِضوا وتأذوا بذلك فكتب اليه عمر ان العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الا ما يصلح الابل فارتد لهم موضعا عدنا ولا تجعل بيني وبينهم بحرا »(٣٧) .

وروى البلاذري رواية اخرى مجملها هي ان المسلمين اقاموا بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها ثم انهم استوخموها واستوبؤها فجرت بين سعد بن ابي وقاص وعمر بن الخطاب مراسلات بضرورة تغيير هذه المدينة فارتاد سعد كويفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها فخرجوا حتى اتوا

---

(٣٥) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٣٤١ .

(٣٦) نفس المصدر — صفحة ٢٧٤ .

(٣٧) المصدر السابق — صفحة ٢٧٤ و ٢٧٥ .

موضع الكوفة فانتهوا الى الظهر وكان يدعى خد العذراء[٣٨] ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها[٣٩] .

مما سبق يتبين لنا ان العرب حينما اختطوا البصرة عام ١٤ هجرية والكوفة عام ١٧ هجرية حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي يعتبر نفسه حاكما مسؤولا عن راحة وسكنى الجيوش المقاتلة ان ينزل الجند في مكان صالح غير موبوء ، لذلك حينما نزلوا المدائن ، ولم تكن موضعا صالحا ، من مختلف الوجوه تحولوا عنها بأمر من الخليفة كما مر بنا .

وخلاصة ما نريد ان نؤكده هو ان في قول ابن خلدون بعدا عن الحقيقة واغفالا للنصوص التأريخية الموثوقة بها التي وردت في بعض المصادر العربية ففي قوله « قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن »[٤٠] مخالفة تامة وصريحة لما اوردناه من الروايات التأريخية التي تشير الى ان المسلمين عند بناء مدينتي البصرة والكوفة تحولوا من موضع الى آخر ، بارشاد من الخليفة عمر بن الخطاب . وفي بناء بغداد رأينا ان المنصور تحرى عن المكان وتفحصه تفحص خبير عارف ، وكذلك فعل المعتصم حين باشر بناء سامراء[٤١] .

تكلمنا في صفحات سابقة عن منطقة بغداد قبل الاسلام ، وتناولنا بحث انهار وقرى منطقة بغداد الغربية بشيء من التفصيل ، ورأينا ان الخليفة العباسي قد درس هذا الموضع دراسة مستفيضة عميقة ، وأرسل الوفود الى بعض المناطق ليجمعوا له الاخبار ، ويستفسروا عن المكان ، كما انه لم يكتف

---

(٣٨) خد العذراء ـ كانوا كما يقول ياقوت في معجمه ٢ / ٤٠٦ ـ الكوفة خد العذراء لنزاهتها وطيبها وكثرة اشجارها وأنهارها .

(٣٩) فتوح البلدان ـ صفحة ٢٧٦ و ٢٧٧ .

(٤٠) مقدمة ابن خلدون ـ ١ / ٦٣٩ .

(٤١) البلدان لليعقوبي صفحة ٢٥٦ و ٢٥٧ .

بذلك وانما تنقل بنفسه في عدة مناطق ودعا بعض أصحاب تلك المناطق الذين يسكنون فيها ، فشاورهم في الامر وقد أشرنا الى ذلك في الصفحات السابقة.

ومن نتائج زياراته الشخصية وما حمله اليه الرسل والوفود ، اضافة الى ما أشار عليه اصحاب القرى آنذاك ، تكونت للمنصور فكرة واضحة وهي ان هذه المنطقة هي أحسن منطقة لتشييد عاصمته .

ولم يكن الموضع الذي أختاره المنصور ،موضعا غير معروف ولا مأهول اذ المعروف من الدراسات الاثرية ، ومما نراه اليوم شاخصا من الآثار في المناطق المحيطة ببغداد ، في المدائن وسلوقية وبابل وعكركوف ، ان بعض الشعوب التي عاشت في العراق ، وسجلت تاريخ حضارته القديمة ، كانت قد جذبت الى هذه المنطقة وسكنت في بعض أجزائها كالبابليين ، والكاشيين. والبارثيين ، والاسكندر ، والسلوقيين .

ولقد كان من نتائج قيام الحضارات في هذه المنطقة والاجزاء القريبة منها ، قبل الاسلام وازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، بعد الفتح الاسلامي للعراق ، ان خلط بعض السواح والباحثين بين مدينتي بغداد وبابل من جهة وبين بغداد والمدائن او سلوقية من جهة أخرى ، ومن هذا نستنتج ان بعض اولئك الباحثين يعتبر موضع قرية بغداد القديمة هو نفسه موضع المدائن او سلوقية ، ولا شك ان هذا الخلط ناتج من عـدم تحري اولئك الباحثين المواضع بدقة وأناة وناتج أيضا من تعاقب بعض المدنيات في المواضع التي في جنوبي بغداد وبناء بعض القواعد والمدن الفارسية والسلوقية فيه ، ولقد لفت النظر الى هذا الخلط والاضطراب ديلافالا Pitro Della Valle [٤٢] . زار هذا الرحالة بغداد في عام ٦١٦ و ١٦١٧ ، قبيل سقوطها على أيدي الفرس

---

(٤٢) Della Valle - Reissbesch (Ubers. Von Wiederhold Genf, p. 193—195, 209.

وصحح بصورة اساسية الغلطة السائدة في هذا الدور في التباس مدينة بغداد مع بابل القديمة ، ويذكر في نفس الوقت ان بغداد ليست مدينة سلوقية كما انها ليست طاق كسرى (٤٣) .

وسوف يتبين لنا في اثناء الكلام عن « اسم بغداد » في فصل قادم ، ان موضع بغداد القديم كان مسكونا الى فترة تمتد عشرات المئات من السنين او بما يزيد على الالفي سنة قبل الفتح الاسلامي ، وانه « كان مركزا حربيا واقتصاديا وتجاريا وقد انتشر في جواره العمران من كل صوب لوقوعه في بقعة متوسطة بين مراكز المدنيات البابليين والآشوريين والكيشيين واليونان والفرس ، فكان نقطة التقاء بين الامم المختلفة ، فأزدهرت فيه بابل ثم سلوقية ثم طيسفون ... وأخيرا بغداد في عهد المنصور » (٤٤) .

واذا ما تفحصنا موضع بغداد تفحصا دقيقا يتبين لنا ان المكان يمتاز بمزايا عديدة وان الله قد منحه مكانة جعلت منه محلا ملائما للدولة العباسية الجديدة ، وموضعا استراتيجيا طيبا ، فضلا عن وقوعه على طرق قوافل والتجارة كما وانه يتحلى بمزايا صحية ملموسة . وتسهيلا للبحث تقسم العوامل التي حفزت المنصور لاختيار هذا الموضع الى : —

أ — العامل السياسي .

ب — العامل العسكري .

ج — العامل الاقتصادي والتجاري .

د — العامل الطبيعي والصحي .

وسنحاول شرح كل عامل من هذه العوامل الاربعة .

---

(٤٣) بغداد كما وصفها السواح الاجانب . ترجمة سعاد العمري صفحة ١٩ و ٢٠ .

(٤٤) دليل خارطة بغداد — صفحة ٢٩ .

آ ـ العامل السياسي .

أتخذ العباسيون من خراسان مركزا رئيسيا لدعوتهم ، واعتمدوا على العراق في كفاحهم مع الامويين ، وكانت الكوفة معقلا لنضالهم ، ولقد ظهر أثر الكوفة هذا في التأييد الكامل للعباسيين عند بدء المناوشات الحربية بين بني العباس وبني أمية ، ونتيجة لهذا التأييد السياسي والعسكري اتخذها ابو العباس منزلا له ولعائلته في اول الامر [٤٥] ، وعند تولي أبي جعفر المنصور الخلافة عاد من الانبار فسكن جوار الكوفة ، كل هذا يجلب نظرنا الى أهمية منطقة العراق بالنسبة للعباسيين ودولتهم كما مر بنا سابقا .

ولم يكن في وسع المنصور ان يتخذ من دمشق عاصمة له ، او يشيد له مدينة في مكان ما من الشام ، اذ كان يدرك كل الادراك ، ان صدور أهل الشام تنطوى على حب لبني امية ، واتخاذ عاصمة وسط جماعة لاتدين له بالطاعة نوع من المجازفة والخطورة ، اذ يجوز ان تتحين الفرص للانقضاض عليه كما حدث ذلك في ثورة عمه عبدالله بن علي مع اهل الشام [٤٦] .

وأما المدينة ، فالظاهر ان أهلها قد ملوا الخلافات السياسية وتركوا أمور الخلافة ومشاكلها لابناء العراق والشام وغيرهما من الاقطار الاسلامية بعد النكبات المتلاحمة التي اصابت بعضا من رجالها ، وما مقتل عثمان الخليفة الثالث ثم مقتل الامام علي ، وموقعة الحرة بالمدينة ، وفاجعة كربلاء ، ثم مقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله بن الزبير ، وغيرها من الأحداث الدامية

---

(٤٥) انظر الفصل الاول ـ الكوفة . في الباب الرابع من هذه الرسالة .

(٤٦) ينظر ثورة عبدالله بن علي في تاريخ اليعقوبي ٢ /٣٦٥ و٣٦٦ والكامل لابن الاثير ٤ / ٣٤٨ و ٣٤٩ .

التي تركت أثرا عميق الغور في قلوب رجال مكة والمدينة ، الا عوامل قد هدتهم الى التحفظ في الامور السياسية والابتعاد عنها . لذا امست الحجاز منعزلة عن النشاط الحزبي الذي بدت بوادره في أواخر ايام الدولة الاموية، حتى تكلل هذا النشاط بنجاح بني العباس وفشل بني امية ، اضف الى ذلك عاملا مهما وهو الترف الذي جعل أهل الحجاز يعنون باللهو والغناء والموسيقى (٤٧)

وطبيعي ان المنصور ، وهو من ساسة العباسيين الافذاذ ، ادرك ان من العسير عليه ان يتخذ من مدن الحجاز عاصمة لدولته الواسعة ، فأنها رغم ما تتمتع به من احترام جميع المسلمين في شرق العالم الاسلامي وغربه ، فان ذلك لايمنع من كونها مكانا هدأت فيه سوره التحفز السياسي ، والمنصور كان شعلة من طموح ، ومكان راكد كالحجاز لايشبع في نفسه هذا الطموح الصاعد ولا يحرك في صدره ذلك الاحساس المتنامي في جعل الامبراطورية الاسلامية دولة محكمة الادارة مشدودة بالعاصمة شدا لايعتريه الهزال .

أما خراسان الساعد الايمن لهذه الثورة العارمة ، ومنزل الدعاة الاول فهي طيبة المقام مرضية السكن غير ان بعدها عن المراكز العربية المهمة ، جعل من غير المستحسن اتخاذها عاصمة للدولة العباسية .

---

(٤٧) الذي يبدو ان أهل المصرين مكة والمدينة انشغلوا بالشعر والغناء أكثر من أي شيء آخر ولعل ما جاء في بعض المؤلفات العربية عن أخبارهما وخاصة اخبار المدينة يرشدنا الى ذلك . ينظهر اخبار طويس وهو اول من غنى بالعربي في المدينة كماجاء في الاغاني للاصفهاني ٣/ ٢٧ ، وقد كانت مكة والمدينة تعجان بكثير من الشعراء . وبعض المغنين والمغنيات ينظهر الاغاني ٤ / ٢١٩ حتى ٢٢٢ . وينظر خبر الاحوص في الاغاني ٤ / الصفحات ٢٢٤ حتى ٢٦٨ والدلال في الاغاني ٤ / ٢٦٩ وما بعدها . والترف كان ناشئا عن اموال الغنائم التي افاءها الله عليهم في اثناء الفتح ومن الهبات السخية التي كانت يقدمها الخلفاء الامويون الى أهل الحجاز باستمرار .

كما ان موقع بغداد في وسط العراق له ميزة لاتنكر ، فلقد كان من المستحسن في ذلك الوقت انشاء المدن او العواصم في وسط الاقليم اذ ان المواصلات البطيئة آنذاك كانت تعرقل تقدم الجيوش في حالة قيام اية ثورة، ووجود العاصمة في مكان بعيد في شمال القطر او جنوبه تسبب الارتباك في الدولة ونظمها الادارية فضلا عن انها قد تشجع على التمرد والخروج على السلطة .

ب ـ العامل العسكري :

اثبتت ثورة الراوندية على المنصور ان الهاشمية التي حدثت فيها هذه الثورة ، لم تكن حصينة وظهر بشكل واضح ان ثورة كثورة الراوندية رغم أنها لم تكن من القوة والتنظيم فقد كادت تودى بحياة المنصور . فكيف ياترى يكون مصير المدينة وجندها وأهلها اذا ما تعرضت لهجوم مسلح منظم كبير من خارج المدينة معزز بثورة أهلية داخلية ، لاشك في ان المنصور قد فكر بمثل هذا التفكير ،ودرس مثل هذا الاحتمال ،وانه استعرض تحصينات الهاشمية ، وقصره الذي يعيش فيه ، فرأى ان المكان وان كان محميا بعدد من الجند والمدافعين قد لا يصمد امام قوة طاغية مسلحة ، لذا كان من الواجب عليه ، كحاكم يحرص على حفظ الامن وسلامة الدولة ، ان ينتقل منه الى منطقة حصينة منيعة ليقيم عليها مدينـــة محمية عظيمة . سبق وأشرنا ان المنصور تنحص موضع بغداد القديم فوجده منطقة صالحة فقال عنه « هذا موضع معسكر صالح » [٤٨] ومن هذا النص نستطيع ان نطمئن الى ان الموضع الذي أختاره المنصور كان موضعا مهما من الناحية العسكرية ، وبغداد

---

(٤٨) انظر الفصل الثاني من الباب الرابع صفحة ٨١ من هذه الرسالة .

كما نعلم كان الباعث المهم لبنائها هو الهدف العسكري يدل على ذلك عدم وجود المتنزهات والحدائق وأماكن اللهو والتسلية في المدينة المدورة ، ونستنتج هذا من قول رسول ملك الروم للمنصور « واما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتاق الى الخضرة وليس في بناءك هذا بستان »[٤٩] .

وتبرز لنا أهمية موقع بغداد الستراتيجي من حديث صاحب بغداد الذي مثل بين يدي الخليفة حينما استشاره عن موضع بغداد القديم فقال « وانت بين انهار لايصل اليك عدوك ، وانت بين دجلة الفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ... »[٥٠] .

وأبو جعفر الذي عاصر الدعوة العبـاسية في طورها السري والعلني وحارب أعدائها ، فأكتسب من ذلك خبرة عسكرية طيبة جعلت منه قائدا فذا ومحاربا قديرا ، وقائد مثل هــذا الرجل حين يسمع هذا الوصف ويجده صحيحا غير مبالغ فيه ، لابد وان يختار هذا المكان محلا لمركز دولته ، وتوسعا في بحث أهمية موضع بغداد العسكري أحب ان اتناول كلام صاحب بغداد بالشرح والتفصيل .

قال صاحب بغداد « وانت بين انهار لايصل اليك عدوك » .

الظاهر ان منطقة بغداد القديمة ، كانت تمتاز بموقعها العسكري الطبيعي ومما لاشك فيه ، ان هذا الموقع الستراتيجي الممتاز لم يخف على الممالـك والدول التي سبقت الاسلام ،فأتخذ البارثيون والسلوقيون عواصمهم بالقرب من هذا الموقع لحصانته وقوته في دفع الاعداء فضلا من ان الترع الكثيرة والنهيرات التي أشرنا اليها في بحثنا لانهار بغداد الغربية كانت بمثابة وسائل

---

(٤٩) الخطيب ـ ١ / ٧٨ ومناقب بغداد . ابن الجوزي صفحة ١٤ .

(٥٠) الطبري ـ ٦ / ٢٣٤ و ٢٣٥ .

دفاعية ، تصد الغزاة المعتدين وتعرقل تقدمهم [٥١] • ومما قاله صاحب بغداد أيضا « وانت بين دجلة والفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور » •

وهذه ميزة أخرى لموضع بغداد القديم ، تبرز اهميته العسكرية كأحسن نموذج طيب للستراتيجية الحربية ، اذ ان وجود النهرين الكبيرين ، دجلة في شرق الموضع ، والفرات في غربه ، يؤلفان خطين للدفاع عن العاصمة المنشأة والاراضي المحيطة بها ، فالجيش الغازي لها ، سواء أكان قادما من الشرق أم الغرب ، يتعسر على جنده وفرقه واعتدته وتمويناته العبور من النهر اذا ما قطعت الجسور ، وكذلك يصبح من السهل على جيش الخليفة العباسي احباط كل محاولة ترمي الى اقامة معبر للجند الغزاة بيسر وسهولة ، هذا فضلا عن ان الجيش الغازي يقطع عن نفسه خط الرجعة ، وتمويل القطعات بالمواد الغذائية والامدادات البشرية اذا ما نجح في العبور ، اذ ان وجود النهرين الواسعين يجعلان أمر توفير مثل هذه الامدادات من الصعوبة بمكان •

ج ـ العامل الاقتصادي :

لاشك في أن المنصور هو الذي اشتهر في التاريخ بتقتيره واقتصاده حتى اطلق عليه الناس في تلك الفترة « ابا الدوانيق » [٥٢] كان يدرك أهمية

---

(٥١) وتظهر هذه من قول صاحب بغداد للمنصور كما جاء فى الطبري ٦/ ٢٣٦ « والتدبير فى المدن أن تتخذ لها الاسوار والخنادق والحصون ودجلة والفرات خنادق لمدينة امير المؤمنين » .

(٥٢) الطبري ـ ٦/ ٢٣٥ .

النواحي الاقتصادية والتجارية في انعاش الدولة ، وتنمية مواردها الاقتصادية وبغداد كعاصمة للدولة الاسلامية الكبيرة ، تشغل حيزا واسعا من قارتي آسيه وافريقية ، تحتاج اول ما تحتاج الى موضع مهم يكسب المدينة ميزة الهيمنة على الطرق التجارية ، وموقع مثل بغداد الذي يعتبر مركزا وسطا بين الاقاليم الاسلامية الشرقية والغربية ،لا بد وان تتوافر فيه هذه الهيمنة الممتازة.

وقد ذكر للمنصور موقع قريب من بارما وحببوه اليه ولكنه اعترض على ذلك فقال «صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وانما اريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة فاني ان اقمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فانا نازل فيه وبائت به فان اجتمع لي فيه ما اريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه »[٣٥] .

ومن خلال اسطر النص السابق نستنتج ، ان المنصور رفض البناء في ذلك الموقع القريب من بارما ، مع ان المكان الذي ذكر له، كان قد اعجب الرواد الذين ارسلهم المنصور ليتفحصوه ، ولم يكتف بذلك ، وانما ذهب اليه بنفسه واختبره وبات فيه ، ولكنه لم يوافق على اتخاذه مكانا لعاصمته الجديدة ... لماذا ؟ ان السبب في ذلك كما وضحه المنصور نفسه في جوابه للرواد انه « لا يحمل الجند والناس والجماعات . واريد موضعا يرتفق الناس به .. ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة » .

وهنا تبرز نظرة المنصور الاقتصادية ورغبته في توفير الغذاء الكافي لجنده واهليهم وللناس الاخرين بأزهد الاثمان واقل التكاليف ، ومثل هذه

---

(٥٣) الطبري — ٦/ ٢٣٥ .

الرغبة لا يغذيها مكان مجدب كالمكان القريب من بارما مثلا وانما يجب البحث عن مكان آخر، تتوافر فيه المواد الغذائية ، والحاجيات الاستهلاكية التي تجلب في البر والبحر بصورة مستديمة وبأثمان زهيدة .

وموقع بغداد في وسط العراق ، منح المدينة ميزة تجارية عظيمة ، فهي تكاد تكون على مسافة متساوية بين البصرة والموصل ، او انها تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية ، وهذا بطبيعة الحال قد جعل من بغداد سوقا للبضائع والمنتجات التي تنتج في مختلف المناطق في شمال العراق وفي جنوبه، فضلا عن ذلك فانها تقع على خطوط التجارة والقوافل ، فهي تقع على طريق البصرة ، بغداد ، الموصل ، وديار بكر والاناضول ، وتقع ايضا على طريق الشام . العراق . الخليج العربي ، فتمر بها معظم القوافل التجارية البرية والنهرية ، مما جعلها مدينة ذات موقع تجاري مرموق . وهذا موضح في حديث صاحب بغداد للخليفة المنصور حين سأله عن الموضع الذي اختاره لبناء المدورة فقال «وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات وتجيئك طرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك المياه من ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى تصب الى الزاب وتجيئك المياه من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة »(٥٤) .

ولقد فطن الخليفة ابو جعفر المنصور الى هذه الأهمية ، فقال بعد ان تفحص موضع بغداد « هذا موضع ابني فيه فانه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الانهار ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله »(٥٥) .

---

(٥٤) الطبري — ٦/ ٢٣٦ .

(٥٥) نفس المصدر — ٦ / ٢٣٦ .

د ـ العامل الصحي :

وقد اشرنا في الصفحات السابقة الى ان المنصور مال الى موضع بغداد القديم ، واحب ان يقيم عليه عاصمة ملكه الجديدة ، وان هذا المكان المختار قد اشبع في نفسه الرغبات التي حرص على توافرها في مدينته المدورة وكان عليه الى جنب الشروط السياسية والعسكرية والاقتصادية ان يتفحص المكان من الناحية الطبيعية والمناخية والصحية ٠

اختار المنصور موضعا سهلا منبسطا ، والذي يبدو ان العرب الذين انحدروا من الجزيرة العربية في فترة الفتوحات الاسلامية والعهود التي تلتها كانوا يحبون الاقامة في المواضع المنبسطة السهلة ٠

وموضع بغداد المختار ، في المنطقة الواقعة الى غربي نهر دجلة والمحصورة في البقعة التي يقترب عندها النهران الكبيران دجلة والفرات ، منطقة سهلة منبسطة ، تمتد في انبساطها على مرمى البصر دون ان يحجزها عارض طبيعي ، تحيطها من الغرب أراضي مستوية ترتفع قليلا كلما اقتربت من وادي الفرات ، ومثل هذه الارض تشبع رغبة العرب والمسلمين الذين اعتادوا السكنى في الاماكن الخلوية المفتوحة من جزيرتهم او المدن المحاطة بأراضي خالية منبسطة ، مع فارق توفر المياه والترع الكثيرة في البقعة التي شيدت عندها المدينة المدورة ٠

ذكرنا ان العرب كانوا يحرصون ان يكون المحل المختار لبناء المدن صحيا خاليا من الحشرات غير موبوء ولا وخم الهواء وان تكون مناظره مما ترتاح له النفس[٥٦] ، وهذا ثابت ومؤيد ببعض النصوص التأريخية ٠

---

(٥٦) انظر صفحة ٨٥ من هذه الرسالة فصل ـ العوامل التي دفعت المنصور الى اختيار بغداد ٠

التي اوردها المؤرخون المسلمون في مصنفاتهم ومؤلفاتهم ، والظاهر ان ابن خلدون يعود الى التجني على العرب متجاهلا النصوص الواردة في المصادر العربية فيقول معللا السبب في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب ، يعلل ذلك الى عاملين ، الاول هو بداوة العرب وبعدهم عن الصنائع ، والثاني قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن ، في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي[٥٧] .

وما ذكرناه سابقا ، وما سنذكره الآن يدحض رأي ابن خلدون وغيره من الذين يتجاهلون النصوص التاريخية الثابتة .

روى البلاذري بسنده « ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا فأتى الانبار واراد ان يتخذها منزلا فكثر على الناس الذباب فتحول الى موضع آخر فلم يصلح فتحول الى الكوفة »[٥٨] .

وروى البلاذري بسنده ايضا «اقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها ، ثم ان المسلمين استوخموها واستوبؤها ، فكتب بذلك سعد ابن ابي وقاص الى عمر فكتب اليه عمر ان تنزلهم منزلا غريبا فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها فخرجوا حتى اتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا الى الظهر وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشائق فاختطوها »[٥٩] .

مما سبق يتبين ان بناة المدن الاولى في فجر الدولة الاسلامية كانوا

---

(٥٧) مقدمة ابن خلدون ــ ١/٦٤٦ و ٦٤٧ .

(٥٨) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٧٤ .

(٥٩) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٦٧ و ٢٧٧ .

يعيرون الناحية الصحية أهمية كبيرة ، فسعد انتقل من موضع الى آخر ، مبتعدا عن الامكنة الموبوءة حتى استقر في موضع خد العذراء . وارسل الحجاج باني مدينة واسط ، الاطباء ليختاروا له موضعا يبني فيه مدينته[٦٠] .

ثم يعود التاريخ فيذكر لنا عن بناء بغداد نصوصا توضح اهتمام المنصور بالشروط الصحية والمناخية ، فقد روى الطبري ان المنصور « نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعا صاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد ... فسألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فاخبره كل واحد بما عنده من العلم ، فوجه رجالا من قبله وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية منها فبات كل رجل منهم في قرية منها واتاه بخبرها وشاور المنصور الذين احضرهم »[٦١] .

---

(٦٠) معجم البلدان — ياقوت ٤/٨٨٣ .

(٦١) الطبري — ٦/ ٢٣٥ و ٢٣٦ .

الباب الخامس

التهيؤ لبناء بغداد

الفصل الاول
اسم بغداد

سبقت الاشارة في فصل سابق ، الى ان موضعا كان يقع الى الجنوب من نهر الصراة العظمى يدعى سوق بغداد ، واشرنا ايضا الى روايتين لليعقوبي والطبري ذكر فيهما ان المكان الذي اقيمت عليه المدينة المدورة كما كانت فيه قرية تسمى قرية بغداد ، وهذه الروايات جميعا توضح بجلاء ، ان الاسم الذي اعطي لمدينة ابي جعفر المنصور ، والذي اشتهرت به بعدئذ حتى يومنا هذا لم يكن اسما جديدا على موضع المدينة المدورة استحدث مع بنائها ، او ظهر فيما بعد ، وانما كان اسما قديما يرجع الى الفترة التي سبقت بناء المدينة، او بمفهوم اوسع الى الفترة التي سبقت الفتح الاسلامي للعراق بكثير.

ويتبين من دراسة النصوص القديمة التي تناولت البحث في اسم بغداد ان المؤرخين المسلمين قد اجمعوا ان لفظة بغداد فارسية الاصل [١] غير انهم اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هـذا الاسم [٢] . وفي العقود المتأخرة من القرن الحالي ظهرت بحوث وكتابات لاتلتزم بالنصوص القديمة التي وصلت الينا في المظان العربية والفارسية المختلفة عبر قرون عديدة ، وانما راحت تعطي تفسيرات اخرى لمعنى هذه الكلمة ، بعضها متصيد لا يصمد امام النصوص الكثيرة الواردة والبعض الاخر معقول وهادف كما سنرى في الصفحات التالية .

وفي رأينا ان هذا الخلاف ناتج من ان العراق — وبصورة خاصة إن

(١) الاعلاق النفيسة — صفحة ١٠٨ والخطيب ١/٥٨ وما بعدها ، ومعجم البلدان ١/٤٧٧ و ٤٧٨ .

(٢) Encylo paedia of Islam , rol . I P . 616

شئنا تحديد المنطقة او الموضع الذي شيدت فيه المدينة المدورة والمواضع الاخرى المهمة الواقعة الى شماليها وجنوبيها — كان مسرحا لبعض الحضارات القديمة من بابلية وكشية وفارسية وسلوقية ، التي شاء لها القدر ان تنمو وتترعرع في ارض العراق حيث منحها الله من الخيرات والنعم ما هيأ لها اسباب القوة والنماء في القرون التي سبقت الميلاد والقرون التي اعقبته. وتعاقب كل حضارة من تلك الحضارات كان معناه انتشار لغة سكان تلك الحضارة سواء اكان هذا في مجال التجارة والبيع أم في مجال الادارة والسياسة . وطبيعي ان بقاء كل لغة فترة من الزمن ومجيء لغة اخرى بعدها ، يؤدي الى انتشار بعض مفردات تلك اللغة ، وعلى وجه الخصوص اسماء الاعلام منها كالامكنة والانهار واسماء الاشخاص والالهة والملوك .

ولا ريب ان منطقة بغداد الغربية والاقسام الجنوبية منها شهدت تتابع حضارات متعددة اسهمت جميعها في بناء وتوطيد مجد العراق القديم، وحينما جاء الاسلام شهدت مدينة بغداد المدورة بعد حوالي قرن ونصف القرن من ميلاده ، أول فجر الدولة العباسية ، ثم شهدت بغداد الشرقية بقية مجد العباسيين ، وظل اسم هذه المدينة يشير الى تألق الحضارة الاسلامية، وانبعاث مجدها رغم ما كابدته من مصائب وويلات ، وراح اسمها يذكر على كل لسان في شرق العالم وغربه .

ونحن في الوقت الذي تفتخر حين يقترن اسم بغداد بأضخم حضارة شهدها العالم في القرون الوسطى ، لا يهمنا كثيرا من اين جاء اسمها ، ولا يهمنا أهو فارسي أم آرامي أم غير هذا وذاك ، لا يهمنا هذا بقدر ما تهمنا الحضارة التي نشأت ونمت على ثرى الارض الخيرة وعلى أيدي شعبها الذي خط صفحات التاريخ ، ومع هذا فسوف تتناول في هذا الفصل الآراء التي قيلت في اسم بغداد على الصفحات التالية .

لم يقتصر ورود اسم بغداد على المصادر العربية التي استشهدنا ببعض منها ، والتي سنذكر قسما آخر منها بعد حين ، وانما ورد في وثـائق تأريخية واثرية ترتقي الى عصور قديمة قبل الميلاد .

وقد ورد ذكر اسم بغداد في وثيقة قانونية ترتقي الى زمن حمورابي عثر عليها في سبار[٣] الذي يعرف اليوم بتل ابي حبه[٤] .

وورد اسم مكان (بيلازى) على شاطيء (نهر الملك) في اقليم بغدادي في حجر من احجار الحدود[٥] من زمن الملك الكشي (نازى ــ مارتاش)[٦] Nazi — Marratash وجاء الاسم في حجر حدود آخر ، عثر عليه قرب ايوان كسرى ، يرجع تأريخه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، والاسـم فيه لارض واقعة قرب مدينة بغداد[٧] .

وورد في اخبار حرب الملك الآشـوري (ادد ــ نرارى الثـاني)[٨] Adad - Nirari II انه حارب الملك البابلي (نبشتم ــ أكن) Napistum - igun

---

(٣) سبار ــ ويعرف موقعها اليوم بتل ابي حبة وتقع على بعد خمسين كيلوا مترا الى شمال غربي بابل .

(٤) انظر العدد (١٩٧) السطر رقم (١) .
Schorr, Altbabylonische Rechtsurkunden

(٥) وتعرف احجار الحدود باللغة الكاشية باسم (قدرو اوكدرو) . Qudurru وهي احجار لها شكل مخروطي ناقص مقسم الى عدة حقول وعلى وجهها رسوم لرموز الآلهة وتعتبر هذه الاحجار حـدثا مهما فى تأريخ فن النحت فى بلاد وادي الرافدين فى عهد الكاشيين .

(٦) من ملوك الكاشيين حكم فى سنة ١٣٤١ ق.م .

(٧) انظر اللوحة رقم ٧٠ فى
The cuneiform inscription of western Asia, Rawlinson, Vol. I

(٨) جاء الى حكم الدولة الآشورية بعد آشوردان . واحتل مدينتي كرخي

وكانت بغداد من جملة المواضع التي نهبها[٩] وعدد الملك الآشوري (تكلات بلاسر) Tiglat - Pileser III القبائل الآرامية التي قهرها في عام ٧٢٨ ق٠ م فذكر بينها قبيلة منسوبة الى موقع يدعى (بغدادو) وقد وردت الكلمة على هذا النحو[١٠] Bag - da - du وذكر الملك الآشوري (سرجون الثاني)[١١] Saryon II اسم زعيم احدى القبائل ويدعى (بكدت) قبض عليه فسلخ جلده في عام ٧١٦ ق٠ م[١٢] ٠

من هذه النصوص والوثائق الاثرية القديمة يتبين بصورة واضحة لاتدعو الى الشك او المغالاة ، ان اسم بغداد قد ورد الينا منذ اجيال كثيرة ترتقي الى الالف الثاني قبل الميلاد ، وبقي هذا الاسم يرد في مختلف الكتابات والوثائق البابلية والآشورية والكشية والساسانية حتى فترة قريبة من الفتح الاسلامي للعراق وبذلك نستطيع ان نقرر ان هذه التسمية لم تكن غريبة او غير معروفة لدى سكان منطقة غربي دجلة الوسطى ، وان اسم بغداد ظل يتردد على السنة السكان محافظا على شكله دون تغيير او تحوير ، وقد ورد

وزاموة Kirchi , Zamua وتقعان فى منطقة السليمانية .

(٩) يراجع الجزء الثاني صفحة ٢٠٠ من . Keilschriflubbothk.

(١٠) انظر الجزء الثالث صفحة ٥٤ .

(١١) سرجون الثاني — ويعد من عظماء الملوك الآشوريين ، تسنم عرش الامبراطورية عام ٧٢٢ — ٧٢١ ق . م ، ومما اشتهر به سرجون حملته العسكرية على الارارتيين التي سميت بالحملة الثامنة فى عام ٧١٤ ق.م .وبنى له عاصمة جديدة سماها (دور — شروكين) ويعرف موقعها اليوم بخورصباد نقب فيها المنقب الفرنسي بوتا Botta عام ١٨٤٢ — ١٨٤٤ م وكذلك نقب فيها المنقب الفرنسي بلاس Plas فى عام ١٨٥٢ م٠

(١٢) انظر Ancient Records, Luckenbill

اسم بغداد في المصنفات والكتب التي وضعها المؤرخون العرب ، ذكروا فيها اسم بغداد وأعطوا معها أيضا التفسيرات الافتراضية لمعنى هذا الاسم .

فقد روى الخطيب أن (بغداد بالباء والدال ، ويقال بغدان أيضا بالباء في أولها والنون في آخرها ، ومغـدان بالميم اولا وبالنون آخرا . قال ابو الحسين ـ وذلك كله راجع الى ما فسره ابن أبي رواد انه عطية الصنم وربما قيل عطية الملك . وبغداد أصل هذا الاسم للاعاجم والعرب تختلف في لفظه اذ لم يكن أصله من كلامها ، ولا اشتقاقه من لغاتها ، وبعض الاعاجم يزعم ان تفسيره بالعربية بستان رجل ، فبغ بستان ، وداذ رجل ، وبعضهم يقول ـ بغ اسم صنم كان لبعض الفرس يعبده ، وداذ رجل ، ولذلك كره جماعة من الفقهاء ان تسمى هذه المدينة بغداذ لعلة اسم الصنم ، وسميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة ، وكانت دجلة تسمى قصر السلام) (١٣) .

وروى الخطيب أيضا فقال «انما سميت بغداد بالفرس لانه أهدى لكسرى خصي من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ ، فقال بغ ، داد ، يقول اعطاني الصنم ، والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا ، وسماها ابو جعفر مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام » (١٤) .

وروى الخطيب أيضا « يقال بغداد بالباء والدال ويقال بغدان أيضا بالباء في أولها والنون في آخرها ، ومغدان بالميم اولا وبالنون آخرا » (١٥) . ومهما يكن من امر فان التسميتين المشهورتين عند العرب هما (بغداد)

---

(١٣) الخطيب ـ ١/٥٩ و ٦٠ .

(١٤) نفس المصدر ـ ١/ ٦٠ .

(١٥) نفس المصدر ـ ١/ ٦٠ .

و (بغدان) فقد انشد ابو بكر المخزومي في مجلس ابي العباس :

سلام مغترب بغـداد منزلة   ان انجد الناس لم يهمم بانجاد[١٦]

وقال آخر

ألا انما بغدان سجن اقامة   أراحك من سجن العذاب مريح[١٧]

وجاء في كتاب تقويم البلدان رواية مشابهة لاحدى روايات الخطيب التي استشهدنا بها قبل قليل قال « وانما سميت بغـداد بهذا الاسم لان كسرى اهدى اليه خصي من المشرق فاقطعه بغداذ وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصي (بغ داذ) يقول اعطاني الصنم والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا وسماها المنصور مدينة السلام لان دجلة كان يقال له وادي السلام »[١٨] .

هذا ما تقوله النصوص العربية والاسلامية ، اما الآن ، وفي الربع الاول من هذا القرن فقد ظهرت بعض البحوث والمقالات الحديثة التي لا تقر هذا الرأي وانما تشير الى ان اسم (بغداد) يتحدر من اصل آرامي .

ومما يجدر ذكره بهذا الصـدد ان المرحـوم يوسف غنيمة هو اول الباحثين المحدثين من العرب من قال ان لفظة بغداد آرامية وليست بفارسية، ويبدو ان ما كتبه كان بمثابة اساس بنى عليه الذين جاؤا بآراء مشابهة لرأيه فقد كتب « ولي رأي خاص في معنى اسم بغداد ولقد عنّ لي في تضاعيف بحثي منذ زمن ولم انشره حتى الان ، فاذكر بكل تحفظ وتوق . الـذي عندي ان اسم بغداد آرامي مبنى ومعنى ، وهو مؤلف من كلمتين من (ب) المقتضبة من كلمة (بيت) عندهم ، وكثيرا ما تقع في اوائل اسماء المدن مثل

---

(١٦) الخطيب ــ ١ / ٥٨ .

(١٧) نفس المصدر ١/ ٦٠ .

(١٨) تقويم البلدان ــ ابو الفدا صفحة ٢٩٢ .

بعقوبا وباقوفا وبطنايا وباعشيقا وباعذرا وباجرمى وغيرها • واللفظة الثانية (كدادا) بمعنى غنم او ضأن[١٩] فيكون بكدادا مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن في اول الامر • ومن المشهور ان الآراميين كانوا فلاحين في هـذه الديار يربون المواشي • وبقوا كذلك قروناً عديدة بعد استيلاء العـرب المسلمين على العراق واني افضل هذا الرأي على التأويل الفارسي • ولا سيما قد ورد اسم بغداد في الآثار القديمة البابلية قبل احتلال الفرس لهذه الربوع[٢٠] فارجو ان تبدوا رأيكم في هذا التأويل »[٢١] •

(١٩) انظر معجم دليل الراغبين فى لغة الآراميين . العمود الثاني. الكلمة الثانية المعنى الثاني صفحة ٩١.

(٢٠) انظر مجلة لغة العرب لشهر آب سنة ١٩٢٦ صفحة ٨٣ .

(٢١) كتب رزوق عيسى مقالا فى مجلة لغة العرب لسنة ١٩٢٦ تحت عنوان (معنى كلمة بغداد) جاء فيه ردا على يوسف غنيمة « لما كنت احد الكتاب الذين نقبوا عن معنى هذه المفردة فى كتب الاقدمين والمحدثين ونشروا بعض آرائهم فى مجلة لغة العرب فى سنتها الاولى والثانية فلا ارى رأي الاستاذ الفاضل ... كنت قد نشرت فى لغة العرب ١/ ٣٩٠ ان كلمة بغداد مقتضبة من (بيت كدادا) وعندي ان بغداد مصحفة عن (بل دودو) أو (بل دادا) ومعناها مدينة الاله المحبوب . لان (بل) تفيد معنى البعل اي الاله عند الاقدمين بمعنى الحبيب والمحبوب والعم والخال ... بين بغداد و (بل دودو) أو (بل دادا) فـرق فى اللفظ بخلاف ما اذا قلنا ـ بيت كدادا فان الاكتفاء بالباء للدلالة على البيت اي المكان او المدينة اشهر من ان يذكر . وكـدادا بكاف فارسية فتنحت حينئذ الكلمتان بصورة بغداد فتكون الكلمة اوضح من الاول . لان الكـاف الفارسية تنقل الى الغين فى أغلب الأحيان وأما الالف الأخيرة فخاصة باللغـة الآرامية . اما فى العربية فتحدث . فانتقال بيت كـدادا الى بغداد واضح فضلا عما فيه من المعنى المثبت المطلوب .

ولا بد ان نشير هنا الى ان بعض الكتاب المحدثين قد ايدوا يوسف غنيمه في رأيه الذي ذهب اليه في اصل كلمة بغداد[٢٢] • وقد رد الاستاذ توفيق وهبي على يوسف غنيمه في مقال[٢٣] استخلص منه ان اصل كلمة

(٢٢) ذكر مترجم كتاب بغداد فى عهد الخلافة العباسية يوسف بشير فرنسيس فى الصفحة ١٨ ان المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري قال مثل الذي ادعاه يوسف غنيمة وذلك فى كتابه (رحلة الى الهند سنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠) فى الصفحة ٤ . وذكر كذلك بان الاستاذ فؤاد افرام البستاني كتب بحثا مستفيضا فى مجلة المشرق (٤ — ١٩٣٤ صفحة ٦٦ عن اصل كلمة بغداد يتفق مع ماكان قد توصل اليه غنيمة والمطران نوري .

(٢٣) نشر مقال الاستاذ توفيق وهبي فى اول الامر بمجلة المجمع العلمي العراقي (مجلد — ١) ثم نشره بعدئذ مستقلا فى كتاب تحت عنوان (القصد والاستطراد فى اصول معنى بغداد) جاء فى رده على يوسف غنيمة قوله « ان اسم بغداد ليس بآرامي . فمن الثابت فى التاريخ ان الآراميين لم تطأ أقدامهم العراق قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، على حين وجدت آثار مرقومة تبرهن انه كان على عهد الملك حمورابي (القرن ١٨ ق.م) مدينة فى مملكته مسماة باسم (بكدادا) ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تأريخه الى عهد الملك الكشي (نازي مارتاش) قد كتب فيه كلمة (بكدادا) وكان حكمه فى النصف الاخير من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهذا يؤيد ما قدمنا ذكره من ان اسم بغداد ليس بآرامي الاصل . واذا فرضنا محالا ان الآرميين كانوا فى العراق على عهد الملك حمورابي فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد وانهم سموا موضعا جغرافيا بلغتهم الآرامية ، فانه لايسع المرء ان يتصور ان كلمة (بيت) قد اختصرت فاصبحت (ب) ومعنى ذلك ان الكلمة (بيت كدادا) صارت (بكداد) فى تلك العصور ، فان اختصارا كهذا يتطلب عدة

بغداد فارسي وليس بآرامي .

ومهما يكن اصل بغداد فان لكل من الرأيين اللذين ذهب اليهما يوسف غنيمة في ان الكلمة آرامية ، والرأي الذي ذهب اليه توفيق وهبي في انها فارسية ، مؤيدين من الباحثين . وهذان الرأيان يحتاجان الى تعقيب وايضاح فقد وردت بعض المقاطع المسمارية لكلمة (بغ او بك) في الوثائق التأريخية العراقية القديمة ، ويجدر ان نذكر هنا ان الاستاذ طه باقر قد كتب للاستاذ توفيق وهبي في بحثه عن مظان اسم بغداد في المراجع المسمارية القديمة فقال « كتب اول مقطع من اسم المدينة أي (بغ ، بك) بعلامة مسمارية قيمتها الصوتية المألوفة (خو) ، ولذلك قرأ بعض الباحثين اسم المدينة بصيغة (خدادو) . ولكن مع وجود هذا الاحتمال فان اعتبارات اخرى تشير الى ان القراءة الصحيحة ينبغي ان تكون (بغ ، بك) وليس (خو) فمن هذه الاعتبارات لا يوجد في العلامات المسمارية علامة خاصة لاداء المقطع (بغ ، بك) بل انه يعبر عنه بنفس العلامة التي تقرأ كذلك (خو) والى هذا فان الصيغة (بغدادو ، بغداتو) اسم مألوف في الكتابات المسمارية اطلق على اسماء مواضع واسماء اشخاص »(٢٤) .

مما سبق ، يتبين لنا ، ان اسم بغداد قد عرف في المصادر المسمارية

قرون حتى يبلغ تمامه ، ونضيف الى ذلك، ان هذا الاسم (بغداد) منذ عرف فى التأريخ حتى اليوم قد حافظ على شكله مع طول تلك الازمنة السحيقة فى القدم ... ويحسن بنا هنا ان نقول اننا لم نجد فى الكتابات الآشورية — حتى التي يعود تأريخها الى اواوخر عصرهم — كلمة (بيت) فى اسمائهم الجغرافية متحولة الى (ب) ولذلك لانرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف

(٢٤) انظر القصد والاستطراد — توفيق وهبي الحاشية فى الصفحة ٩ .

منذ عهد حمورابي والعهود التي تلته في حضارة العراق القـديم ، واذا فرضنا ان مقاطع اسم بغداد والقيم الصوتية لها قد عرفت في العراق قبل ان تطأ أقدام الفرس ارضه ، فمن الثـابت تاريخيا ان الكاشـيين كانوا قـد استوطنوا العراق قبل الفتح الفارسي له مقبلين من منطقـة جبال زاكروس وهم شعب كانت لغة الطبقة الحاكمة منهم من فصيلة اللغات التي تنتسب اليها اللغة الفارسية . وهي فصيلة اللغات الهندية الاوربية . وعلى الرغم من ان تاريخ الكاشيين غامض لحد الآن نظرا لما يشتمل من ادوار وفترات مظلمة لا نعرف عنها شيئا ، ومع ذلك فان المصادر التأريخية تشير الى ان الكاشيين كانوا معروفين في عهد حمورابي وانهم كانوا يعيشون في بـلاد بابل ويتعاطون مختلف الحرف فقد كان منهم الفلاحون والعبيد والخـدم والتجار . وهناك رقم طينية تحوي عقودا من معاملات البيع والشراء ترجع الى زمن حمورابي وتحمل اسماء كاشية لاناس كانوا يتاجرون بالخيل ، ولا توجد لدينا اخبار تأريخية مدونة تشير الى ان الكاشيين استولوا على بلاد بابل عن طريق الحرب ، وقد اشارت المصادر التاريخية في زمن حكم الملوك المتأخرين من سلالة حمورابي كثيرا الى العنصر الكاشي في بلاد بابل فقد وجدنا اسماءهم تتردد في كثير من العقود والوثائق والمعاملات التجاريـة والبيـع والشراء وانهم كانوا يعملون في الفلاحة والحصاد ، كفلاحـين مأجورين ، وهذا يدلنا على تغلغل الكاشيين في بلاد بابل بطريقة سلمية وعن طريق الهجرة بدافع الحاجة الاقتصادية[٢٥] . ولا يستبعد ان يكون اسم (بغداد) قد تداولته السن اولئك الفلاحين من الكاشيين الذين كانوا يعملون في منطقة بابل

---

(٢٥) مجلة كلية الآداب — العـدد السادس سنة ١٩٦٣ — الكاشيون صفحة ٥١٧ بحث للدكتور محمود الامين .

وشمالها ، ومن ثم انتشر على شكل موسع بعدئذ حتى سميت احدى القرى الواقعة الى غرب نهر دجلة باسم (قرية بغداد) .

والظاهر من الروايات التي اوردناها في هذا الفصل للمؤرخين المسلمين انهم قد ذهبوا في التقصي عن اصل كلمة بغداد مذهبا قريبا من الواقع ، ولكنهم اعطوا تفسيرات مختلفة لمعنى هذا الاسم ما اشرنا سابقا ، فقد ذكروا ان بغداد معناها (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) او (عطية الملك) ويبدو ان هذا الالتباس الذي اصابهم كان سببه نسيان معنى (بغداد) في الازمنة التي سبقت اولئك الكتاب الاوائل ، ولانهم قصروا فهمهم لكلمة (بغ الفارسية) على (صنم) فترجموا كلمة بغداد بـ (عطية الصنم) ويحتمل انهم قصدوا بالصنم (آلهة الفرس) فلما فسروا (بغداد) بـ (عطية الصنم) أرادوا ان يقولوا (عطية آلهة الفرس)(٢٦) .

والذي يبدو من النصوص التأريخية ، ان الخليفة المنصور لم يرض اطلاق لفظ بغداد على مدينته ، والسبب في ذلك ان المسلمين آنذاك كانوا يفسرون اللفظة الفارسية بغداد بمعنى (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) وكما نعلم ان المسلمين كانوا لا يرضون لانفسهم تسمية شيء يشير الى الاصنام او الشياطين ، فقد كانت اولى بوادر الايمان في قلب المسلم النفور من الاشراك ومضاهاة خلق الله ، واسباغ مظاهر الخلق والعظمة لصنم منحوت من الحجارة او الطين او لشيطان مارد كافر ، لذا آثر المنصور ان يطلق على مدينته اسم (مدينة السلام) . وقد اورد ياقوت رواية تؤيد موافقة الخليفة على هذه التسمية الجديدة « قال حمزة بن الحسن : بغداد اسم فارسي

---

(٢٦) القصد والاستطراد — توفيق وهبي صفحة ٢٦ .

معرب من باغ داذوية لان بعض رقعة مدينة المنصور كان باغا لرجل من الفرس اسمه داذويه ، وبعضها اثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا ما الذي يأمر الملك ان تسمى به هذه المدينة ؟ فقال ، هلدوه وروز أي خلوها بسلام ، فحكي ذلك للمنصور فقال سميتها مدينة السلام »[٢٧] .

والذي يبدو من دراسة بعض النصوص ان المنصور لم يكن وحده الذي لايرغب بالتسمية الفارسية ، وانما الفقهاء والعلماء والمفسرون كانوا يكرهون التسمية ايضا ، ولا يستبعد مطلقا ان يكون بعض من الفقهاء قد حادثوا الخليفة في كراهية التسمية السابقة ، ولا يستبعد ايضا ان يكون المنصور قد استجاب الى رغبة اولئك العلماء والفقهاء في تغيير الاسم الفارسى الى اسم جديد لا يحمل معنى الاشراك ، فقد روى الخطيب انه قد « كره جماعة من الفقهاء ان تسمى هذه المدينة بغداذ لعلة اسم الصنم »[٢٨] .

ونحن لا نعرف بالتأكيد لماذا اختار الخليفة المنصور مدينة السلام اسما لعاصمته المدورة ، اذ ان المؤرخين المسلمين يوردون تعليلات مختلفة لهذه التسمية الجديدة ، فالخطيب يذكر بان بغداد « سميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة وكانت دجلة تسمى قصر السلام[٢٩] وفي مثل هذا المعنى بالضبط يعلل ابن الجوزي تسمية بغداد بمدينة السلام[٣٠] . ويذهب الملك المؤيد

(٢٧) معجم البلدان — ياقوت ١ /٦٧٧

(٢٨) الخطيب — ١ / ٦٠ .

(٢٩) الخطيب — ١ / ٦٠ .

(٣٠) مناقب بغداد — ابن الجوزي صفحة ٦ .

عمادالدين الى ما ذهب اليه الخطيب وابن الجوزي الا انه يطلق اسم وادي السلام على نهر دجلة محل قصر السلام[٣١] .

ومن الجائز ان المنصور قد آثر تسميتها (بمدينة السلام) وذلك لان هذا الاسم (السلام) قد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع بمعنى (الجنة) اذ جاء في قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم . بما كانوا يعملون »[٣٢] وذكر هذا الاسم في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى« والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم »[٣٣] .

وهذا وقد وردت لفظة (السلام) و (سلام) و (سلاما) في ثلاثة واربعين موضعا من القرآن الكريم[٣٤] .

ويبدو ان الاسم الجديد لم ينتشر انتشارا واسعا ، ولم يطغ على الاسم القديم لمدينة المنصور المدورة ، اذ سرعان ما تحول الناس عنه الى اسم بغداد ، واقتصر استعمال مدينة السلام على الوثائق الرسمية التي تصدر من دار الخلافة وعلى المراسلات التي تدور بين الخليفة في بغداد وولاة الاقاليم وقواد الجيوش .

واستعمل الاسم كذلك في دار الضرب ببغداد ، اذ المعروف ان المنصور قد نقل مكان الضرب اليها سنة ١٤٦ هـ فصار يضرب الدينار بمدينة السلام وان لم ينقش اسمها عليه[٣٥] وقد وردت بعض الدنانير الاسلامية في عهد الخلافة

(٣١) تقويم البلدان — صفحة ٢٩٢ .
(٣٢) القرآن الكريم — سورة الانعام الآية ١٢٦ .
(٣٣) القرآن الكريم — سورة يونس الآية ٢٤ .
(٣٤) انظر المرشد الى آيات القرآن الكريم صفحة ٢٤٠ و ٢٤١ .
(٣٥) الدينار الاسلامي — ناصر النقشبندي صفحة ١٣٠ .

العباسية وعلى الدينار اسم مدينة الضرب التي سك فيها الدينار تحت اسم (مدينة السلام) كما في الدينار المضروب في عهد الواثق (٢٢٧–٢٣٢ هـ)[٣٦]

واستعمل اسم مدينة السلام على النقود في عهد المهتدي (٢٥٥ ـ ٣٣٣ هـ) والمقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) والمقتفي (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ) والمستنجد(٥٥٥ـ ٥٦٦ هـ) والمستضيء (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ) والناصر (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) والظاهر بأمر الله (٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ) [٣٧] .

وبالاضافة الى الاسمين السابقين للمدينة المدورة (بغداد) و (مدينة السلام) فقد اطلق عليها اسم الزوراء ، وليس هناك من دليل نستطيع الاعتماد عليه فنجزم جزما أكيدا عن سبب تسمية بغداد بالزوراء ، اذ ان هناك عدة اسباب وجيهة لهذه التسمية حيث ذهب بعض المؤرخين الى ان سبب تسمية بغداد بالزوراء ، وذلك لازورار القبلة في جامع المنصور والذي سوف تتناول البحث فيه في باب آخر [٣٨] وقيل انما سميت بالزوراء وذلك لان المنصور حين عمرها جعل الابواب الداخلة مزورّة عن الابواب الخارجة أي ليست على سمتها[٣٩] .

وربما انها سميت بالزوراء ، وذلك لان نهر دجلة يزور عند جنوب المدينة المدورة .

---

(٣٦) نفس المصدر ـ رقم ١٤٥ لوح ـ ٥ صفحة ١٣٠ .

(٣٧) نفس صفحة ١٠ وما بعدها .

(٣٨) معجم البلدان ـ ياقوت ٩٥٤/٢ .

(٣٩) نفس المصدر ـ ٩٥٤/٢ .

الفصل الثاني

مساحة بغـداد

قد يكون من الصعب علينا ابداء رأي قاطع في مساحة المدينة المدورة، وذلك ان الرواة المسلمين اختلفوا في المقاييس لهذه المدينة ، ومن المؤرخين الذين نعتمد على رواياتهم في هذا المضمار ــ اليعقوبي والخطيب ، وان ذكر غيرهما ارقاما فانها مستقاة من روايتي هذين المؤرخين •

وسوف نحاول هنا ، ايراد الارقام التي اوردها في كتابيهما (تـاريخ بغداد) و (البلدان) •

روى اليعقوبي ان المنصور « جعل للمدينة اربعة ابواب بابا سماه باب الكوفة وبابا سماه باب البصرة وبابا سماه باب خراسان وبابا سـماه باب الشام ، وبين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء من خارج الخندق »[١] • والواضح من هذه الرواية ان بين كل بابين من ابواب المدورة خمسة آلاف ذراع ، ولما كانت المسافة بين جميـع الابواب الاربعة متساوية فان محيط المدينة المدورة يكون (٢٠ر٠٠٠) ذراع وهو طول السور الخارجي • ولما كان الذراع حوالي نصف متر فيكون محيط الدائرة (١٠ر٠٠٠) متر ، وهو طول السور الخارجي وتكون مساحة المدينة المدورة (٧ر٩٤٥ر٤٥٧) مترا مربعا أي ان مساحتها حوالي ثمانية كيلومترات مربعـة •

---

(١) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ •

أما الخطيب فيروي ست روايات عن رواة مختلفين : —

الرواية الاولى — عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق « خط المدينة ميل في ميل »[٢] ولما كان الميل العربي حوالي (٤٠٠٠) ذراع أي ما يقارب (٢٠٠٠)متر كما روى ياقوت[٣] فتكون مساحة المدينةالمدورة (٣ر١٤٢ر٨٥٧) مترا مربعا أي اكثر من ثلاثة كيلو مترات مربعة .

الرواية الثانية — روى الخطيب عن رباح البناء وكان ممن تولى بناء سور مدينة المنصور فقال « وكان بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل »[٤] ، والخطيب في هذه الرواية يعطي المسافة بين باب وآخر ، وهو غير القطر ، والميل العربي كما قلنا (٤٠٠٠) ذراع أي ما يقارب (٢٠٠٠) متر فيكون قطر المدينة المدورة حسب هذه الرواية حوالي (٢٥٤٥) مترا والمساحة (٥ر٠٨٤ر٩٤٩ر٥) مترا أي حوالي أكثر من خمسة كيلومترات مربعة .

الرواية الثالثة — روى الخطيب عن اطوال قطر بغداد ، فأعطى قطرين مختلفين احدهما ثمانمائة ذراع طول القطر من باب خراسان الى باب الكوفة وستمائة ذراع من باب الشام الى باب البصرة[٥] . ونبعد هذه الرواية بسبب اننا نعلم ان المدينة المدورة كانت مدورة تدويرا كاملا واعطاء قياسين لقطريها معناه انها على هيئة بيضوية وهذا غير ثابت تاريخيا .

الرواية الرابعة — قال وكيع فيما بلغني « ان المدينة مدورة ... قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة

---

(٢) الخطيب — ١/ ٧٠ .

(٣) معجم البلدان — ياقوت ١ / ٣٨ .

(٤) الخطيب — صفحة ٧١ .

(٥) نفس المصدر ١/ ٧٢ .

الى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع »[٦] وهذه الرواية تشير الى ان المدينة كانت دائرية دورانا تاما اذ ان ابعاد ابوابها الاربعة متساوية . ومساحتها حسب هذه الروايةتساوي (٩٥٠ر٧١٤) مترا مربعا أي أقل من الكيلومتر المربع الواحد .

الرواية الخامسة ــ روى الخطيب عن ابن البربري قال « مدينة ابي جعفر ثلاثون ومائة جريب ، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا »[٧] ، والمساحة تكون حسب هذه الرواية (٢٣٤٠٠٠) مترا مربعا[٨] .

الرواية السادسة ــ قال ابو الفضل حدثني ابو الطيب البزاز قال لي خالي ــ وكان قيم بدر ــ قال لنا بدر غلام المعتضد قال امير المؤمنين انظروا كم هي مدينة ابو جعفر ؟ فنظرنا وحسبنا فاذا هي ميلين في ميلين[٩] وتكون مساحة مدينة المنصور المدورة حسب هذه الرواية (١٢ر٥٧١ر٤٢٨) م٢ أي أكثر من اثني عشر كيلومترا مربعا .

(٦) نفس المصدر ١/٧٣ و ٧٤ .

(٧) الخطيب ــ ١ / ٦٩ .

(٨) على اعتبار ان الجريب كما روى الخوارزمي فى مفاتيح العلوم صفحة ٤٤ ــ أن الجريب هو أشل فى اشل ومعناه ستون ذراعا طولا فى مثلها عرضا . يكون تكسيرها ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة ومعنى الذراع المكسرة ان يكون مقدار طولها ذراعا وعرضها ذراعا .

(٩) الخطيب ــ ١/ ٦٩ .

الفصل الثالث

المهندسون والصناع والفعلة

للمهندس أهمية عظيمة في تنفيذ بناء العمائر وتشييد المدن ، وهو بمثابة حجر الزاوية في كل عمران وبناء ، وقد يكون من الصعب على البنائين والعمال الشروع في بناء ضخم من غير الاستعانة بخبرة المهندس وتوجيهه ان لم يكن في حكم المستحيل .

وتاريخ العمارة وتخطيط المدن العربية الاسلامية حافل بالكثير من النماذج الحية والنادرة من المنجزات العمرانية التي تم بناؤها على يد الخلفاء والولاة المسلمين في مختلف العهود الاسلامية ، مثل بناء البصرة والكوفة وواسط والقيروان والفسطاط ، والمدن الاخرى . أما العمائر الدينية والمدنية فمنها قبة الصخرة التي بنيت في عام ٧٢ هـ — ٦٩١ م على يد عبدالملك بن مروان[١] ، والمسجد الجامع في دمشق الذي شيده الوليد بن عبدالملك في عام ٨٨ هـ[٢] ، وجامع القيروان حيث بدأ في بنائه عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ ثم أعيد بناؤه نحو سنة ٧٦ هـ[٣] .

---

(١) الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل — العليمي ٢٤١/١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي — ٢/ ٣٣٩ ، ومروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٦٦ والفخري لابن الطقطقي صفحة ١٢٧ .

(٣) اختط عقبة بن نافع القيروان عام ٥٠ للهجرة كما روى اليعقوبي فى تأريخه ٢/ ٢٧٢ .

هذا بالاضافة الى العمائر والقصور في بادية الشام وشرق الاردن كـ «قصير عمرة»(٤) و « حمام الصرخ »(٥) و « قصر المشتى »(٦) . هذا بالاضافة الى عشرات العمائر الاخرى المنتشرة في شرق العالم الاسلامي وغربه ، ثم المدن الكثيرة التي اوردها الاستاذ ناجي معروف في ملاحق كتابه الموسوم « عروبة المدن الاسلامية »(٧) .

بعد الذي تقدم نستطيع ان نقول في ثقة واطمئنان استنتاجا من الأمثلة الكثيرة التي يعج بها تاريخ العمارة الاسلامية والتي سقنا بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، لا بد وان يكون باعثوها الى الوجود معماريين ومهندسين بلغوا درجة كبيرة من اتقان الصنعة وضربوا بسهم وافر في ميدان الخبرة والمهنة .

ولا بد لي ، وانا ابحث هذا الجانب من تراثنا المعماري والفني ، أن اشير بشيء من الاسف والحسرة الى ان المصادر التاريخية العربية لا تذكر اسماء جميع المهندسين الذين باشروا تنفيذ المشاريع العمرانية المهمة واسهموا

---

(٤) قصير عمرة ــ قصر صيد صغير على بعد خمسين ميلا شرقي عمان، وقد اكتشف من قبل البعثة العلمية التي يرأسها موزل Alois Masil في عام ١٨٩٨ .

(٥) حمام الصرخ ــ حمام يقع على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الشرقي من القلعة الرومانية المعروفة باسم قصر الحلابات ونحو عشرين ميلا من حمام الزرقاء والواقع على طريق الحج على بعد اثنى عشر ميلا شمالي عمان كشفته لعلماء الاثار بعثة جامعة برنستون سنة ١٩٠٥ .

(٦) سبقت الاشارة الى قصر المشتى فى الصفحة ٤٧) .

(٧) انظر ملاحق كتاب « عروبة المدن الاسلامية » للاستاذ ناجي معروف الصفحات من صفحة ٤٣ حتى ٦٧ .

في الاشراف على اقامتها ، وانما تشير الى قسم منهم ، وهم قسم ضئيل اذا ما قيس بالاعداد الكبيرة التي ظهرت على مسرح الحياة العمرانية والهندسية في العالم الاسلامي ، واسهمت بكل فخر اسهاما بلغ الذروة في بلورة العمارة الاسلامية وأضفت عليها مسحة من التمييز بينها وبين الفن المعماري الاجنبي.

وقد عرف القلقشندي « مهندس العمائر » بانه هو الذي يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على ارباب صناعاتها واضاف بان « الهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف»[٨] . واشارت المصادر العربية في حديثها عن بناء بغداد الى عدد طيب من المهندسين والمشرفين على العمل ، ولا بد لنا ان ننوه هنا ان المهندسين الذين قاموا بتخطيط المدورة واشرفوا على تنفيذ العمل كانوا على اطلاع ببعض علوم الهندسة والرياضيات .

وسوف نرى ان اليعقوبي يذكر صراحة اسماء اربعة من المهندسين ، ويشير بعض المؤرخين الى الحجاج بن أرطأة وابي حنيفة النعمان بن ثابت ضمن الذين اختارهم المنصور « من ذوي الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة»[٩] .

والذي يبدو من رواية اليعقوبي ان ارباض موضع المدينة المدورة قسمت عند بدء تخطيطها الى اربعة أجزاء ، فهو يذكر ان المنصور « قسم الارباض اربعة ارباع وقلد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين واعطى اصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق في ربض ربض ، فقلد الربع من باب الكوفة الى باب البصرة وباب المحول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه

---

(٨) صبح الاعشى — القلقشندي ٥/ ٤٦٧ .

(٩) الطبري — ٦/٢٣٧ واحسن التقاسيم للمقدسي صفحة ١٢١ ومعجم البلدان لياقوت ١/٦٨١ .

وعمران بن الوضاح المهندس • والربع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الانبار الى حد ربض حرب بن عبدالله ، سليمان بن مجالد وواضحا مولاه وعبدالله بن محرز المهندس • والربع من باب الشام الى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة حرب بن عبدالله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس • ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة في البغيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس »[١٠] •

وهكذا نرى انه يشرف على كل ربض من هذه الارباض الاربعة ، ثلاثة من الرجال ، اختارهم المنصور من المقربين اليه ، والظاهر كما يلوح من رواية اليعقوبي ان اولهم قائد وثانيهم مولى وثالثهم مهندس • فالقادة الذين أشرفوا على الأرباض الاربعة هم « المسيب بن زهير وسليمان بن مجالد وحرب بن عبدالله وهشام بن عمرو التغلبي » أما الموالي فهم « الربيع ، وواضح ، وغزوان ، وعمارة بن حمزة » واما المهندسون فهم « عمران بن الوضاح ، وعبدالله بن محرز ، والحجاج بن يوسف ، وشهاب بن كثير » •

وبالاضافة الى هؤلاء ، القادة والموالي والمهندسين ، كان يشرف على البناء بعض المراقبين ، والراجح ان المنصور اختار الحجاج بن أرطأة وابي حنيفة النعمان بن ثابت ليشرفا على سير العمل ومحاسبة العمال اذا ما تهاونوا في العمل او تقاعسوا عنه ، اختارهما لمكانتهما اذ المعروف عنهما انهما من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة • والذي يبدو ان المنصور كان قد أعد وظيفة القضاء ليشغلها الإمام ابو حنيفة النعمان بن ثابت ، والى هذا

---

(١٠) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٤٠ •

يشير الطبري « ان المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء فامتنع من ذلك فحلف المنصور أن يتولى له وحلف ابو حنيفة ألا يفعل فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده وأخذ الرجال بالعمل »(١١) .

ويوضح الخطيب مهمة الإمام بقوله « ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق . وكان ابو حنيفة يعد اللبن بالقصب ، وهو أول من فعل ذلك فاستفاده الناس منه »(١٢) .

وبذلك يكون ابو حنيفة هو أول مسلم اعتمد على القصبة في حساب الآجر واللبن المعد للبناء واهمل الطريقة البطيئة في حسابه بطريق العد .

وقد روى اليعقوبي « أن ابا جعفر المنصور لم يبتدىء البناء حتى تكامل له من الفعلة واهل المهن مائة الف »(١٣) وهذا شيء طبيعي ومعقول اذا ما عرفنا عن المنصور الحرص الشديد على ان يكون مشروعه الكبير هذا تاما وكاملا ومشروع كهذا لايتم الا بعد أن يستكمل جميع الشروط وتهيأ له الاسباب ، وأهم هذه الشروط ، توفر الايدي العاملة والمواد البنائية ، فضلا عن توفر الاموال اللازمة التي تمول المشروع ، وتكاد الشروط أو العوامل الثلاثة المتقدمة ان تكون الاساس الذي تقوم عليه المشاريع العمرانية المختلفة .

وكما لاحظنا من رواية اليعقوبي الآنفة الذكر ، ان المنصور لم يبدأ البناء حتى اقبل اليه الفعلة واهل المهن من عمال ومساحين وحدادين ونجارين

---

(١١) الطبري — ٦/ ٢٣٨ .

(١٢) الخطيب — ١/ ٧١ .

(١٣) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

ومزوقين وغيرهم ، اما عدد هؤلاء فكما قدمنا في رواية اليعقوبي «مائةالف» وهذا عدد كبير وضخم ، اما الخطيب فيقول بهذا الصدد ان المنصور « لم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات الوف كثيرة » (١٤) .

ويبدو ان الفترة التي تقع بين استدعاء العمال والوقت الذي حضروا فيه وباشروا العمل ، امضاها المنصور في توجيه المهندسين الى تخطيط المدينة المدورة على الارض التي أختارها مكانا لعاصمته الجديدة .

ويروي اليعقوبي ان المنصور أمر بضرب اللبن العظام قبل وضع الاساس ، حيث كان في اللبنة التامة المربعة ذراع في ذارع ووزنها مائتا رطل ، واللبنة المنصفة طولها ذراع وعرضها نصف ذراع ووزنها رطل وحفرت الآبار للماء وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا ، وهو النهر الآخذ من الفرات (١٥) فأتقنت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين » (١٦) .

---

(١٤) الخطيب — ٦٧/١

(١٥) ويشير ياقوت فى معجمه ٦٨٤/١ ان المنصور مد قناتين الاولى من نهر دجيل الآخذ من دجلة والاخرى من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما الى مدينته فى عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها .

(١٦) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

الفصل الرابع

نفقات البناء من الاموال والمواد

أما اعداد الاموال اللازمة فان النصوص التاريخية تشير الى أنه حينما تكامل عدد البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين الذين وفدوا اليه من مختلف الاماكن والاقطار اجرى عليهم المنصور الارزاق واقام لهم الاجرة[١] . كما تشير هذه النصوص الى شراء المنصور اراضي مدينة بغداد من قوم من ارباب القرى بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بين واقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه[٢] .

عرف المنصور انه مقتصد ، وقد اطلق عليه الناس آنذاك اسم « أبا الدوانيق »[٣] لمحاسبته العمال[٤] والولاة[٥] حسابا دقيقا حتى في عملة صغيرة من عملات ذلك الوقت وهي الدانق[٦] . والى جانب تلك النصوص التاريخية نصوص أخرى تثبت كرمه ، وهذا واضح من رواية الطبري التي يشير فيها الى مساعدة المنصور لبنات عثمان بن بنهيك رئيس حرسه الذي

---

(١) نفس المصدر صفحة ٢٣٨ والخطيب ١/٦٧ .

(٢) فتوح البلدان – البلاذري صفحة ٢٩٣ .

(٣) الطبري – ٦/٢٣٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٢٥٩ و ٢٦٣ .

(٤) الطبري – ٦/٢٦٥ والكامل لابن الاثير ٥/٢١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة ٢٦٧ .

(٥) أمالي المرتضى – ١/٢٢٤ .

(٦) الدانق يساوي ١/٨ الدرهم حسب ما جاء فى كتاب النقود للبلاذري صفحة ٣٨ و ١/٦ الدرهم كما جاء فى كتاب النقود للمقريزي صفحة ٢٣ .

قتل يوم الراوندية[٧] .

وفي وسعنا ان نقول ان المنصور لم يكن بخيلا ، قد لازمته هذه الصفة طول حياته كما يصفه البعض[٨] ، وكان احيانا يجود ويكثر في العطاء[٩] ، ولكنه كان على الاغلب يميل الى الاقتصاد ، وللمنصور رأي خاص في مسألة هذا الاقتصاد فيقول لولا ان الاموال حصن السلطان، ودعامة للدين والدنيا، وعزهما وزينهما ، ما بت ليلة وانا احرز منه دينارا ولا درهما ، لما أجد لبذل المال من اللذاذة ، ولما اعلم في اعطائه من جزيل المثوبة »[١٠] .

ومهما يكن من شيء ، فان المنصور كان يرى في توفير المال اللازم والحفاظ عليه لما قد يحدث من طواريء في المستقبل ضمانا لارساء قواعد دولته الفتية[١١] .

وقد اورد المؤرخون ارقاما تكاد تكون متشابهة ومتقاربة في نفقات البناء ، فالطبري[١٢] يروى انه ذكر عن عيسى بن المنصور انه قال وجدت في خزائن أبي جعفر المنصور في الكتب انه انفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والاسواق والفصلان والخنادق واقبابها وابوابها اربعة

---

(٧) الطبري ٣٢٧/٦ .

(٨) تاريخ الخلفاء — السيوطي صفحة ٢٦٧ وبغداد فى عهد الخلافة العباسية للسترانج صفحة ٤٤ .

(٩) روى المسعودي فى الاشراف والتنبيه صفحة ٣٤١ عن المنصور انه كان يجود بالاموال حتى يقال هو اسمح الناس .

(١٠) الطبري — ٣٣٠/٦ .

(١١) نستنتج ذلك من قوله — كما جاء فى الطبري ٣١٧/٦ — ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته الا بالمال . ومن وصيته لابنه المهدي فى الطبري ٣٤٢/٦ .

(١٢) الطبري — ٢٦٨/٦ .

آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما[١٣] ومبلغها في الفلوس مائة الف الف فلس وثلاثة وعشرون الف فلس . وذلك ان الاستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط[١٤] والروزكارى بحبتين الى ثلاث حبات[١٥] .

ويروي المقدسي رواية مشابهة لرواية الطبري[١٦] ، اما الخطيب فيروي ثلاث روايات واحدة منها مشابهة لما اورده الطبري[١٧] ، والاخرى يروي فيها ان المنصور انفق على مدينته ثمانية عشر الف الف[١٨] وقد نقل ابن الجوزي هذه الرواية في كتابه مناقب بغداد . اما رواية الخطيب الثالثة فيقول رأيت في بعض الكتب ان ابا جعفر المنصور انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيهـا والابواب والاسـواق الى ان فرغ من بنائها اربعـة

(١٣) الدرهم ويساوي ـ حسـب ما روى البلاذري فى كتاب النقـود صفحة ٣٨ ـ ثمانية دوانق . اما المقريزي فى كتابه النقود صفحة ٢٣ فيذكر ان الدرهم يساوي ستة دوانق . والدانق لفظةمأخوذة من الفارسية (من دانة) أي حبه ويساوي الدانق ثماني حبات كما قال البلاذري فى الصفحة ٣٨ .

(١٤) القيراط يساوي نصف الدانق كما ورد فى البلاذري الدرهم ثمانية دوانق ، والدانق قيراطا والقيراط طسوجان والطسوج حبتان .

(١٥) الحبة ـ وهي حبة الحنطة وتساوي ١ من ٦٤ من الدرهم وهي ربع القيراط .

(١٦) احسن التقاسيم ـ المقدسي صفحة ١٢١ .

(١٧) الخطيب ١/٦٦ .

(١٨) الخطيب ١/٦٩ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ٩ . ولا يذكر الخطيب هل ان هذا العدد هو بالدراهم أم بالدنانير .

(١٩) فى طبعة باريس اربعة آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثمانين كما اشار محقق الخطيب لطبعة السعادة بمصر فى الصفحة ٦٩ .

آلاف[١٩] وثمنمائة وثلاثة وثمانين درهما[٢٠] .

اما ياقوت فيشير ان المنصور انفق على عمارة بغداد ثمانية عشر الف الف ، ثم ينقل عن الخطيب رواية اخرى يقول فيها ان المنصور انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعة الف انف وثمانماية وثلاثة وثمانين الف درهم[٢١] .

ويروي اليعقوبي ان المنصور وضع اساس المدينة في وقت اختاره نوبخت[٢٢] وماشاء الله بن سارية[٢٣] . ثم يذكر في موضع آخر ان المهندسين الاربعة عبدالله بن محرز والحجاج بن يوسف وعمران بن الوضاح وشهاب ابن كثير الذين هندسوا بغداد وخططوها فعلوا ذلك بحضرة نوبخت وابراهيم ابن محمد الفزاري والطبري المنجمين اصحاب الحساب[٢٤] .

ويشير الخطيب الى اسم منجم واحد فقط هو نوبخت[٢٥] .

---

(٢٠) الخطيب ٦٩/١ .

(٢١) معجم البلدان ـ ياقوت ٦٨٣/١ .

(٢٢) نوبخت المنجم ـ وهو رجل فارسي مجوسي ، يقال ان المنصور تعرف عليه فى سجن الاهواز ثم التحق بالمنصور عند قيام الدولة العباسية واسلم على يده . وكان يرافق المنصور حيثما توجه ولما ضعف عن خدمته قال له المنصور (احضر ولدك ليقوم مقامك) فأحضره وهو ابو سهل بن نوبخت كما ذكر ابن القفطي فى تاريخ الحكماء صفحة ٤٠٩ . أما ياقوت فى معجمه ٦٨٤/١ فانه يذكر ان المنصور امر ابا سهل ابن نوبخت بأخذ الطالع حينما اراد بناء بغداد .

(٢٣) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٢٤) نفس المصدر صفحة ٢٤١ .

(٢٥) الخطيب ـ ٦٧/١ .

والظاهر أن الخلفاء او لولاة الذين يقومون ببناء مشروع كبير ، كبناء مدينة بغداد مثلا ، كانوا يحرصون في الوقت نفسه على استشارة المنجمين والذين يشتغلون في عد النجوم وحساب دورانها وتعيين بروجها . ويروي اليعقوبي ان المتوكل حينما عزم على بناء مدينة له[٢٦] أمر محمد بن موسى المنجم وبعض المهندسين ان يختاروا موضعا ليبني عليه مدينته[٢٧] .

والذي يبدو ان تعيين يوم العمل في المشروع من قبل المنجم كان يهدف الى شيء من التفاؤل وحسن الطالع ، ومثل هذا الشيء معروف في ايامنا الحاضرة ، وينطبق على بعض نواحي الانسان الحياتية .

وكيفما كان الامر ، فان المنصور استعان بالمنجمين قبل بدء العمل في المدينة وعند الانتهاء منها ، اذ روى عن بعض المنجمين ان المنصور قال له بعد ما فرغ من مدينة السلام « خذ الطالع فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس واخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا اليها وفقر الناس الى ما فيها . ثم قلت له ـ وابشرك يا أمير المؤمنين اكرمك الله بخلة اخرى من دلائل النجوم لا يموت فيها خليفة من الخلفاء ابدا فرأيته تبسم لذلك ثم قال ـ الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[٢٨] .

وقبل ان تشق معاول العمال الارض البكر ، أحب المنصور ان يتبين معالم تخطيط المدينة التي اسهم هو ومهندسوه في وضع الفكرة والتصميم ، فقد روى الطبري « ان المنصور لما عزم على بنائها احب ان ينظر اليها عيانا

---

(٢٦) وهذه المدينة هي مدينة الجعفرية كما جاء في البلدان لليعقوبي صفحة ٢٦٦ .

(٢٧) البلدان ـ اليعقوبي ٢٦٦ .

(٢٨) الخطيب ـ ٦٨/١ .

فأمر ان يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر اليهم والى ما خط من خنادقها فلما فعل ذلك أمر ان يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وامر ان يحفر اساس ذلك على الرسم ثم ابتدىء في عملها »(٢٩) .

ولا بد لي ، وانا في معرض بحث تخطيط بغداد ، ان اقف عند هذا النص وقفة ممعنة فاحصة ، وينبغي لي ايضا أن الفت بتواضع ، نظر الباحثين والمتخصصين في ميدان العمارة والآثار الاسلامية ، الى أهمية هذا النص التأريخي ، وما يبنى عليه من بروز نظرية الاستنباط الفكري ، والابداع المعماري التي يتحلى بها الخليفة المنصور والذين اسهموا معه في تنفيذ البناء، فهذا النص يرشدنا الى نقطة بالغة الاهمية في طبيعة البحث الذي نتناوله ، ويفسر الكثير من الآراء ووجهات النظر التي نسوقها ونوردها في موضوع بناء المدينة المدورة . ويوضح لنا بجلاء ان المنصور لم يكن حاكماً افرغ كل ما لديه من وقت وجهد ومال في الناحيتين السياسية والعسكرية ، وترك ما بقي من امور الدولة الاخرى لوزرائه وولاته ، وانما كان يشرف على كل الامور صغيرها وكبيرها(٣٠) .

واستنتاجا من النص السابق الذي اورده الطبري ، ومن نصوص تاريخية سوف نستشهد بها في مواضع اخرى ، نستطيع القول ان للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور نظرة فاحصة وصائبة في ميدان العمارة ومعرفة

---

(٢٩) الطبري – ٢٣٧/٦ .

(٣٠) انظر الوزراء والكتاب للجهشياري صفحة ١٣٩ .

بالنواحي الهندسية والمعمارية(٣١) .

ولم تلبث هذه المعرفة ان انعكست على سعيه في بناء مدينته فامتزجت مع آراء مهندسيه ومعماريه . فكان نتاج هذا الالتقاء ثمرة يانعة في عالم العمارة يفتخر بها العرب والمسلمون فيما يفتخرون به من مفاخر تراثهم المعماري والحضاري .

وبعد أن اطمأن المنصور الى تخطيط المدينة على الارض ، وشاهد بنفسه النيران الملتهبة التي اضرمت في حب القطن والنفط فأظهرت جميع مرافق المدورة مجسمة . اصبح الشروع في البناء أمراً مؤكداً فحفر الاساس وفق تلك المخططات . ووضع اول لبنة بيده وقال — بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال أبنوا على بركة الله(٣٢) .

ويروى الطبري ان أبا جعفر المنصور شاور اصحابه في تخطيط بغداد ، ومن الذين شاورهم خالد بن برمك ، وحينما كان ابو جعفر يعد العدة للبناء والشروع في التنفيذ احتاج الى الانقاض فأستشار خالد وقال له « ما ترى في نقض بناء مدينة أيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه الى مدينتي هذه قال — لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين قال — ولم ؟ قال — لانه علم من أعلام الاسلام

---

(٣١) انظر النصوص والصفحات التالية :

الخطيب — ٦٧/١ قوله « فمثل لهم صفتها التي فى نفسه » وصفحة ٧٧ أمر النفق الخاص فى قصر المنصور وصفحة ٧٤ ازورار ابواب المدينة المدورة ، أو مداخل مدينة المنصور المنحنية وصفحة ٨٠ فى أمر تحويل اسواق المدورة الى الكرخ حيث دعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الاسواق ورتب كل صنف منها فى موضعه وقال اجعلوا سوق القصابين فى آخر الاسواق .

وانظر الطبري ٢٦٧/٦ و ٢٦٨ .

(٣٢) الطبري — ٢٣٥/٦ .

يستدل به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بأمر دنيا وانما هو على أمر دين ومع هذا يا امير المؤمنين فان فيه مصلي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال — هيهات ياخالد ابيت ألا الميل الى اصحابك العجم .
وأمر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجودوا ذلك اكثر من ثمن الجديد لو عمل ، فرفع ذلك الى المنصور فدعا بخالد بن برمك فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله وقال له ما ترى قال يا أمير المؤمنين قد كنت ارى قبل ان لاتفعل فأما اذ فعلت فأني أرى ان تهدم الآن حتى تلحق بقواعده لئلا يقال انك قد عجزت عن هدمه فأعرض المنصور عن ذلك وأمر ان لايهدم » (٣٣) .

---

(٣٣) نفس المصدر ٢٦٤/٦ .

يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله(٣٢) .

ويروي الطبري أن أبا جعفر المنصور شاور أصحابه في تخطيط بغداد، ومن الذين شاورهم خالد بن برمك ، وحينما كان أبو جعفر بصدد العدة للبناء والشروع في التنفيذ احتاج الى الأنقاض فاستشار خالد وقال له « ما ترى في نقض بناء مدينة ايوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه الى مدينتي هذه قال ــ لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين قال ــ ولم ؟ قال ــ لأنه علم من أعلام الاسلام

---

(٣١) انظر النصوص والصفحات التالية :

الخطيب ــ ١/٦٧ قوله « فمثل لهم صفتها التي في نفسه » وصفحة ٧٣ امر النفق الخاص في قصر المنصور وصفحة ٧٤ الزوار ابواب المدينة المدورة أو مداخل مدينة المنصور الأربعة وصفحة ٨٠ في أمر تحويل اسواق المدورة الى الكرخ حيث دعا المنصور بثوب وأمر أن يخط فيه الأسواق ورتب كل صنف منها في موضعه وقال اجعلوا سوق القصابين في آخر الأسواق .

وانظر الطبري ٦/٢٦٧ و ٢٦٨ .

(٣٢) الطبري ــ ٦/٢٣٥ .

الباب السادس

الشروع ببناء بغداد

الفصل الاول

تخطيط المدينة المدورة

أورد المؤرخون المسلمون اشارات مختلفة عن تأريخ بدء العمل بالمدينة المدورة ، وأشاراتهم هذه تكاد تحصر تأريخ البناء بين سنتي تسع وثلاثين ومائة وسنة خمس واربعين ومائة .

وقد ذكر البلاذري ، وهو أقدم المؤرخين عهدا زمن بناء بغداد « ان المنصور ابتدأ في بنائها سنة خمس واربعين ومائة » [١] ويذكر اليعقوبي تأريخين مختلفين في كتابيه (التأريخ) و (البلدان) فهو يذكر في تأريخه « وصار ابو جعفر الى بغداد سنة ١٤٤ فقال ما رأيت موضعا اصلح لبناء مدينة في هذا الموضع » [٢] ثم يذكر تأريخا مغايرا لهذا التأريخ في مؤلفه الآخر (البلدان) فيروي ان أبا جعفر « اختطها في شهر ربيع الاول سنة أحدى واربعين ومائة » [٣] .

ويروى الطبري اربع روايات ، رواية منها تشير الى ابتداء العمل في سنة ١٤٤ [٤] والروايات الثلاث الاخرى تشير الى سنة ١٤٥ [٥] ، ويشير المقدسي الى التأريخ الاخير [٦] . وكذلك يشير الخطيب الى نفس هذا

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري صفحة ٢٩٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ـ ٢/٤٤٩ .

(٣) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٤) الطبري ـ ٦/٢٣٧ .

(٥) انظر الطبري ـ ٦/الصفحات ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ .

(٦) احسن التقاسيم ـ المقدسي صفحة ١٢١ .

التأريخ أيضا في روايتين أحداهما قوله ان المنصور ابتدأ اساس المدينة سنة خمس واربعين ومائة [٧] . وثانيهما قوله انها بنيت في سنة خمس واربعين ومائة [٨] وفي رواية ثالثة له يروى ان المنصور (أمر ببنائها ثم رجع الى الكوفة بعد مائة سنة واربع واربعين سنة واربعـة اشهر وخمسة ايام من الهجرة) [٩] .

وعلى خلاف هؤلاء المؤرخين يعطي الدنيوري وقتا مبكرا لتأريخ بناء المدينة فيقول « وكان بناؤه اياها في سنة تسع وثلاثين ومائة » [١٠]

يبدو أن اكثر المؤرخين المسلمين يؤيدون بدء العمل في بناء المدورة عام ١٤٥ هـ ، وهذا ما نراه صائبا وقريبا من الواقع ، اذ نستطيع ان نحدد تأريخ بدء البناء بالاضافة الى ما اورده المؤرخون ، بحادثة تأريخية مهمة وهي خروج محمد النفس الزكية بالمدينة وابراهيم بالبصرة [١١] .

وكذلك ترجح الكتابات والبحوث الحديثة هذا التأريخ على غيره من الآراء ،فقد أشار المستشرق الانكليزي لسترانج ان المنصور باشر بناء مدينته الجديدة في عام ١٤٥ هـ [١٢] وكذلك يذكر الباحث الفرنسي دومنيك سوردل

---

(٧) الخطيب — ١ / ٦٦ .

(٨) نفس المصدر — ١ / ٩٦ .

(٩) نفس المصدر — ١ / ٦٧ .

(١٠) الاخبار الطوال — الدنيوري صفحة ٣٧٩ .

(١١) يشير اليعقوبي فى تاريخه ٢ / ٤٥٢ الى أن محمد النفس الزكية خرج فى عام ١٤٥ هـ وكذلك يشير الطبري ٦ / الصفحات ٢٣٨ و ٢٤٠ بان المنصور أوقف البناء وانصرف الى أخماد الثورة ، فى حوادث عام ١٤٥ . وكذلك يشير المسعودي فى التنبيه والاشراف صفحة ٣٤١ الى سنة ١٤٥ .

(١٢) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ١٧ .

ان المنصور بنى بغداد في عام ١٤٥ هـ (١٣) . Dominique Sourdel

أما الدكتور الدوري فانه لم يذكر في بحثه عن بغداد في دائرة معارف الاسلام تأريخا قاطعا وانما يشير الى رواية اليعقوبي في البلـدان ورواية الخوارزمي في تأريخ بغداد للخطيب (١٤) .

ومهما يكن من امر ، فان الاختــلاف في تأريخ بناء مدينة المنصور المدورة شأن غيره من الاحداث التأريخية المهمة التي أختلف فيها المؤرخون واختلافهم هنا كما عرضنا من النصوص المختلفة التي اوردها في مصنفاتهم غير كبير .

ويبدو أن المنصور بعد ان اطمأن اطمئنانا تاما الى الموضع الذي يبني فيه مدينته المدورة ، وبعد ان أعد المال اللازم لجميع المصاريف التي يحتاجها مشروعه الكبير ، ارسل الى عماله وولاته في مختلف الاقطار الاسلامية يطلب معونتهم في توجيه العمال والفنانين اليه . ويشير اليعقوبي الى هذا فيقول « ثم وجه في احضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر وأحضر البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين » (١٥) .

ويذكر المؤرخون الاماكن والمدن التي استعان المنصور بعمالها وفنانيها ومهندسيها فيذكرون بان المنصور وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة (١٦) .

---

(١٣) Arabica, Vol. spécial, Baghdad, P.251 .

(١٤) Encyclopaedia of Islam, Art. of Baghdad, Vol. I p.896.

(١٥) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ . وانظر الخطيب ١ / ٦٦ .

(١٦) الطبري ـ ٦ / ٢٣٧ . ومعجم البلدان ـ ياقوت ١ / ٦٨١ وابن

وطلب المنصور الاستفادة من خبرات العمال والفنانين المسلمين ، من مختلف الاقطار الاسلامية نستطيع أن نطلق عليه اسم (نظام الاستدعاء) او أمر تكليف ومعناه جمع وحشر الصناع والعمال من مختلف الاماكن في الدولة وتوجيههم الى عمل رسمي تأخذ الحكومة او السلطة القيام به [١٧] .

والذي يبدو ان هذا (التكليف او الاستدعاء) كان معروفا لدى الخلفاء والولاة المسلمين ، وتروي لنا كتب التأريخ امثلة طيبة يتجسد فيها هذا النظام كمثل حي ونابض للتعاون المثمر والمساعدة القيمة التي يتسابق اليها العمال والمهرة من الفنانين ورجال الهندسة لتشييد العمائر واقامة المباني .

ولم يقف الامر عند استخدام العمال المسلمين ، وانما هناك روايات تشير الى الاستعانة بغيرهم من العمال الاجانب ، فقد روى اليعقوبي في اثناء حديثه عن العمارة الكبرى في تجديد مسجد النبي في المدينة على يد الوليد ابن عبد الملك فقال « ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهبا ومائة فاعل واربعين حملا فسيفساء فبعث الوليد بذلك الى عمر [١٨] وأصلح به المسجد وفرغ من بنائه في سنة » [١٩] .

الاثير — ٥ / ١٥ .

(١٧) ونحب ان نشير ان الولاة او الخلفاء المسلمين الذين كانوا يستدعون العمال والفنانين والمهنيين من أطراف الدولة ويكفونهم القيام بأعمال البناء ، كانوا يدفعون لهم أجرة لقاء أعمالهم ، وفى بناء بغداد دفع المنصور للعمال ما يستحقونه من أجور ، كما مر بنا فى الباب لخامس حينما بحثنا فى الفصل الرابع منه نفقات البناء من الاموال والمواد .

(١٨) يقصد به عمر بن عبد العزيز فى اثناء ولايته للمدينة وقد عين واليا عليها فى عام ٨٧ هـ على عهد الوليد بن عبد الملك .

(١٩) تأريخ اليعقوبي — ٢ / ٣٤٠ .

ونهج الخليفة العباسي المعتصم عند تشييده لمدينة سامراء نهج الاستعانة بالايدي العاملة في شتى الاقطار الاسلامية فقد روى اليعقوبي بهذا الصدد ان المعتصم « كتب في اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر الصناعات وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة وما والاها من بغداد وسائر السواد ومن انطاكية وسائر سواحل الشام وفي حمل عملة الرخام وفرش الرخام فأقيمت باللاذقية وغيرها دور صناعة الرخام » [٢٠] .

وروى اليعقوبي في موضع آخر ان المعتصم استعان برجال الفنون والمهنيين فقال « وأقدم المعتصم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الارض وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر وحمل من الكوفة من يعمل الخزف ومن يعمل الادهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة » [٢١] .

ولا ريب ان المسلمين قد أستفادوا كثيرا من هذا التعاون ، اذ بفضله انتقلت الاساليب الفنية والطرز المعمارية في مختلف مجال الفن الاسلامي من قطر الى آخر ومن مدينة الى أخرى ، وقد أدى انتقال هذه الاساليب الفنية المختلفة الى امتزاج المدارس والانماط الفنية والتقاء فروعها بعضها مع البعض الآخر مما كان له أبعد الاثر في وحدة الفن الاسلامي .

وفي بناء بغداد ، كما قدمنا ، لاحظنا ان المنصور قد حشر الصناع وأصحاب المهن من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، ومما

---

(٢٠) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٥٨ .

(٢١) نفس المصدر — صفحة ٢٦٤ .

لاشك فيه ان الطرز الفنية التي أزدهرت في الشام وواسط على يد الامويين لابد وانها قد التقت بالطرز الفنية المتواضعة التي نمت وترعرعت في المدن الاسلامية الاولى كالكوفة والبصرة بالاضافة الى منطقتي الموصل والجزيرة.

ومن هنا نستطيع ان نقرر في ثقة اكيدة ان الذين أشرفوا على بناء المدورة والذين قاموا بالبناء والذين زوقوا المدينة بالطرز الفنية كانوا من العرب المسلمين الذين عاشوا في مدن اسلامية وتحت حكم الامويين تارة وحكم العباسيين تارة أخرى . وسوف نؤكد في الابواب والفصول التالية حينما نتناول بحث بعض المظاهر المعمارية والهندسية التي برزت في بناء المدينة المدورة ، ان الاصول المعمارية لهذه المظاهر الهندسية ليست غريبة على المهندسين والعمال وبقية المعماريين المسلمين ، وانما هي أحد اثنين ، اما مستنبطة من فكرهم وأبداعهم المعماري ، وأما متحدرة مع شيء من التطور عن نماذج وأصول كانت معروفة لديهم في الاقطار التي اقبلوا منها .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ، ان مشروعا ضخما كمشروع المنصور هذا ، لابد وان يكون قد وضع له في اول الامر نموذج مجسم (٢٢) ، اذ المعروف ان الكثير من تخطيط العمائر كالقصور والربط والمساجد ودور العلم ، وما تشتمله من مزايا هندسية وتفاصيل معمارية يصعب على المعمار أو البناء تنفيذ مثل هذه العمائر من غير رسم هندسي مخطط مسبق مثل الزخارف الجصية والخشبية والنحاسية والرخامية والواجهات الحجرية ، والقباب والمآذن وأحواضها والمقرنصات (٢٣) انها تنفذ وفقا لرسوم واشكال

---

(٢٢) وعلى كل حال فاننا نستطيع ان نعتبر فكرة ايقاد النار فى حب القطن فى تخطيط أساس المدورة ، كما سيأتي الكلام عنه كنموذج لتخطيط مدينة بغداد.

(٢٣) انظر نماذج من الزخرفة الآجرية للمدرسة الشرابية فى كتاب الاستاذ ناجي معروف (المدرسة الشرابية) اللوحات رقم ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،

معينة ، حيث كان المهندس يقوم برسم المخططات وكان المعمارون ينفذون ما يرسمه المهندس . على ان المعمار يكون احيانا هو المهندس وهو المعمار كما هو الحال في العراق اليوم ، حين يكون المعمار الذي يبني المئذنة هو الذي ينفذ ما يرسمه هو بنفسه كذلك عند بناء المقرنصات ، فالمعروف أن الذي يقوم بتنفيذ هذه المقرنصات هو المعمار نفسه وليس المهندس . وكذلك شأن الزخارف الاخرى ، وقلما نجد أثر المهندس في مثل هذه الامور . ومن حق أي انسان ان يتساءل ، وهو يشهد ثروة عظيمة من المخلفات والعمائر والمباني العربية الاسلاميـة تنبت هنا وهناك في أراضي واسعة من العالم الاسلامي ، هل ان هذه الآثار المعمارية على اختلاف طرزها وتباين أساليبها وبما فيها من فنون زخرفية وأساليب معمارية قد خرجت الى الوجود وفقا لنماذج مصغرة لها وتصميمات هندسية اولية ،ومن الذي أشرف على تصميمها وتخطيطها حتى أبرزها بهذا الاطار الجميل ، أهم مهندسون أتقنوا الصنعة أم معمارون ؟ وجوابنا يستند الى النصوص التأريخية والوثائق الاثرية ، ودراسة هـذه النصوص والوثائق تدفعنا بأن نجيب على مثـل الاسئلة السابقة ، بان عددا من المهندسين وعددا من المعماريين قاموا بهذه الاعمال وباشروا بأنفسهم الاشراف على العمائر والمباني ، التي يستدعون الى تشييدها والنصوص التأريخية تشير الى انهم كانوا يضعون تصميمات شاملة للعمائر تصاحبها احيانا تصميمات شاملة للعمائر تصاحبها أحيانا تصميمات تفصيلية لأجزاء تلك العمائر على الورق او القماش او الجلود ، ولم يقتصر الامر

---

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . وانظر تاريخ علماء المستنصرية للاستاذ ناجي معروف صفحة ٤٥ و ١٣٨ واللوحات ٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وانظر (جوامع الموصل) لسعيد الديوه جي اللوحات في صفحة ١٧

على التصميمات المخططة ، بل اننا نلاحظ ان المهندسين الذين أشرفوا على بعض العمائر الاسلامية المهمة وضعوا نماذج مجسمة لها ، ومن ثم نفذت طبقا لتلك النماذج المجسمة .

ولابد لنا من الاشارة الى ان التصميمات المخططة ، والنماذج المجسمة تتطلب معرفة ببعض المبادىء الهندسية ، وإلمام بالعلوم الرياضية فضلا عن توافر الخبرة في الرسم والتصوير .

واذا رجعنا الى المصادر ، فاننا نجد ان المصادر والمؤلفات العربية قد تناولت العلوم الهندسية والتخطيطية والرياضية ، وبحثت في الحيل الميكانيكية وجر الاثقال (٢٤) ، وقام قسم من المصورين المسلمين بتزيين هذه الكتب باللوحات التصويرية التي توضح ما جاء في تلك الكتب (٢٥) .

غير ان معظم النماذج والمخططات قد فقدت ولم يصلنا منها شيء كي يبقى مثالا حيا وطيبا ، لتراثنا المعماري والهندسي ، ومع ذلك فان المصادر العربية والاسلامية اشارت الى روايات وأخبار تأريخية تثبت ما قلناه سابقا بأن المسلمين قد وضعوا رسومات وتصميمات لمبانيهم وعمائرهم .

---

(٢٤) الفهرست — ابن النديم صفحة ٣٨٥ و ٣٨٦ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي صفحة ١٤١ — ١٤٥ .

(٢٥) من المخطوطات التي عني بتزويقها المصورون المسلمون — كما جاء في مدرسة بغداد فى التصوير الاسلامي للدكتور زكي محمد حسن صفحة ١٦ — كتاب الحيل الميكانيكية او (كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل) لابن الرزاز الجزري ، الفه لامير من آل أرتق فى أواخر القرن السادس للهجرة (١٢ للميلاد) وتكلم فيه على الآلات الضاغطة والرافعة والناقلة والمتحركة حركات خفيفة .

ففي بناء مدينة المنصور المدورة ، ذكرت المراجع العربية (٢٦) ان نموذج تخطيط المدينة قد تم في الموضع الذي شيدت فيه المدينة المدورة وبنفس المساحة والابعاد روى الطبري • « ان المنصور لما عزم على بنائها أحب ان ينظر اليها عيانا فأمر أن يخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد » (٢٧) •

ولكننا نعتقد انه لابد ان المهندسين الذين وكل اليهم الاشراف على التخطيط الابتدائي وتنفيذ البناء فيما بعد على الارض المهيأة لاقامة العاصمة عليها ، لابد انهم قد وضعوا النموذج الاول والتصميم الابتدائي المصغر ليطلع عليه المنصور ، اذ المعروف ان من المتعذر على المهندس والبناء نقل وتثبيت المقاييس المطلوبة من دون الاستعانة بالتصميم المصغر ، ولايستبعد ان المهندسين قد وضعوا مثل هذا التصميم الابتدائي المطلوب ، ولا نستطيع معرفة هيئة ذلك التصميم ، فهو قد يكون على هيئة نموذج مجسم من الخشب او الجبس او الطين ، والذي يجعلنا نرجح ان بناة بغداد والمشرفين على التخطيط فيها قد وضعوا تصميم المدينة الابتدائي المصغر • ما روته كتب التأريخ من عمل النماذج المجسمة لبعض المشاريع العمرانية المهمة ،

---

(٢٦) البلدان — لليعقوبي صفحة ٢٣٣ وما بعدها ، الطبري — ٦/٢٣٧ والخطيب ١ / ٦٦ وما بعدها ومعجم البلدان لياقوت ١ / ٦٧٧ وما بعدها ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٥ .

(٢٧) الطبري — ٦ / ٢٣٧ .

وهناك مثل يعاصر بناء المدينة المدورة اشارت اليه المصادر العربية ، فقد ذكر الجهشياري ان المورياني (٢٨) اشار على ابي جعفر باقطاع قطيعة الى ولده صالح (٢٩) وهب المعروفة بالسبيطية من أعمال البصرة ، طلب أبو جعفر الى بعض المهندسين بتصويرها له ، فصورها ، وعرض الصورة عليه فاستحسنها (٣٠) . وهناك مثل آخر سابق عن تأريخ المثال المتقدم ، فقد ذكر العليمي في اثناء كلامه على بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة ببيت المقدس قال « فجمع الصناع لعملها وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر لسبع سنين ووكل على صرف المال أبا المقدام رجاء بن حياة الكندي وكان من العلماء الاعلام ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع ، فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر

---

(٢٨) الموريانى ـ هو سليمان بن مخلد الخوزي يكنى بأبي ايوب الموريانى تعرف عليه المنصور فى الاهواز حينما سجن فى عهد بني أمية ، على يد سليمان بن حبيب بن المهلب ، ودافع عنه أبو ايوب الموريانى . وحينما استخلف ابو جعفر أصبح كاتبه فى اول الامر ثم استوزره بعد ذلك فأصبح وزيرا له . كما جاء ذلك فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري صفحة ٩٨ .

(٢٩) صالح هذا هو ابن المنصور وقد جاء فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري صفحة ١١٧ ـ وكان المنصور يحب ابنا له يقال له صالح ويرق عليه وكان أقطع اولاده جميعا قطائع الا خلاه وكان يقول ابني هذا المسكين لاشيء له ، فلقب بصالح المسكين فقال له ابو أيوب يا امير المؤمنين قد أصبحت ضيعه تقرب من الاهواز وتشرب من دجلة ، وتغيض فيها ، وهي بلد واسع وقد دثرت رسومها وانطمست أنهرها . . . فأقطع المنصور صالحا بتلك الضيعة .

(٣٠) الوزراء والكتاب ـ الجهشياري صفحة ١١٧ .

ببنائها كهيئاتها » (٣١) .

وقد اشتملت بعض الكتب التأريخية والجغرافية على رسومات هندسية وفي كتاب تحفة الالباب لابي حامد الاندلسي الغرناطي صور منها صورة للهرم وأخرى لمنارة الاسكندرية (٣٢) .

وقد أورد الاستاذ ناجي معروف في كتابه « عروبة المدن الاسلامية » امثلة كثيرة للتصاميم المجسمة (٣٣) . ولا ريب ان مثل هذه الامثلة الكثيرة التي حوتها المصادر العربية تشير الى ان الفنانين والمهندسين المسلمين قد عرفوا صنع هذا النوع من النماذج والتصاميم المجسمة ، سواء اكان ذلك قبل بناء بغداد أم بعدها . وان كان المهندسون والمعمارون المسلمون لمدينة أبي جعفر المنصور ، لم يضعوا التصميم المجسم لها ، فانه من الجائز ان يكونوا قد رسموه او صوروه على سطح مستو من الورق أو القماش او الجلد ولسنا نقول هذا اعتباطا وانما نستنتجه مما رواه الخطيب ، الذي اشار في معرض حديثه عن نقل الاسواق من داخل المدورة الى خارجها في منطقة الكرخ ان الخليفة المنصور دعا (بثوب واسع فحد فيه الاسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال أجعلوا سوق القصابين في آخر الاسواق) (٣٤) .

وان كان المنصور قد وضع تخطيط الاسواق في الكرخ على ثوب واسع ، أي انه وضع للاسواق مخططا مصغرا ، فان من الجائز جدا ، بل وفي حكم المعقول ، ان يأمر برسم تخطيط المدينة المدورة قبل بنائها على

---

(٣١) الانس الجليل باخبار القدس والخليل — العليمي ١ / ٢٤١ .

(٣٢) المؤتمر الثاني للاثار صفحة ١١٧ .

(٣٣) وللاستزادة بأمثلة أخرى للتصاميم المجسمة ينظر الصفحات ٣٥ ، ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ من كتاب عروبة المدن الاسلامية .

(٣٤) الخطيب ١ / ٨٠ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٣ .

قطعة من الورق أو القماش او الجلد [٣٥] .

فان لم يكن قد صنع مثل هذا النموذج ، فان تخطيط الخندق ، والاسوار ، والفصلان ، والرحبات ، والقصر ، والمسجد ، وبقية مخططات المدينة المدورة ، قد تم على الارض المستوية التي اقيمت عليها المدينة وبنفس المساحة والابعاد كماورد ذلك في رواية الطبري التي سبق وأشرنا اليها [٣٦] .

ويستعاض أحيانا عن عمل الرسومات بالتخطيط على الارض لعرض المشروعات الكبيرة بايضاح اوسع ، وقد فعل ذلك حسن الصياد المهندس حينما طلب منه السلطان الغروي في سنة ٩١٦ هـ — ١٥١٠ م ان يعرض عليه رسم مدينة الاسكندرية [٣٧] .

ولم يكتف المنصور بفحص خطوط الرماد أو غيره مما وضع في تعيين مخططات مدينته المدورة ، وانما امر كما روى الطبري « ان يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر ان يحفر أساس ذلك على الرسم » [٣٨] .

---

(٣٥) سبق وأن أشرنا الى ان بعض المهندسين كان قد صور ضيعة السبيطية من أعمال البصرة للمنصور . هذا وقد أشار الاستاذ ناجي معروف فى كتابه (عروبة المدن الاسلامية) الى أمثلة مختلفة من التصوير على الجلود والورق وغيرهما فى الصفحات ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .

(٣٦) الطبري ٦ / ٢٣٧ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ٨ .

(٣٧) المؤتمر الثاني للاثار —بحث الاستاذ حسن عبد الوهاب صفحة ١١٧

(٣٨) الطبري — ٦ / ٢٣٧ .

الفصل الثاني

شكل المدينة المدورة

لقد أشرنا الى ان مدينة أبي جعفر المنصور قد اشتملت على بعض العناصر المعمارية المهمة ، والتي تكاد ان تكون بمثابة الامثلة المعمارية الفريدة في العمارة ، والفن ، والتخطيط . وأشرنا أيضا الى ان بعض علماء الآثار الاسلامية الذين تسنى لهم دراسة مدينة بغداد الغربية في الكتب والمصادر العربية ، وتسنى للبعض الآخر منهم التنقيب في العراق لفتت نظرهم تلك العناصر المعمارية المهمة ، فكتب بعضهم عنها امثال العالم الآثاري البريطاني كريزويل [١] والعالم الالماني الدكتور هرتسفيلد [٢] .

---

(١) ولد كريزويل Creswell بانكلترة عام ١٨٧٩ م ، وبدأ دراسته للاثار الاسلامية فى عام ١٩١٠ م ، وجاء الى الشرق الاوسط فى عام ١٩١٦ ، وزار مصر ضمن (سلاح الطيران الملكي البريطاني) وتسنى له وجوده فى الشرق الاوسط زيارة معظم مواضع الآثار الاسلامية فى مصر وفلسطين والاردن وسورية. وكتب بحوثا كثيرة ، ويعتبر اضخم مشروع علمي قام به طبع كتابه المرسوم بالعمارة الاسلامية الاولى الذي طبع بمطبعة جامعة اكسفورد بلندن تناول فيه العمارة الاموية والعباسية والطولونية Early Muslim Architecture

واخيرا أوجز مؤلفه فى كتاب صغير سماه مختصر العمارة الاسلاميـة الاولى A short account of Early Muslim Architecture

(٢) الدكتور هر تسفيلد ــ أحد اساتذة جامعة برلين ، وقد كان ضمن البعثة الالمانية التي تولت التنقيب فى سامراء عام ١٩١١ م ، حيث نال الامتياز فى الحفر فيها (فردريك سارة Fredric Sarre) فعهد هذا الى الدكتور

فقـــد روى اليعقوبي أن المنصور « جعلها مدورة » (٣) كما أشار الخطيب الى « أن أبا جعفر بنى المدينة مدورة » (٤) وكذلك وضح ياقوت أن المنصور بنى مدينته مدورة (٥) وذكر الطبري « وبنيت المدينة مدورة» (٦).

والواضح من حديث اليعقوبي وغيره من المؤرخين ، أن مدينة بغداد الغربية ، كانت دائرية الشكل ، ولكن لم يعقب أي مؤرخ منهم على هيأة التدوير التي كانت تمتاز به المدينة ، ولم يشيروا في معرض حديثهم عن تدوير بغداد ، هل كانت على شكل دائرة هندسية منتظمة ، أم انها كانت بيضويـــة ؟

الذي نستطيع ان نؤكده من روايات الخطيب ، حينما يذكر مساحة بغداد والمسافة بين أبوابها الاربعة ، فهو يذكر عدة روايات في كل رواية

هرتسفيلد Herzfeld مهمة التنقيب والحفر . وقد اهتم هرتسفيلد فى تنقيبه بالقصور العباسية البارزة كدار الخليفة او باب العامة وقصر المنقور وقصر العاشق ، وقد اقتصر فى ابحاثه علىفن الابنية وتزيينها وتزويقهـا ومختلف النقوش الاسلامية كالنقوش والزخارف الجصية والتخاريم . ولقد عنى الدكتور هرتسفيلد بصورة خاصة بالزخارف الجصية فنشر عنها مؤلفا ثمينا فى السلسلة التي نشرتها البعثة الالمانية عن تنقيباتها فى سامراء وعنوان هذا الجزء ، تزيين الجدران وزخارفها فى سامرا!

Der Wandschmick der Bauten, Von Samarra und seine Ornamentish, Berlin. 1923.

كما أن له كتابا آخر كتبه بالاشتراك مع زميله سارة ، وهو فى جزئين كبيرين:
Archaologische Reise im Euphrat und Tigris Gebiet.

(٣) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٤) الخطيب ــ ١ / ٧٢ .

(٥) معجم البلدان ــ ياقوت ١ / ٦٨٣ .

(٦) الطبري ــ ٦ / ٢٦٥ .

منها مسافة معينة ، ولكنه رغم اختلاف رواياته ، فأن شيئا واحدا يتوضح لنا بجلاء وهو انه اورد مسافة معينة واحدة في ثلاث رواياتبين باب وآخر، فهو يروي عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق فيقول « خط المدينة ميل في ميل »[٧] ويروي رواية أخرى عن وكيع ان مدينة المنصور المدورة «قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة الى باب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع »[٨] ، وهذه الرواية تشير الى ان المدينة مدورة تدويرا كاملا ، وان ابعاد ابوابها الاربعة متساوية .

ولقد كبر على بعض علماء الآثار الاسلامية ان يروا مثل هذا التخطيط الدائري لمدينة بغداد ، وشق عليهم ان يكون الفكر العربي الاسلامي قد نضج في منتصف القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد ، وتخطى مجال السياسة والثقافة والعقيدة الى عبقرية فذة متألقة في ميدان العمارة والتخطيط ، ويقيني انه اصبح من الصعب عليهم ان يعترفوا بالطاقة الحضارية الكامنة في وجدان الامة حتى تملي على دنيا العمارة حدثا مهما في الهندسة والتخطيط .

يذكر كريزويل بأنه من الواضح ان الاسوار الدائرية المبكرة كانت عبارة عن معسكرات حربية آشورية[٩] حيث ان هرتسفيلد قد جمع منها عددا يرجع الى عهد شلمنصر الثالث Shalmaneser III ٨٥٨—٨٢٤ ق.م[١٠]

---

(٧) الخطيب ــ ١ / ٧٠ .

(٨) نفس المصدر ــ صفحة ٧٣ و ٧٤ .

(٩) Early Muslim Architecture, Vol. II p.18.

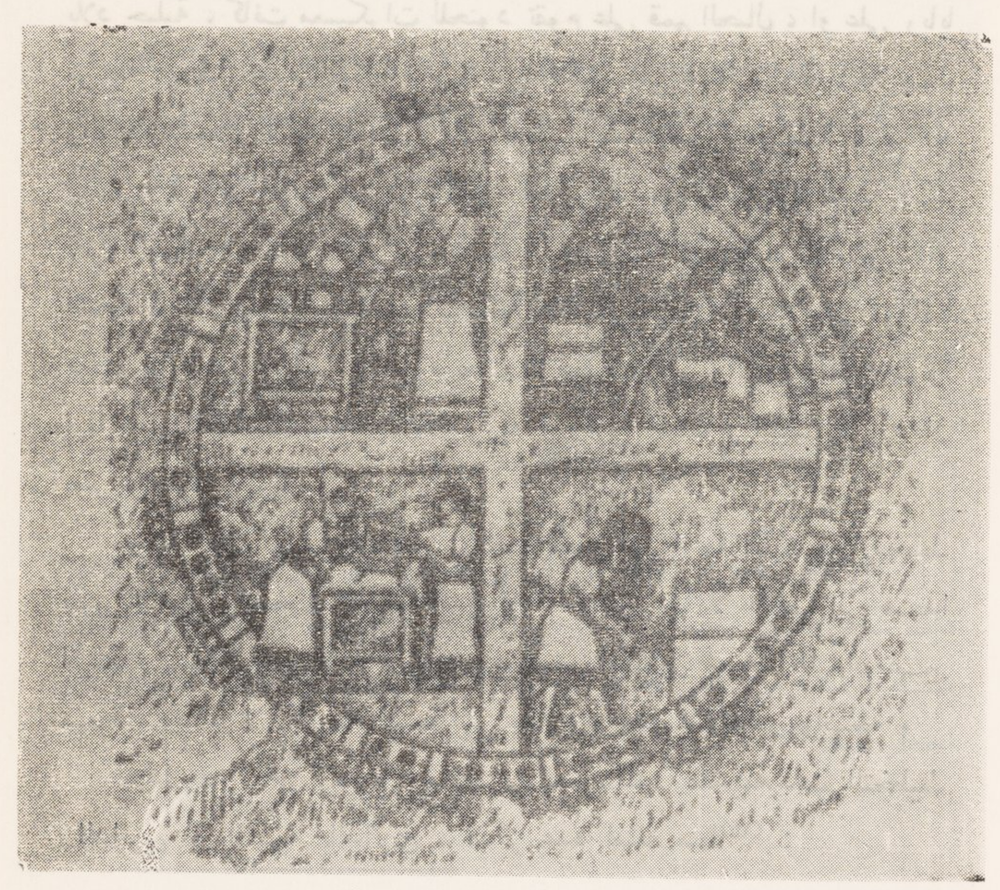
(١٠) History of Art in Chaldea and Assyria, Perrot and Chipiez, II, Plate XII.
وصورة المعسكر الآشوري موجودة بالنسخة الفرنسية ايضا لهذا الكتاب فى الصفحة ٣٤٢ ، الشكل رقم ١٥٥ .

وبعضها كان بيضويا تاما ، الا ان واحدة فقط ترى على لوحة عثر عليها لايارد(١١) في نينوى ، وكانت دائرية تماما مع شوارع متقاطعة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب(١٢) كما في الشكل — ٦ .

---

(١١) لايارد Layard كان ممثلا سياسيا فى العراق . أهتم بخرائب نمرود بالدرجة الاولى فخصها بحفرياته عام ١٨٤٣ ونقب أيضا فى تلول أثرية كثيرة ولكن على نطاق ضيق ، وحفر لايارد فى مدينة نينوى فى التل المعروف بتل قوينجق ووجد فى مدينة النمرود منحوتات كبيرة نقل الكثير منها الى المتحف البريطاني .

(١٢) A short account of Early Muslim Architecture, Creswell, p.170



شكل ــ ٦ معسكر آشوري ، عن كريزويل

وفي ردنا على هذا نقول ، ان الامثلة التي اوردها كريزويل هي عبارة عن بعض المعسكرات أو المخيمات الحربية ، وطبيعي ان بلاد آشور وهي بلاد جبلية ، كانت معسكرات للجنود تقوم على قمم الجبال ، او على روابيا مرتفعة ، وقمم هذه الجبال تكون على الاكثر على هيئة دائرية ، فلا بد والحالة هذه ان تأخذ المعسكرات شكل القمة المدورة تقريبا ، ثم انه ليصعب علينا ان تتخيل ان بناة المدينة المدورة ، حينما خططوا المدينة قد تأثروا بتلك المعسكرات الآشورية سواء في ناحية الفكرة او الاسلوب أو التنفيذ ، اذ انها في الواقع ، لم تكن ظاهرة للعيان في عهدهم ، وانما كانت عبارة عن خرائب مطمورة تحت الانقاض هي والالواح التي عثروا فيها على اشكال المعسكرات الاشورية ، والتي استطاع المنقب لايارد ان يعثر عليها في نينوى .

ولقد حاول بعض الباحثين ، لفت النظر الى اوجه الشبه بين مخطط قصر الأخيضر ومخطط المدينة المدورة[١٣] . غير اننا لا نذهب الى هذا الرأي ونرى ان محاولة هرتسفيلد وغيره من الباحثين في هذا الميدان غير مثمرة ، وذلك لان اوجه الشبه التي يذكرونها متصيدة وغير واضحة .

هذا وقد راح كريزويل يبحث عن بعض المدن القديمة ذات التخطيط الدائري أو الشبيه بالدائري ، فذكر عدة امثلة منها[١٤] :

---

(١٣) انظر مخطط مدخل قصر الاخيضر ، وتخطيط بغداد لهرتسفيلد نقله عنه كريزويل فى كتابه (العمارة الاسلامية الاولى) الجزء الثاني صفحة ١٢ وانظر المخطط على الصفحة (١٧١) من كتابه المختصر . وشكل — ٩ المرفق مع هذه الرسالة .

(١٤) انظر Early Muslim Architecture, Vcl. II p.18, 19. كتاب العمارة

١ ـ سنجرلي Sinjerli

وتقع على بعد خمسين ميلا من الاسكندرونه وقد اكتشفتها (الجمعية الالمانية الشرقية Deutsch Orient Gesellschaft ويظهر انها سكنت منذ القدم في الالف الثاني قبل الميلاد واصبحت في القرن الثامن قبل الميلاد مدينة مهمة لها سور مزدوج على شكل دائرة كاملة قطرها حوالي (٧٠٠ متر) وفيها ثلاث بوابات مزدوجة وعلى جانبي كل منها برجان و ٩٤، برجا بين مدخل وآخر وكانت القلعة في الوسط[١٥] .

٢ ـ ابرا Abra

تقع على بعد ٦٠ كيلومترا شرقي نصيبين على طريق الموصل ، وهي ذات سور دائري محيطه (٤٥٠) مترا . له (٣٥) برجا موزعة بين مسافات متساوية مبنية من كتل حجرية ضخمة ، وقد اجريت ترميمات للســور من احجار طينية[١٦] .

الاسلامية لكزويل . الجزء الثاني صفحة ١٨ و ١٩ وانظر الصفحة (١٧٢) من كتابه المختصر .

(١٥) Koldewey, in Von Luschan, Ausgrabungen in Sendschirli.

(١٦) Mission archeologique in Haute Djezire in Syria, XI, p.40.

٣ ـ أكباتانا . Hagmatana

وتعرف عند الاغريق باكباتانا ، بناها ديوسيس في النصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد[١٧] .

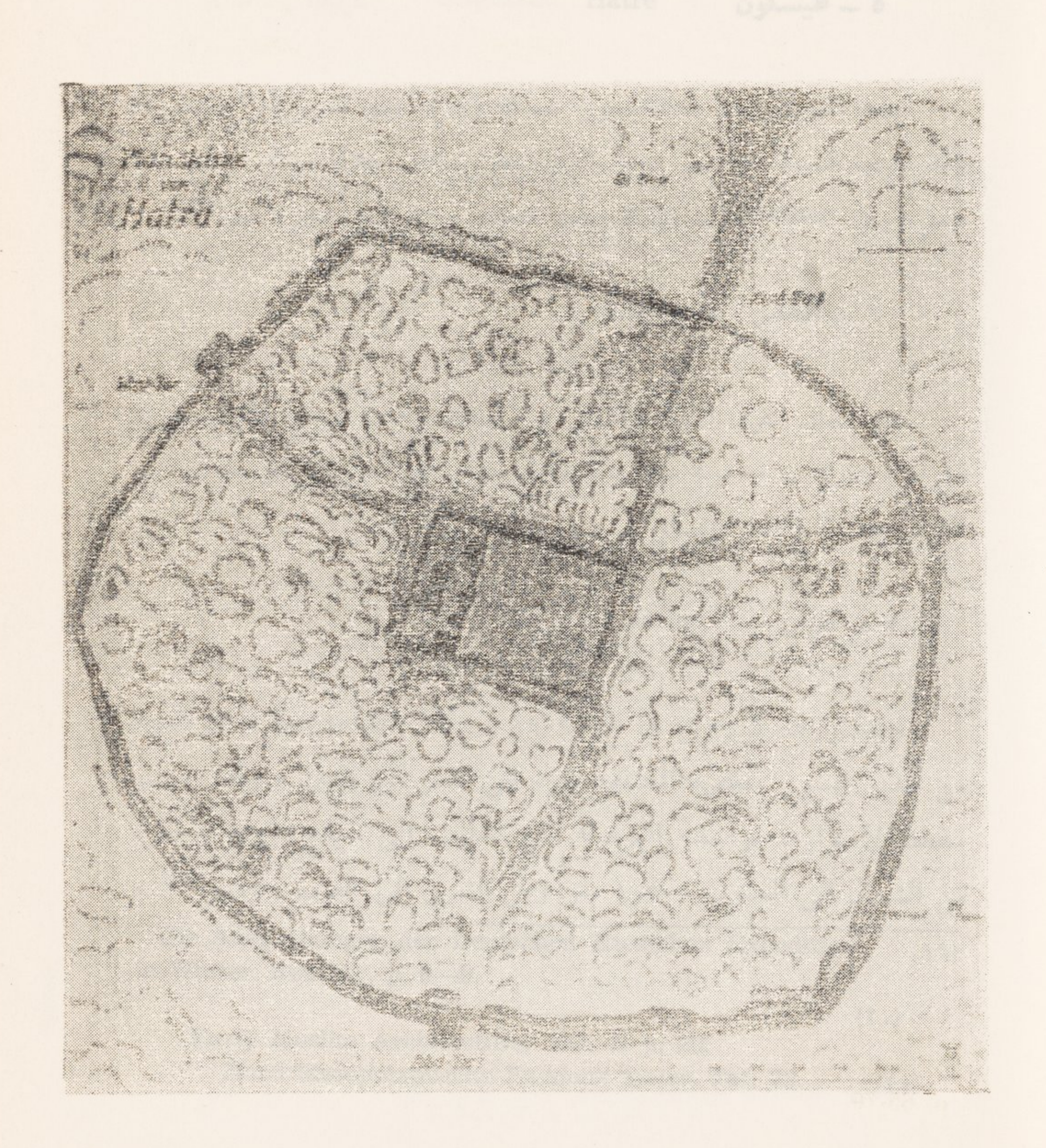
٤ ـ مانتينيا . Mantineia

بناها أخمينودس عام ٣٧١ قبل الميلاد ، والظاهر انها كانت بيضية تماما ، حيث نقب فيها عام ١٨٨٨ ، ومسحت المدينة بواسطة آلة عداد الدورات tacheometer فكان محورها المركزي الاكبر من الشمال الى الجنوب قياسه ١٫٣٤٠ مترا ، والقطر الثانوي الآخر من الشرق الى الغرب قياسه ١٫٠٨٠ مترا[١٨] .

---

(١٧) Noldeke, Etudes historiques sur la Perse ancienne p. 6-13.

(١٨) Fouills de Mantineé, Bulletin de Corresp hellenique, XIV, p. 65-79



(شكل — ٧ الحضر)

٣ — [illegible] Hagmatana

[illegible]
p. 65-79

٥ ـ طيسفون Hatre

بناها البارثيون ، محاطةبسور سمكه (١٠) أمتار معزز بأبراج دائرية، وقد جرف قسما منها نهر دجلة الذي يجري الان خلال مركز الموقع وقد جعل رور Reuther لها شكلا بيضيا ابعاده ٣٠٠ر٣×٨٠٠ر٢ مترا[١٩] ٠

٦ ـ الحضر Ctesiphon

من بلدان القرن الاول والثاني بعد الميلاد ، ذات سياج دائري تقريبا قطراه ٧٠٠ر١ ـ ٠٠٠ر٢ متر ، له ثلاث ابواب مع قصر في الوسط او الى القرب منه[٢٠] (انظر الشكل ـ ٧) ٠

٧ ـ حران Haran

وقد زارها كريزويل في عام ١٩١٩ ، وكان انطباعه عنها ، ان الجزء من جدار السور بمظهره المختلف يعود الى عصر البيزنطيين ٠ وقد رسم مخطط لأسوارها بواسطة البوصلة التي اشارت الى سياج دائري ، قطره من الشمال الى الجنوب ٥٠٠ر١ متر ومن الشرق الى الغرب ٢٥٠ر١[٢١] ٠

(١٩) Die Ausgrabungen der Deutschen Ktesiphon Expedition in Winter, Reuther, p. 6—9.

(٢٠) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 20.

(٢١) Nord Mesopotamische Baudenk maler, Taf, 72.

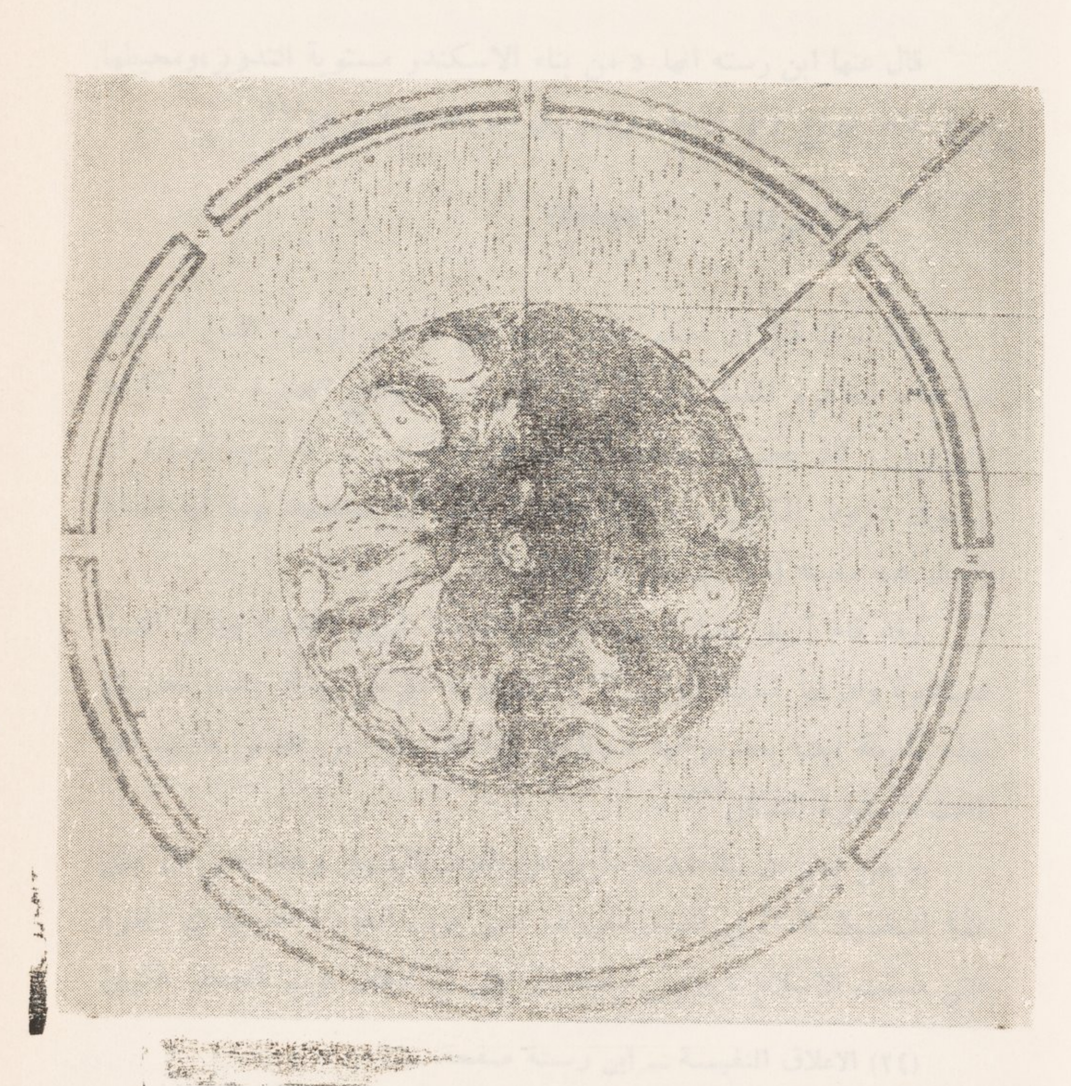
٨ — دار ابجرد Darabjerd

وهي موقع مشهور ، في مقاطعة فارس (٢٣) ، وقد فحصت من قبل فلاندن Flandin وكوستـه Coste في عام ١٨٤٠ م والذي اظهراه انها محاطة بأسوار خارجية ذات سمك عشرة امتار وبدائرة كاملة ذات قطر ١٫٢٢٠ م • محاطة بخندق عرضه خمس وعشرون مترا ، وبمساحة دائرية سعتها ٢٦٢٫٥ م • وفي وسط هذه المساحة الداخلية تل ارتفاعه حوالي ٥٠ مترا وقطره (٢٤٠ مترا) وهناك بقايا اثار للابواب الثمانية موزعة بين مسافة قدرها (٤٥) مترا من الشمال الى الشمال الشرقي ، والشرق والجنوب الشرقي ثم المركز (٢٣) • (انظر شكل — ٨) •

---

(٢٢) احسن التقاسيم — المقدسي صفحة ٢٤١ .

(٢٣) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 20.



(شكل ــ ٨ دارابجرد)

٩ ـ اصفهان Isfahan

قال عنها ابن رسته انها « من بناء الاسكندر مستوية التدوير، ومحيطها ستة آلاف ذراع ولها اربعة ابواب وفي سورها مائة برج»(٢٤) .

١٠ ـ هرقلة Hiraqla

ولا بد لنا قبل ان نحكم حكما اخيرا على المصدر الرئيس الذي استقيت منه هذه الظاهرة المعمارية ، ان نشير الى ان النماذج العشرة التي ذكرها كريزويل ، كان يجب ان يضاف اليهـا مثلان آخـران اذا أريد للبحث ان يستوفي شروط الكمال . والمثلان اللذان احب ان استشهد بهما في هـذا المجال هما مدينة (مأرب) ومدينة (الكوفة) .

وقد قام آرنو بعمل رسم تخطيطي لمدينة مأرب القديمة وذكر انهـا مستديرة وان بها ثمانية ابواب(٢٥) . وقد اورد جرجي زيدان رسما تخطيطيا لهذه المدينة ايضا بعد خرابها ، ويؤخذ مما عثر عليه من انقاض مأرب انها كانت مستديرة الشكل(٢٦) .

ونحن نعلم ان بناة مدينة مأرب من العرب اليمنيين وهذا يعني ان مثل هذا التخطيط الدائري للمدن معروف لدى عرب الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الاسلام ، وليس ببعيد ان تظل في اذهان عرب الحجاز ذكرى

---

(٢٤) الاعلاق النفيسة ـ ابن رستة صفحة ١٦٠ .

(٢٥) دراسات في تاريخ الشرق القديم ـ الدكتور احمد فخري صفحة ١٧٦

(٢٦) العرب قبل الاسلام ـ جرجي زيدان صفحة ١٤٢ .

المدينة اليمنية مأرب المدورة ، ثم لم تلبث فكرة التخطيط الدائري للمدن ان نفذت في فجر الاسلام في مدينة الكوفة ، والتي نرجح بما توفر لدينا من بعض النصوص التاريخية وبصورة خاصة ما جاء عن البلاذري وياقوت انها دائرية .

جاء في تاج العروس « سميت الكوفة بالكوفة لاستدارتها »(٢٧) وذكر البلاذري عن الاثرم « وقد قيل التكوف الاجتماع ، وقيل ايضا ان المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاني »(٢٨) وقال ياقوت « سميت الكوفة لاستدارتها أخذا من قول العرب رأيت كوفانا ... للرميله المستديرة »(٢٩) وقال ياقوت ايضا « والكوفان الاستداره »(٣٠) وقال صاحب كتاب تقويم البلدان مثل الذي قاله ياقوت بأن الكوفة سميت كذلك لاستدارة بنائها(٣١)

من هذين المثالين نستطيع ان نستنتج ان تاريخ العمارة وتخطيط المدن قد عرف الاسلوب الدائري في الفترة التي سبقت الاسلام في مدينة مأرب، وبعد الاسلام في الكوفة ، ثم تكامل هذا التخطيط لدى العرب والمسلمين ، بعد ان تمرسوا في مجال البناء والتعمير ، فنضجت ملكاتهم الفنية ، حتى تسنى لهم ان يضعوا خبراتهم وفنونهم موضع التنفيذ في بناء بغداد ، فجاءت مدينة فريدة اعتبر تخطيطها المستدير انموذجا من اهم نماذج تخطيط المدن التي عرفت في التاريخ .

ويؤكد الدكتور احمد فكري ان تخطيط بغداد الدائري مبتكر صدر

---

(٢٧) تاج العروس — ٦ / ٣٤٠ (مادة ك و ف) .

(٢٨) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٢٧٥ .

(٢٩) معجم البلدان — ياقوت ٤ / ٣٢٢ .

(٣٠) نفس المصدر ٤ / ٣٢١ .

(٣١) تقويم البلدان — ابو الفدا صفحة ٣٠١ .

عن خيال الخليفة المنصوروان هذا التخطيط كان من نتاج الاستنباط في الفكر العربي الصميم(٣٢) .

وتظهر ظاهرة الاستنباط هذه ، بصورة واضحة وجلية ، مما رواه الخطيب ان المنصور حين اعتزم بناء عاصمة ملكه ، احضر اثنين من المهندسين، هما الحجاج بن أرطأة وابو حنيفة النعمان بن ثابت واحضر معهما أهل المعرفة « ومثل لهم صفة المدينة التي في نفسه »(٣٣) .

اذا فصفة تخطيط المدينة المدورة ، املاها المنصور بنفسه ، ووفق رغبته ، على المهندسين والبنائين ، وليس في المصادر التاريخية المختلفة اشارة واحدة ، تشير الى اقتباس ذلك التخطيط الدائري ، عن معسكر أو حصن أو مدينة سابقة لها . ومن يدعي ان تخطيط بغداد الدائري مقتبس من غيرها من المدن ، مطالب ان يثبت ذلك بنص تاريخي يوثق به اولا ، ويثبت لنا ثانيا ان المنصور شاهد بنفسه او اطلع على تخطيط دائري لمدينة سبقت بناء بغداد .

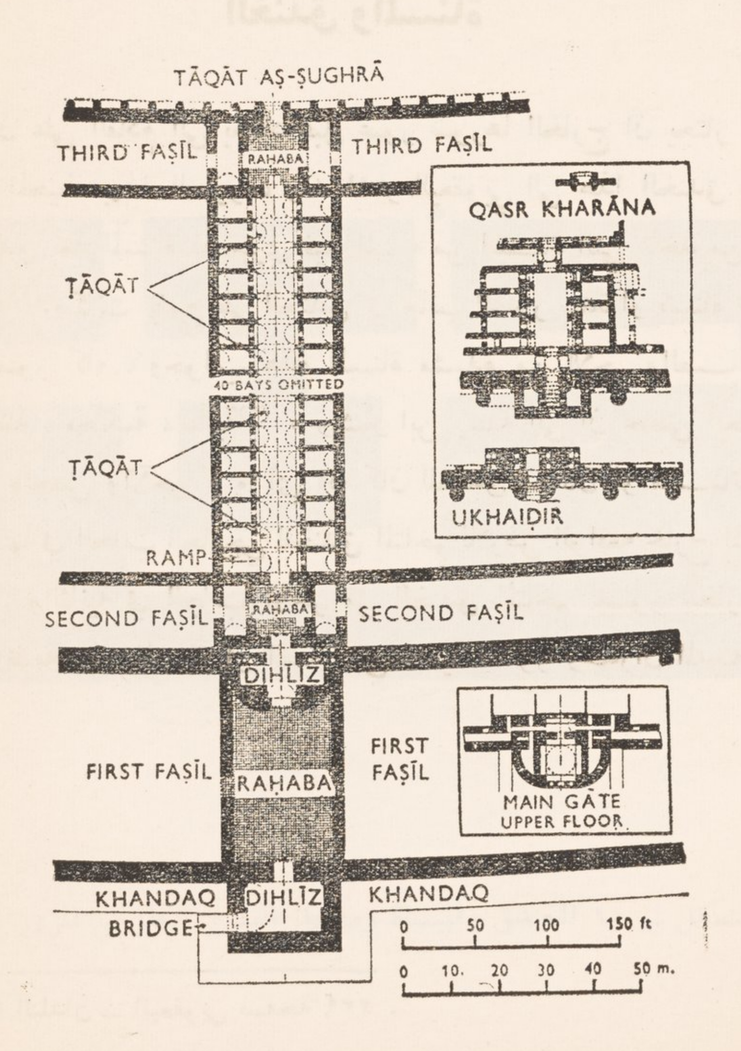
وقد ظهر تأثير تخطيط بغداد الدائري ، فيما بعد في مدينة صبره بشمال افريقية التي روى عنها المقدسي بانها « مدورة مثل الكأس لا ترى مثلها ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها »(٣٤) .

---

(٣٢) المدخل ـ الدكتور احمد فكري الصفحات ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .

(٣٣) الخطيب ـ ١ / ٦٧ .

(٣٤) احسن التقاسيم ـ المقدسي صفحة ٢٢٦ . وروى المقدسي عن صبره أيضا بأنها شديدة العمارة حسنة الاسواق ، بها جامع السلطان وعرض سورها اثنى عشر ذراعا منفصلة عن العمارة . وقال عنها ياقوت فى معجمه ٣ / ٣٦٦ ـ بأنها بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية ، وقال البكرى صبره متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيد الله سنة ٣٣٧



(شكل ــ ٩ مخطط لاحدى البوابات الخارجية والداخلية والرحبة
والطاقات في مدينة المنصور المدورة • جون هرتسفيلد وسارة)

الفصل الثالث

الخندق والمسناة

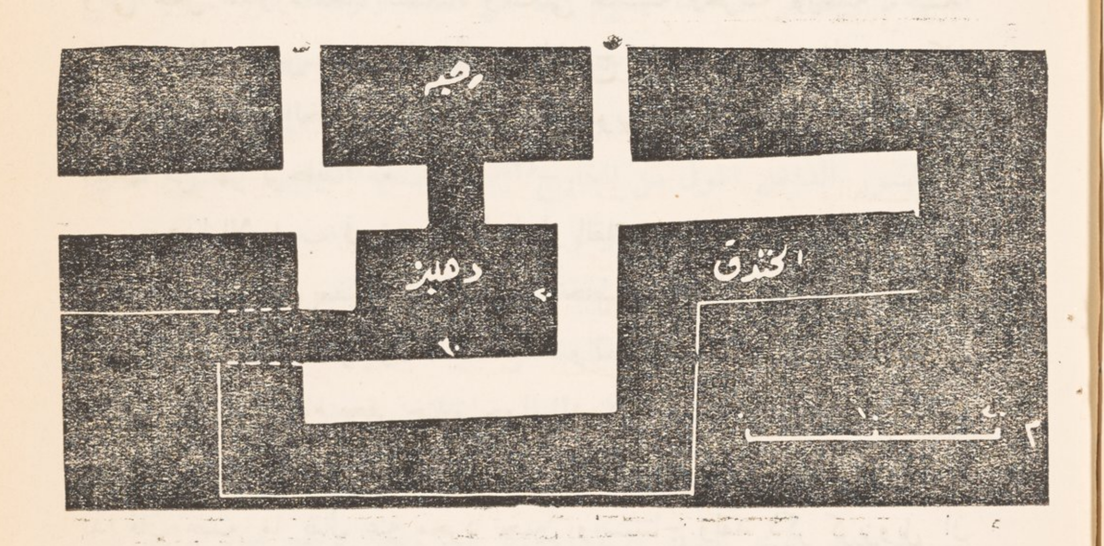
كان على القادم الى بغداد قبل عبور سورها الخارج ان يجتاز اولا الخندق المحيط بهذا السور ، وقد اشار اليعقوبي الى هذا الخندق فقال « والخندق بعد المسناة قد جرى فيه المـاء من القنـاة التي تأخذ من نهر كرخايا »[1] وكانت تقوم على الخندق في جانب السور سدة او مسناة تدور حول السور كله ، وجوانب هذه المسناة مشيدة من الآجر والصـاروج وهي متقنة ، محكمة ، عالية[2] . ويشير ابن رسته الى ان حافتي الخندق قد بنيتا بالجص والآجر[3] . أي انه كان للخندق سدتان او مسـناتان ، واحدة منها في الجانب الخارجي للخندق المتاخم للارض الواقعة خارج المدينة المدورة ، والثانية في الجانب الآخر من الخندق المتاخم للسور الخارج ، وكانت وظيفة هذه المسناة او السدة هي حماية السور وجدران المدينة من

---

(١) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٢) نفس المصدر ـ صفحة ٢٣٩ .

(٣) الاعلاق النفيسة ـ ابن رسته صفحة ١٠٨ .



(الشكل ــ ١٠ الخندق والمسناة ومدخل السور الخارجي المزور)

تسرب مياه الخندق اليها ، مما يسبب بمرور الايام والسنين تآكل الاجزاء القريبة من الخندق . (انظر الشكل — ١٠) .

ومن الجدير بالذكر ، ان حفر الخندق حول مدينة ابي جعفر المنصور كان يقصد منه زيادة تحصين المدينة ، وقد بيّنا سابقا ، ان من الاهداف التي كان الخليفة يرمي الى تحقيقه في بناء مدينته ، هو الهدف العسكري والى جعل المدورة محلا لسكناه وسكنى حاشيته وحرسه ورعيته ، لـذا كان من المستحسن حصر المدينة من الخارج بخندق مملوء بالماء . وكان مصدر مياه هذا الخندق ، كما يروي اليعقوبي من القناة التي كانت تأخذ مياهها من نهر كرخايا(٤) .

وهذا الاسلوب في تحصين المدن أو القلاع ، عرفه العرب قبل الاسلام وبعده حيث كانت بعض حصون اليمن تحاط بخنادق(٥) ، كما ان المصادر العربية تشير الى ان الرسول عليه الصلاة والسلام حينما علم بتآلف الاحزاب من المشركين عليه قام بحفر خندق حول المدينة(٦) . أما عرض هذا الخندق ، فغير معروف على وجه التأكيد ، اذ ان المصادر العربية امسكت عن ذكره ، لذا فان جميع ما يقال عنه مجرد تخمين واستنتاج ولقد ذكر كريزويل ان عرض هذا الخندق لا يمكن ان يكون أكثر من ١٢ ذراعا(٧) أو ستة امتار(٨) .

---

(٤) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٨ .

(٥) تأريخ العرب — الدكتور جواد علي ٨ / ٤٩ .

(٦) السيرة النبوية — ابن هشام ٢ / ٢٢٤ .

(٧) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 10—11.

(٨) اختلف الباحثون فى تحديد طول الذراع العربي وقد حقق العلامة الايطالي نلينو طوله بدقة كما كان مستعملا فى بغداد فى العهد العباسي وتوصل الى انه يساوي (٤٩٣ر٣) ملم أي حوالي ٥٠ سم أو نصف المتر كما ورد

الفصل الرابع

السور الخارج وبواباته

يحاذي هذا السور المسناة ، ويدور معها دورة كاملة مع استدارة المدينة ، والظاهر ان هذا السور كان أقل سمكا وارتفاعا من السور الثاني الذي يليه ، اذ ان اليعقوبي حينما يشير اليه يسميه السور فحسب ، بينما يطلق لفظة (الاعظم) على السور الآخر[١] كما ان الطبري قال في رواية له ان السور الداخل اطول من الخارج[٢] • ويسميه الخطيب بالسور الاول فقد روى « ثم السور الاول وهو سور الفصيل ودونه خندق »[٣].

وقد امسكت المصادر العربية عن وصف هذا السور ، لهذا فانه ليس لدينا معلومات تاريخية ثابتة واكيدة عن عرضه وارتفاعه ، غير ان الطبري اورد مقاييس لأحد الاسوار يظن انها ربما تكون ابعادا لهذا السور[٤] فقد

ذلك فى علم الفلك عند العرب لنلينو صفحة ٢٨٩ وقد رجح الدكتور احمد سوسه تقدير تلينو باعتبار الذراع ٥٠ سم ونحن نرجح هذا الرأي ايضا مستنتجين مما رواه اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٦٦ بأن المتوكل جعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع ،وبعد أن أظهرت مديرية الآثار هذا الشارع وقيس وجد ان عرضه ما يقارب مائة متر . وجاء فى معجم الياقوت ٤ / ٨٨٥ أن مسجد الحجاج فى واسط مايتين فى مايتين . ويأخذ من نتائج التنقيبات كما جاء فى كتاب واسط لفؤاد سفرأن ابعاد جامع الحجاج ١٠٤٫٣٠ × ١٠٣٫٥٠ .

(١) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٢) الطبري ـ ٦ / ٢٦٥ والخطيب ـ ١ / ٧٣ .

(٣) الخطيب ـ ١ / ٧٤ .

(٤) بغداد فى عهد الخلافة العباسية لسترانج صفحة ٢٧ .

قال بأن المنصور أمر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعا وقدر اعلاه عشرين ذراعا(٥) • ويذكر كريزويل ان ارتفاعه يجب ان يكون على الاقل (٢٤ ذراعا)(٦) بينما يشير هيرتسفيلد الى ان نسبة ارتفاع السورين، الاول والثاني هي ٤/٥ فافترض لذلك ان ارتفاع هذا السور (٢٨) ذراعا وسمكه (٨) اذرع(٧) والذي يبدو ان وظيفة هذا السور لم تكن دفاعية محضه ، اذ ان اساليب الدفاع عن المدينة المدورة لا تعتمد عليه بالدرجة الاولى اذ الثابت ان السور الاعظم هو السور المعول عليه كما سيأتي بحثه في الصفحات التالية •

وليس لدينا من النصوص ما يؤيد أو ينفي وجود الابراج او الدعامات لهذا السور إذ ان المصادر العربية لم تشر اليها كما اشارت الى وجودها في السور الاعظم ، ومن المرجح ان تكون له دعامات تزيد من قوته ، وتكسبه منعة وتماسكا ، ويظن هرتسفيلد بوجود مثل هذه الدعامات أو المساند المدورة التي تدعمه مثل جميع اسوار سامراء ، حتى تلك التي لا تؤدي وظيفة حربية(٨) •

ابواب السور الخارج

كان للسور الخارج اربعة ابواب ، فقد ذكر اليعقوبي ان المنصور « جعل للمدينة اربعة ابواب ، بابا سماه باب الكوفة ، وبابا سماه باب

---

(٥) الطبري — ٦ / ٢٣٨ .

(٦) Early Muslim Architecture, Vol. II. p. 11.

(٧) Archaologische Reise im Euphrate und Tigris, Band II p.119.

(٨) Archäologisch Reise., Band II p. 119.

البصرة ، وبابا سماه باب خراسان ، وبابا سماه باب الشام »[٩] ويحدد الخطيب اتجاه هذه الابواب بالاتجاهات الاربعة المعروفة ، شرقي وغربي وقبلي وشمالي[١٠] . والذي يبدو ان ابواب المدينة هذه كانت باتجاهات المدن الاسلامية المشهورة ، وعلى الطرق المؤدية منها واليها ، وكانت كل باب من تلك الابواب مخصصة لدخول اهل مدينة من المدن ، روى الخطيب انه « اذا جاء احد من الحجاز دخل من باب الكوفة ، واذا دخل من المغرب دخل من باب الشام ، واذا جاء احد من الاهواز والبصرة وواسط واليمامه والبحرين دخل من باب البصرة ، واذا جاء الجائي من المشرق دخل من باب خراسان »[١١] اما المسافة بين هذه الابواب ، فكما هو واضح من رواية اليعقوبي ، ان بين كل باب منها الى الآخر خمسة آلاف ذراع[١٢] .

هذا بينما يذكر الخطيب رواية مصدرها رباح البنّاء — الذي قام ببناء سور المدينة المدورة — ان المسافة بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الآخر ميل[١٣] . أي اربعة آلاف ذراع[١٤] . والذي يبدو من روايتي اليعقوبي والخطيب ان ابواب مدينة بغداد الاربعة كانت متناظرة تقابل احداها

---

٩) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٨ والاعلاق النفيسة — ابن رسته صفحة ١٠٨ .

(١٠) الخطيب — ١ / ٧٤ .

(١١) الخطيب — ١ / ٧٢ ومناقب بغداد — ابن الجوزي صفحة ١٠ ومعجم البلدان — ياقوت ١ / ٦٨٢ .

(١٢) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٨

(١٣) الخطيب — ١/٧١ و ٧٢ ومعجم البلدان لياقوت ١/٦٨٣ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ٩ .

١٤) الميل — كما جاء فى معجم ياقوت ١/ ٣٨ — اربعة آلاف ذراع .

الاخرى، وعلى مسافة واحدة ،وبعد مضي سنين عديدة ، تداخلت المحلات والاماكن في مواضعهذه الابواب، وقام منها مدينة بغداد في الجانب الغربي. وكان لكل باب من ابواب هذا السور الخارج دهليز طوله ثلاثون ذراعـا وعرضه عشرون ذراعا(١٥) بينما يروي اليعقوبي ان المنصور « جعل لأبواب المدينة اربعة دهاليز عظاما آزاجا كلها طول كل دهليز ثمانون ذراعا كلهـا معقودا بالآجر والجص فاذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل وافى رحبة مفروشة بالصخر ثم دهليزا على السور الاعظم »(١٦) . ومما يتعلق بهـذه الابواب ، ظاهرة معمارية فريدة يجدر بنا ان نشير اليها ونناقش بروح محايدة الاصل الذي انحدرت منه هذه الظاهرة ، فقد روى الخطيب انه « اذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز أزج معقـود بالآجر والجص عرضه عشرون ذراعا وطوله ثلاثون ذراعا المدخل اليـه في عرضه والمخرج منه من طوله »(١٧) .

رحم الله الخطيب ، المؤرخ الذي قص علينا بأسطر مقتضبية وموجزة أهم حدث في تأريخ تراثنا المعماري ، فلو ان الخطيب تجاهل هذه الظاهرة مثل غيره ممن كتب عن بغداد المدورة لذهب جزء كبير من مظاهر الفنون والعمارة الاسلامية دون ان يفطن اليها احد . ومن كلمات الخطيب الواضحة هـذه ، تبرز لنابصورة جلية في ابواب مدينة بغداد ظاهرة المدخل المنحرف أو المزوّر The Bent Entrance ومعنى هذا ان الداخل من الباب الى الرحبة او الساحة التي تلي البـاب الخارجية لايستطيع المرور اليها بطريق

---

(١٥) الخطيب — ٧٤/١ .

(١٦) البلدان — اليعقوبي — صفحة ٢٣٩ .

(١٧) الخطيب — ٧٤/١ . وكذلك يشير ياقوت فى معجمه ٢/ ٩٥٤ الى هـذا الازورار فيقول « وقيل انما سميت بالزوراء وذلك لان المنصور حين عمرهاجعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة أي ليست على سمتها» .

مستقيم ، بل لابد له من الانحراف الى جهة اليسار ، فالمدخل والحالة هذه ملتو او على شكل زاوية قائمة (انظر شكل رقم — ١٠) وهذا الطراز من المداخل يخفي وراءه اسلوبا عسكريا فالمدخل المنحني أو المزور ، أو البوابة ذات الممر المنحرف الى اليسار ، لوحظ فيه ان يضطر الغزاة بعد اقتحامهم الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان ، فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم وكان الجند يحملون التروس بأيديهم اليسرى فتبقى جوانبهم اليمنى مكشوفة .

كان هذا العنصر المعماري المبتكر مثار المناقشات بين علماء الآثار الذين أدعى بعضهم انه كان معروفا من قبل في بعض القلاع البيزنطية في شمال افريقية ، في حين انكر البعض الاخر هذا الادعاء ، واوضح ان المثل البيزنطي المعروف انما يرجع تأريخه الى سنة ٨٥٩ م أي بعد انشاء بغداد بما يقرب من مائة سنة (١٨) .

ولقد أهتم الآثاري البريطاني كريزويل بهذه الظاهرة المعمارية فجمع بعض الامثلة من التاريخ القديم ، فذكر ان المدخل المنحني كان يعرف في التأريخ المصري القديم اذ وجد نموذجان منهما يمتد تأريخهما بين الاسرة السادسة والثانية عشرة ولا زالتا باقيتين غير ان احدهما يوجد فيه انحراف الى اليمين ، والاول من هذين النموذجين مبني باللبن يسمى حصن « كوم الاحمر » Kom Al-Ahmar ولازالت جدرانه يبلغ ارتفاعها (١٩)

---

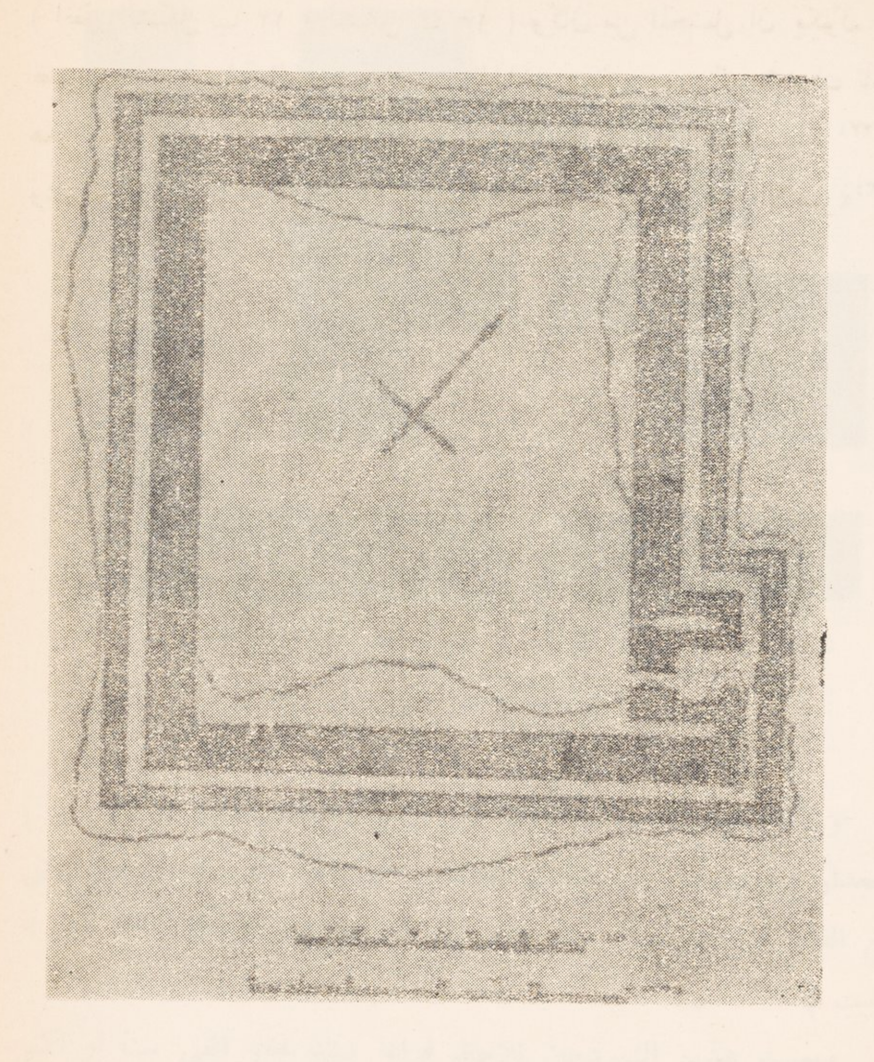
(١٨) المدخل — الدكتور احمد فكري صفحة ٣٤ تراجع هذه الاراء ومناقشاتها فى الصفحات من ٢٤ الى ٢٩ من كتاب كريزويل العمارة الاسلامية الاولى Early Muslim Architecture, Vol. II p. 24—26. وصفحات ١٧٥ — ١٧٩ فى كتابه المختصر .

(١٩) يقع حصن الكوم الاحمر على الجانب الايسر من نهر النيل ، وقد

تسعة أمتار ومساحته ٧٥ × ٦٦ مترا (انظر الشكل — ١١) محاط بجدار خارجي اقل سمكا ، يقع قرب زاويـــة على شكل برج بارز ، ويتألف من مـــدخلين في جانبين متعاكسين من الساحة ، ويبلغ ابعاد كل منهما ٥ × ٤ متر [٢٠] .

ذكره المقريزي فى الخطط ٢ / ١٤٩ فقال عنه « وهو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاحمر الى باب مصر ».

(٢٠) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 23.



شكل — ١١ حصن كوم الاحمر — عن كريزويل

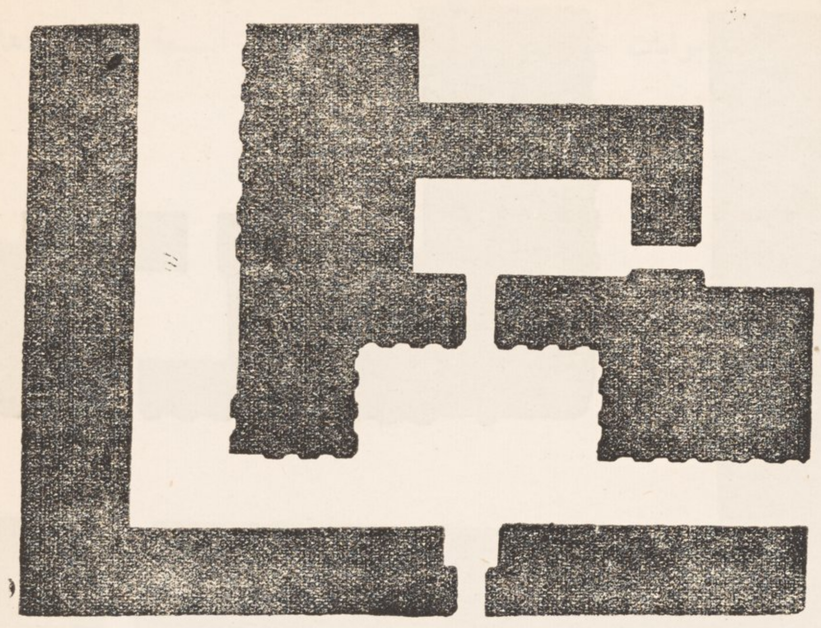
اما النموذج الثاني فهو (شونة الزبيب [٢١]) Shunet az-Zebib (انظر الشكل ــ ١٢ والشكل ــ ١٣) وكان من المحتمل ان يكون على نفس محور البوابة الخارجية للسور الداخل ويظن بعض الباحثين ان تاريخ هذا الحصن بين الاسرة السادسة وحتى بدايــة الاسرة الثانية عشرة [٢٢] . وشونة الزبيب تشير الى ان الاثار فيها اكثر قدما مثل « كوم الاحمر»[٢٣] .

---

(٢١) شونة الزبيب ويقع كما يقول كريزويل فى كتــابه المختصر صفحة

(٢٢) Journal Asiatique, XV, p. 128—30 and fig—12.

(٢٣) Mariette, Abydos, II p. 46—9.

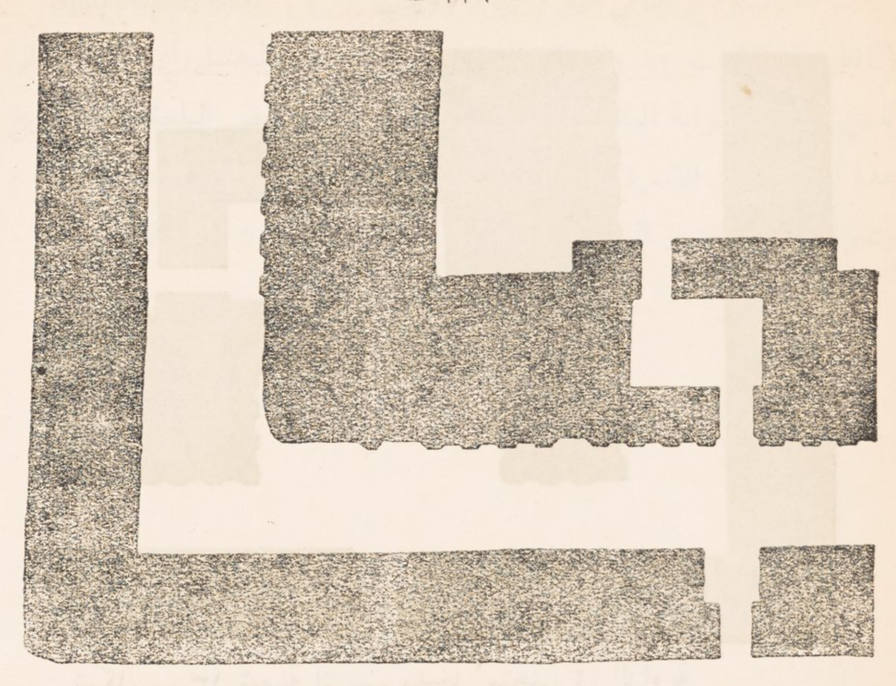


شكل ــ ١٣ شونة الزبيب مدخل منحني في الزاوية
الشمالية • عن كريزويل

ويتألف هذا الحصن من جدار قائم الزاوية ابعاده (١٣١ × ٧٨ متر) والجدار فيه عمودي على القسم الداخلي ، ثم يأخذ بالسمك تدريجيا حتى يبلغ القاعة فيكون عندئذ ستة امتار (٢٤) (وانظر الشكل الاخر ١٣ لشونة الزبيب) •

وبعـد هذين النموذجين نلاحظ فراغا يمتد نحو الفي سنة او اكثر لانشاهد خلال هذه الفترة هذا الاسلوب المعماري من المداخل المزورة •

(٢٤) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 23.



شكل ــ ١٢ شونة الزبيب مدخل الزاوية الشرقية . عن كريزويل

وفي حفريات مواقع الاشوريين عثر اندريا Andrae على ثلاث بوابات تعود الى عهد شلمنصر الثالث (٢٥) Shalmaneser III الذي حكم من عام ٨٥٨ حتى عام ٨٢٤ ق.م. وهي تتكون من مدخلين على

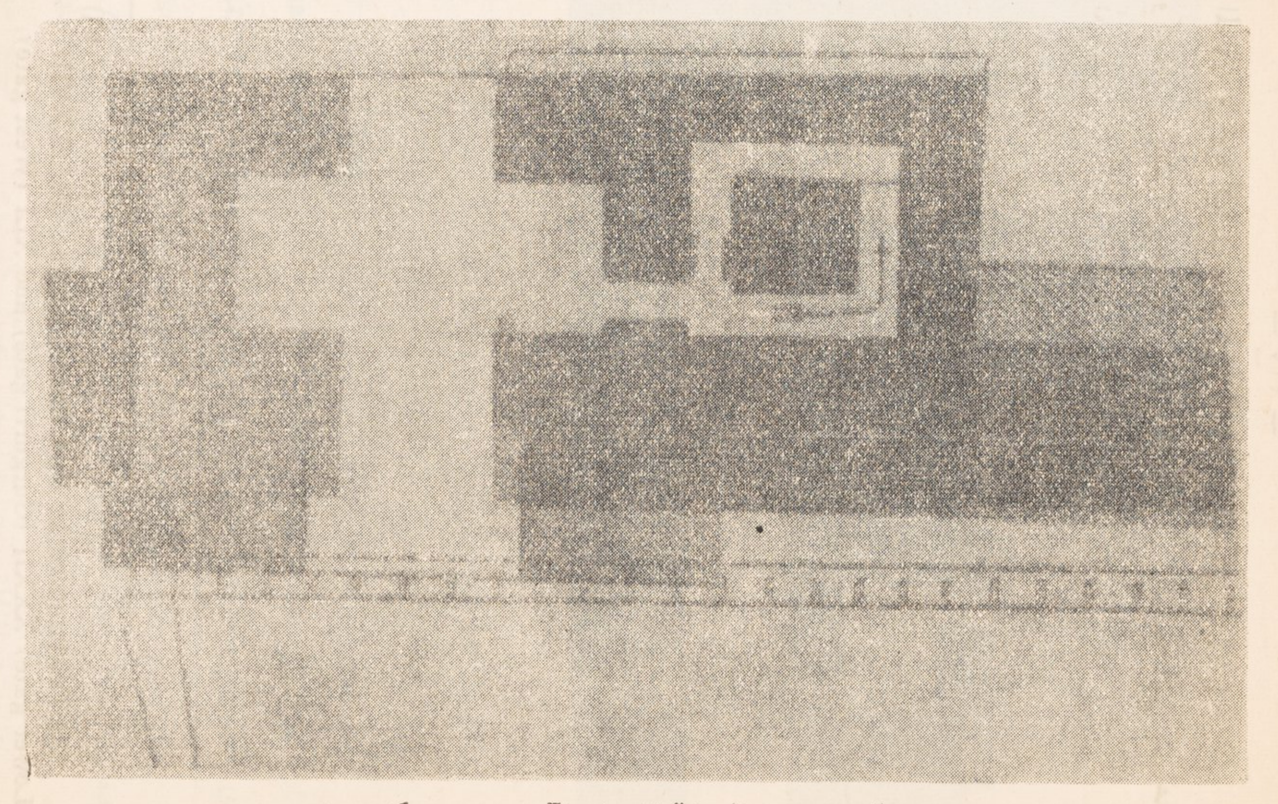
(٢٥) تسنم شلمنصر الثالث عرش الامبراطورية الآشورية ، عقب وفاة والده وقد جهز حملة عسكرية على بلاد نائيري وبلاد آرارتو ــ يراجع فيها جزء واحد (١٩٥٢) صفحة ٥٥ و ٥٦ ــ فى السنة الثالثة من حكمه قادها بنفسه متغلغلا فى المناطق الجبلية لشمال العراق حتى وصل الى منابع النهرين دجلة والفرات .

نفس المحور وزاوية كما في سنجرلي [٢٦] (انظر الشكل — ١٤) •

وكذلك بوابات خورصباد Khorsabad السبعة التي بناها سرجون •

---

(٢٦) Die Festungswerke Von Assur, Andrae, Taf, XXVIII (Lower gate) XXXII (Gurgurri gate) and XLI (West gate).



شكل — ١٤ البوابة السفلى لآشور ٠ عن كريزويل

أما في بابل فقد عثر على باب عشتار Ishtar gate الذي بناه نبوخذنصر Nebuchaduezzar (٦٠٤ — ٥٦١)ق٠م فهو يتبع نفس الاسلوب [٣٧] أي انه يتكون من مدخلين على نفس المحور٠

من الامثلة المتقدمة ، نلاحظ ان لا أثر للظاهرة المعمارية التي نحن بصددها ، وهي ظاهرة المدخل المزوّر الذي عرفناه في بوابات المدينة المدورة ببغداد ، وبهذا يمكن القول أن الحيثيين في مدينتهم سنجرلي لم يعرفوا هذا النوع من المداخل المزوّرة ، ولا الآشوريين في مدنهم آشور وخورصباد ، ولا البابليين في بابل ، قد نظموا بواباتهم كالتنظيم الذي ظهر في بوابات مدينة أبي جعفر المنصور ٠

هذا في شرق العالم ، أما في الغرب فأن الرومان لم يعرفوا ايضا هذا التخطيط ، فجميع القلاع في الولايات الرومانية في الاردن وغيرها والتي شيد فيها ديوكلتيان Diocletian الذي حكم من عام ٢٨٤ حتى عام ٣٠٥ كثيرا من المباني العسكرية لانجد فيها غير بوابات مستقيمة المداخل [٢٨]٠

أما في شمال افريقية فنرى ان جميع المداخل الباقية للأسوار الرومانية عبارة عن طراز اعتيادي ، ويمكن القول بدون تردد ان المباني البيزنطية في شمال افريقية باستثناء اربعة مبان ، يمكن النظر في امرها لم تظهر فيها ظاهرة المدخل المزور ، اما المباني الاربعة فهي ككذس Gigthis وثليبتا Thelepta وثكنيكا Thignica وتسمى ايضا عين تنكه Ain Tunga وبلزما Bellezma [٢٩]٠

أما الاولى ككذس فيمكن ابعادها لاول وهلة من حساب المدن ذات

---

(٢٧) Das Wieder erstehen Babylon, Koldwey, p. 46.

(٢٨) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 25.

(٢٩) نفس المصدر — صفحة ٢٧ وانظر ايضا .

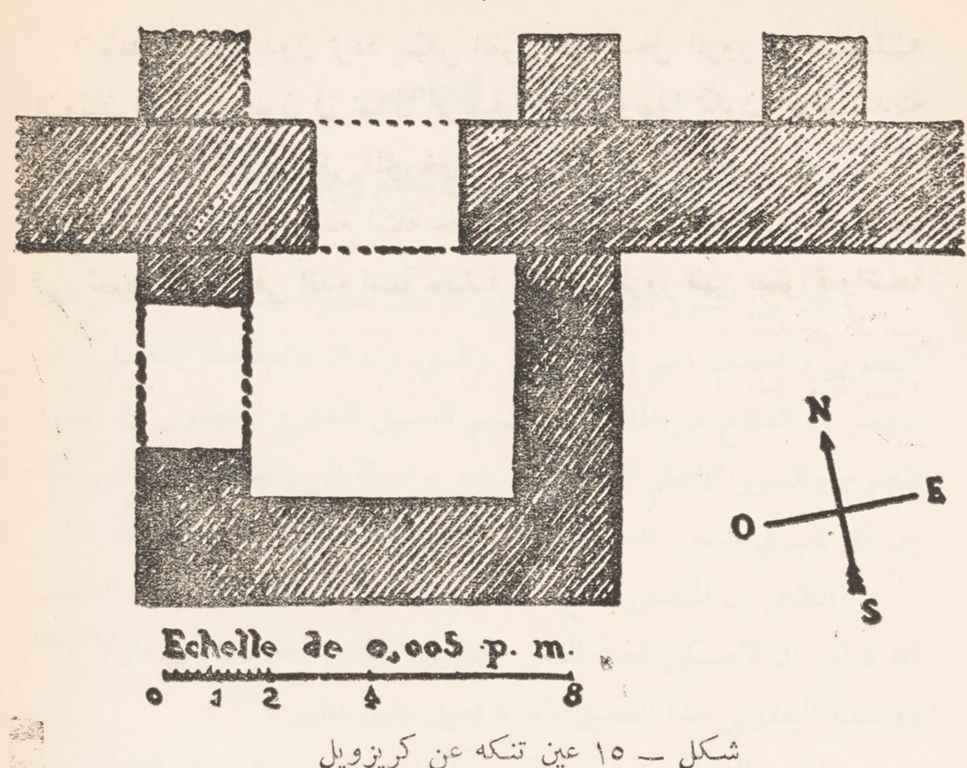
المداخل المزوّرة ، حيث يمكن اعتبارها من طراز الحصون ذات المداخــل المستقيمة . اما الثانية ثليبتا ، فبالرغم مما قيل [٣٠] عنها فأن مابقي منهالايعطي صورة كاملة واكيدة للمدخل المزور [٣١] .

وقد تكون عين تنكه ʿAin - Tunga مثلا طيبا لما نحن وراء بحثه والتثبت منه (انظر شكل ــ ١٥) وفيها المدخل يقوم في برج على جانبــه الجنوبي ، ولكن ما بقي من المباني لا يعطي فكرة اكيدة للمدخل الرئيسي للقلعة،فعلى أي حال يمكن استبعاد هذا الحصن ايضا[٣٢].وانظر شكل ــ١٦.

(٣٠) Rapport, Diehl, tome IV, p. 337—43 and plan xiii reproduced in his L, Afrique Byzantine fig. 29.

(٣١) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 27.

(٣٢) A short account of Early Muslim Architecture, p. 177—178.



شكل — ١٥ عين تنكه عن كريزويل

وأما الحصن الرابع فهو بلزما Bellezma وهو حصن مستطيل الشكل تقدر ابعاده ٢٥ × ١١٢ مترا ، وتضم اسواره ثمانية ابراج مربعة او مستطيلة ، وبابه الوحيد يقع في البرج الاوسط على الجانب الغربي من الحصن (٣٣) وقد قيل أنه مدخل منحن (٣٤) . ولكن حينما شاهده كريزويل لم يوافق على هذا الرأي واستبعده من الامثلة التي فيها نظر (٣٥) .

---

(٣٣) نفس المصدر صفحة ١٧٨ .

(٣٤) Rapport, Diehl, IV, p. 303—k. Plans iv—v.

(٣٥) A short acoount of Early Muslim Architecture, p. 178.

وعلى ذلك وبدون تردد يمكن القول ان المدخل المزور لم يستعملـه الرومان او البيزنطيون في شمال افريقية ايضا . وبهذا تكون ابواب مدينة وطيبة وتناقل اخبارها بعض المؤرخين .

أبي جعفر المنصور هي اقدم امثلة حقيقية للمدخل المزور ظهر بصورة واضحة

أبي جعفر المصور هي اقدم امثلة حقيقية للمدخل المزور ظهر بصورة واضحة

الفصل الخامس

الفصيل والسور الاعظم وبواباته

وكان بين السور الخارج والسور الاعظم للمدينة مسافة خالية اطلق عليها اليعقوبي والخطيب اسم (الفصيل) والذي نراه ان فائدة هذا الفصيل كانت تنحصر في الدفاع عن المدينة ، وينقسم الفصيل الخارج المحصور بين السور الخارج والسور الاعظم الى اربعة ارباع بواسطة الرحبات الاربعة التي تمتد بين كل باب في السور الخارج والباب المقابل له في سور المدينة الاعظم .

والظاهر ان المنصور منع السكنى في الفصيل الخارج فقد روى الخطيب انه « أمر ان لايسكن تحت السور الطويل الداخل أحد ولايبني منزلا »[١] ووصف اليعقوبي هذا الفصيل بأنه « فصيل جليل عظيم »[٢] .

ويفضي الداخل من باب السور الخارج الى رحبة روى الخطيب ان طولها ستون ذراعا وعرضها اربعون ذراعا[٣]. يحدها من الجانبين جداران على كل جدار منهما باب يؤدي الى ربع من الفصيل (انظر شكل — ٩)، فالباب الايمن يؤدي الى الفصيل الايمن والباب الايسر يؤدي الى الفصيل الايسر ، فالباب الايمن بالنسبة الى باب خراسان مثلا يؤدي الى فصيل باب الشام والايسر يؤدي الى فصيل باب البصرة ، ثم يدور من باب البصرة الى باب الكوفة ، ويدور الذي انتهى الى باب الشام الى باب الكوفة ، ومن هذا يتبين لنا ، ان جميع هذه الفصلان متشابهة متناظرة وهي على حد قول

---

(١) الخطيب — ١ / ٧٣ .

(٢) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٣) الخطيب — ٧٤/١ .

الخطيب « على نعت واحد وحكاية واحدة (٤) » .

أما ابعاد الفصيل ، فقد قلنا سابقا ، ان اليعقوبي يختلف عن الخطيب في تعيين المسافة بين باب وآخر ، ومعناه بالنسبة للفصيل انهما يختلفان ايضا في طوليهما ، وكذلك اختلفا في تحديد عرض هذا الفصيل ، فعرض الفصيل عند اليعقوبي هو مائة ذراع بالسوداء بين حائط السور وحائط الفصيل (٥) أما عند الخطيب فعرضه هو ستون ذراعا (٦) .

السور الاعظم

تختلف المصادر العربية في تحديد ابعاده ، كما هو شأن هذه المصادر في تحديد ابعاد الاسوار والابواب الاخرى في مدينة أبي جعفر المنصور ،وقد اشار اليعقوبي الى ان المنصور قد جعل عرض « اساس السور تسعين ذراعا مع الشرفات (٧) » أما الخطيب فيروى أن « أرتفاع هذا السور ... خمسة وثلاثون ذراعا وعليه أبرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع وعلى السور شرف وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا (٨) » ويسميه الخطيب بالسور الداخل (٩) .

ان الذي يلاحظ ارقام الابعاد التي اوردها كل من المؤرخين اليعقوبي والخطيب يدرك ان في ابعادهما اختلافا واضحا وبينا ، فالارتفاع في رواية

---

(٤) نفس المصدر — ١/٧٤ .

(٥) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٦) الخطيب — ١/٧٤ .

(٧) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٨) الخطيب — ١/٧٤ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٠ .

(٩) الخطيب — ١/ ٧٤ .

اليعقوبي ستون ذراعا مع الشرفات أي (٣٠) مترا ولكنه لدى الخطيب خمسة وثلاثون ذراعا أي (١٧٫٥) مترا اما اساس السور لدى اليعقوبي فهو تسعون ذراعا أي (٤٥) مترا في اسفله ، وخمسة وعشرون ذراعا أي (١٢٫٥)مترا في قمته ، اما الاساس في رواية الخطيب فهو عشرون ذراعا أي (١٠) امتار

ومهما يكن من شيء ، فأن ما يهمنا استخلاصه ، هو ان السور الاعظم او السور الثاني ، هو اكثر ارتفاعا وسعة وضخامة من السور الخارج او السور الاول •

وزيادة في التحصين ، وحرصا من بناة المدينة المدورة ، كي يجعلوا منها مكانا محصنا ، وموضعا دفاعيا ، يمتاز أول ما يمتاز به الوسائل الفنية والحربية المعروفة في اساليب القتال آنذاك ، ولم يكن في تلك الفترة من التأريخ من شيء يكسب المدينة قوة ويضفي عليها مسحة من المنعة والمهابة من تدعيم الاسوار بالابراج الضخمة ، ولقد توفرت هذه القوة والمنعة في مدينة السلام وفي سورها الاعظم ، فقد روى اليعقوبي انه كان فيها « ابرجه عظام وعليه الشرفات [١٠]» •

اما عدد هذه الابراج فيروى الخطيب ان المنصور قد جعل « بين كل بابين ثمانية وعشرين برجا الا بين باب البصرة وباب الكوفة ، فانه يزيد واحدا [١١] ونستطيع كما بين كريزويل ، ان نستخلص المسافة الواقعة بين برج وآخر في الربع المحصور بين باب البصرة والكوفة بهذه الطريقة • لما كانت المسافة بين باب وآخر حسب رواية الخطيب ميلا واحدا ، أي اربعة آلاف ذراع ، وعرض البوابة اربعين ذراعا •

---

(١٠) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ . وروى الخطيب عن الشرفات في ٧٤/١ — وعليه (يقصد السور) أبرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع وعلى السور شرف .

٤٠٠٠ — ٤٠ = ٣٩٦٠ ذراعا ولما كان في هذه المسافة تسعة وعشرين برجا فاذا قسمنا (٣٩٦٠ على ٢٩) يكون الناتج (١٣٦٫٥) ذراعا أي حوالي (٦٨) مترا المسافة بين برج وآخر [١٢] .

ولا نعرف بالتأكيد هيأة هذه الابراج ، اذ ان المصادر العربية لم تذكر شيئا عن وصفها او هيأتها . ويرى كريزويل انه من غير شك أن هذه الابراج كانت على هيأة نصف مستديرة تشبه تلك التي في هرقلة والابراج التي في قصور وجوامع واسوار سامراء [١٣]. وقد تكون هذه الابراج على شكل حدوة الفرس horse — shoe — shaped كما هو الحال في مدينة الرقة وكما هو معلوم من روايتي البلاذري والهمذاني ان الرافقة بنيت على طراز مدينة بغداد [١٤] .

بوابات السور الاعظم .

وصف اليعقوبي والخطيب مدخل السور الاعظم الذي ينفذ من البوابة الرئيسة الكبيرة ، أما اليعقوبي فقد روى اذا «دخل من الدهليز على الفصيل وافي رحبة مفروشة بالصخر ثم دهليزا على السور الاعظم عليه بابا حديد جليلان عظيمان [١٥] » اما الخطيب فقد روى « ثم الباب الثاني وهو باب

---

(١١) الخطيب — ٧٢/١ .

(١٢) Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.

(١٣) Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.

(١٤) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ١٨٤ والبلدان — للهمذاني صفحة ١٣٢ .

المدينة وعليه السور الكبير ... فيدخل من الباب الكبير الى دهليز ازج معقود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا[١٦] »

وطبيعي جريا حسب قاعدة تشابه وتناظر اروقة وقاعات ابواب بغداد ، فان هـذه القاعـدة تناظر الدهاليز الاربعـة للبوابات الرئيسة الموجودة في السور الاعظم .

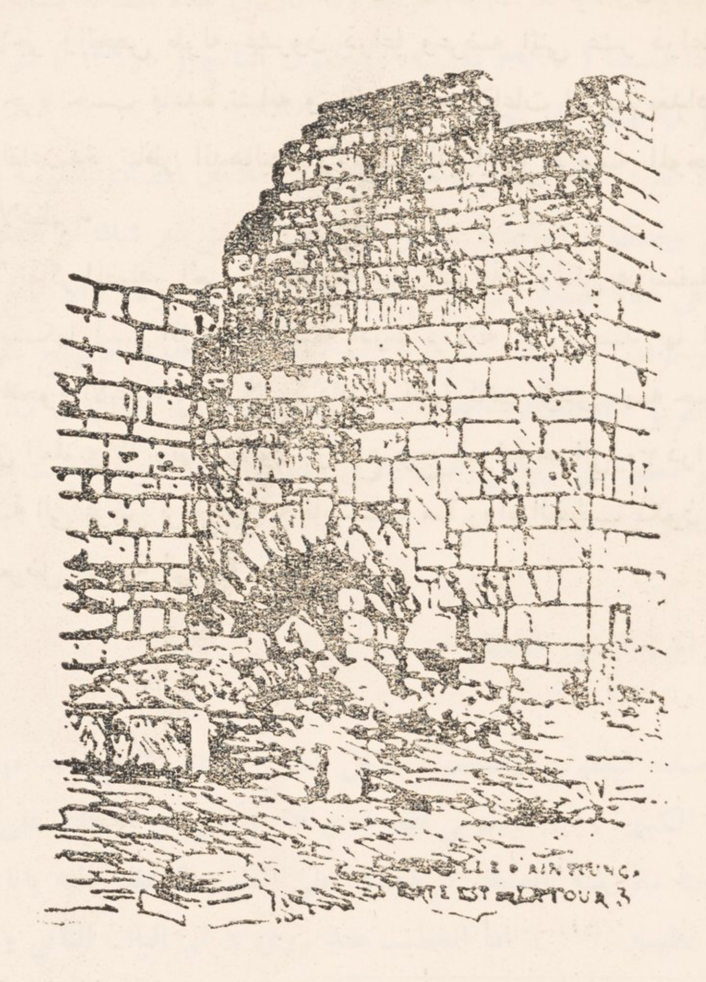
ولا تذكر المصادر العربية سمك جدران البوابة ، ولكن هرتسفيلد اشار الى ان سمكها ليس اقل من خمسة اذرع ، لانه كان يقصد بها الصمود ومقاومة هجوم الاعداء ، فضلا عن ذلك ، فانها كانت تؤدي مهمة حمل القبة في الطابق العلوي[١٧] وبهذا يكون ارتفاع برج البوابة حوالي ٣٠ ذراعا[١٨] . اما بالنسبة الى عرض برج البوابة فاستنتاجا مما رواه الخطيب يكون عرضها مساويا لعرض الرحبة أي ٤٠ ذراعا .

---

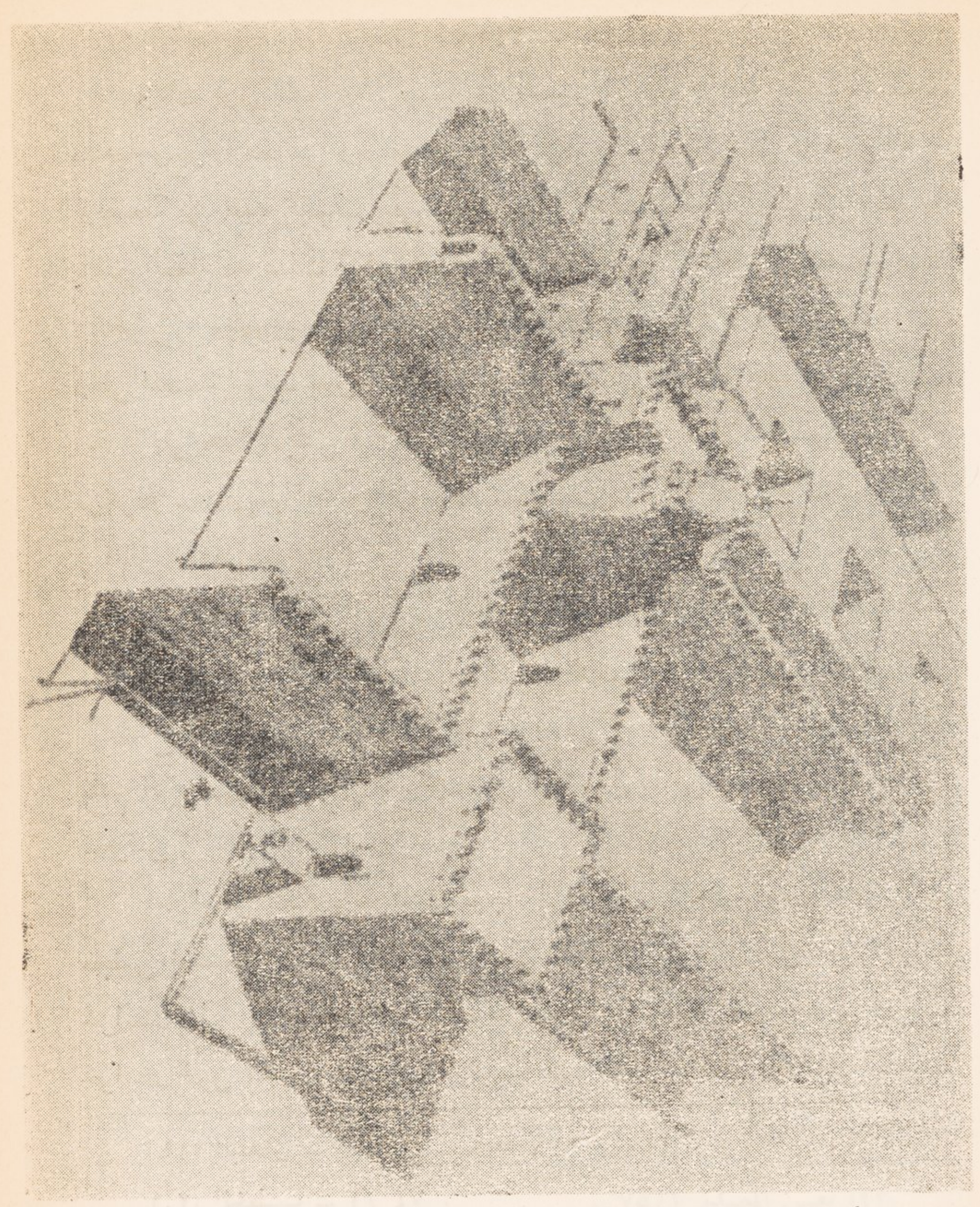
(١٦) الخطيب — ١/٧٤ .

(١٧) Archaologische Reise, Band II p. 125.

(١٨) Early Muslim Architecture, Vol. II p.12.



شكل — ١٦ مابقي من مدخل الحصن عين تنكه ٠عن كريزويل



شكل — ١٧ منظر من فوق لاحدى البوابات الخارجية والداخلية للمدينة المدورة • عن سارة وهرتسفيلد •

وكان فوق البوابة الرئيسية في السور الاعظم « قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به ، ويصعد الى هذه القباب على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر وبعضها باللبن العظام قد عملت آزاجا بعضها اعلى من بعض ، فداخل الآزاج للمرابطة والحرس ، وظهورها عليها المصعد الى القباب التي على الابواب على دواب وعلى المصعد ابواب تغلق [19] » ويشير الخطيب الى ارتفاع هذه القبة فيروي انه « على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة في السماء سمكها خمسون ذراعا مزخرفة ، وعلى رأس كل قبة منها تمثال يديره الريح لايشبه نظائره [20] » (انظر الشكل — ١٧) .

ويرى هرتسفيلد انه كان يوجد ايوان داخلي في الجدار الحاجز ،كما هو الحال في قصر الاخيضر ، وهو بمستوى الجدار البارز الاخير ، ذو ارتفاع قدره ٢/٣ البناء أي ٢٣ ١/٣ ذراع ، ومستوى الطابق الذي يضم الايوان (ان وجد) سيكون على الاغلب قريبا من مستوى القبة الملائمة للحراس [21] .

اما اسفل القبة فانه كانت توجد غرفة روى الخطيب عنها انها كانت مجلس المنصور « اذا احب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان [22] » والظاهر ان هناك غرفا وقبابا مشابهة لهذه التي في باب خراسان فوق مداخل الابواب الرئيسية في السور الاعظم اذ يشير الخطيب

---

(١٩) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٢٠) الخطيب — ١/ ٧٤ .

(٢١) Archaologische Reise, Band II p. 125.

(٢٢) الخطيب — ١/ ٧٥ .

الى هذه الغرف فيقول « وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب النظر الى الارياض وما والاها وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية ، وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع [٢٣] » .

وموضع هذه الغرف لابد وانها كانت مبنية تجاه الوجه الخارجي لبرج المدخل حتى تشرف على المناظر التي ذكرها الخطيب . ويستنتج كريزويل انه على ضوء هذا التصميم حيث تقع القبب فاننا سنرى غرفة مريحة في القسم الخلفي من بناء الصالة يظن انها كانت ملاصقة للحائط يفصل بينها وبين الغرف المقببة ممر كائن في الوجه الخلفي [٢٤] .

ومما يتصل بمداخل السور الاعظم ، الابواب ، والذي يبدو من روايات اليعقوبي والخطيب أن أبواب السور الاعظم كانت مصنوعة من الحديد ذات حجم كبير ، فقد روى الخطيب انه « على كل باب من أبواب المدينة الاوائل والثواني باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان [٢٥] وكانت هذه الابواب الحديد من القوة والمتانة بمكان بحيث يقول اليعقوبي انه « لايغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الا جماعة رجال » [٢٦] .

وكان عدد الابواب الحديد للمداخل الرئيسة ، ثمانية أبواب ، في كل مدخل من المداخل الرئيسة بابان ، باب يفضي الى الدهليز الواقع عند نهاية رحبة الفصيل الاول ، والباب الآخر يفضي الى رحبة الفصيل الثاني . ويصف الطبري هذه الابواب فيقول ان أبا جعفر احتاج الى الابواب للمدينة ، وكان

---

(٢٣) نفس المصدر ١/٧٥ .

(٢٤) Early Muslim Architecture, Vol. II p.14.

(٢٥) الخطيب — ١/٧٥ .

(٢٦) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

على مقربة من موضع بناء واسط مدينة كان لها خمسة أبواب من حديد لايمكن الناس اليوم عمل مثلها ، وهذه المدينة هي الزند ورد [٢٧] فلم تزل عليها الى ان بنى الحجاج واسط وخربت تلك المدينة فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط . فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الابواب فنصبها على المدينة فهي عليها الى اليوم ، وللمدينة ثمانية أبواب داخلة ، واربعة خارجة فصار على الداخلة أربعة ابواب من هذه الخمسة وعلى باب القصر الخارج الخامس منها وصير على باب خراسان الخارج بابا جيء به من الشام من عمل الفراعنة وصير على باب الكوفة الخارج بابا جيء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبدالله القسري وأمر بأتخاذ باب لباب الشام فعمل ببغداد فهو أضعف الابواب كلها » [٢٨] .

اما الطريقة التي وزعت فيها هذه الابواب الثمانية ، فان هرتسفيلد اشار بان باب البصرة لم تدرج ضمن هذهالابواب الثمانية ويرى بان الابواب الاربعة الاولى التي جيء بها من واسط وضعت في المداخل الرئيسة ، وان الخامس قد وضع في بوابة البصرة الخارجية ، والذي يبدو من المحتمل — بالرغم من رواية الطبري — ان يكون الخامس من واسط وهو بوابة البصرة [٢٩] .

والذي يبدو ان نقل الابواب وتحويلها ، من مدينة الى أخرى اجراء

---

(٢٧) الزندورد كما جاء في معجم ياقوت ٢/٩٥١ — مدينة قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط ، وكان المنصور لما عمر بغداد نقل ابواب الزندورد فنصبها على مدينته .

(٢٨) الطبري — ٦/ ٢٦٥ والخطيب ١/٧٥ ومعجم البلدان لياقوت ١ / ٦٨٤ .

(٢٩) Archäologische Reise, Band II, p. 128.

كان متعارف عليه في تلك الازمنة ، وقد مر بنا ان أبواب الزند ورد نقلهـا الحجاج الى مدينته واسط ونقل المنصور بدوره هذه الابواب الى مدينته بغداد .

وكتب اليعقوبي ان هذه الابواب كانت مرتفعة بحيث « يدخل الفارس بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثني الرمح » (٣٠) من هذا يتبين لنا مقدار ارتفاع هذه الابواب العظيمة .

والذي يبدو ان أسوار مدينة أبي جعفر المنصور قد بنيت من اللبن المجفف ذي الحجم الكبير ، ويروى المؤرخون ان قطع اللبن كانت مربعة طول ضلعها الواحدة ذراع (٣١) .

وتزن الواحدة منها حوالي مائة وسبعة عشر رطلا ، ومما يثبت صحة هذا الوزن ما رواه المؤرخون انه هدم من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجدوا فيها لبنة مكتوب عليها ؟ ان وزنها مائة وسبعة عشر رطلا فوزنوها فوجدوها كذلك (٣٢) .

وروى المؤرخون ان البنائين ، وضعوا في كل ساف من أسواف البناء لسور مدينة المنصور مائة الف لبنة واثنتين وستين الف لبنة (٣٣) وطبيعي ان عدد اللبنات هذه هي لأساس السور ، ونحن نعلم كما مر بنا سابقا ، ان عرض السور يقل عند أرتفاعه ، ومعناه ان عدد اللبنات المستخدمة فيه تقل

---

(٣٠) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(٣١) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٣٨ والطبري ٦/٢٦٥ .

(٣٢) الطبري ـ ٦/٢٦٥ و ٢٦٦ والخطيب ـ ١/٧٢ ومعجم البلـدان لياقوت ١/٦٨٣ .

(٣٣) الطبري ـ ٦/٢٦٥ و ٢٦٦ والخطيب ١ / ٧٢ ومعجم البلـدان لياقوت ١/ ٦٨٣ .

—

أيضا ويوضح هذا الخطيب الذي روى انه في « كل ساف من أسواف البناء مائة الف لبنة واثنتان وستون الف لبنة ... فلما بنينا الثلث من السور لقطناه فصيرنا في الساف مائة الف لبنة وخمسين الف لبنة ، فلما جاوزنا الثلثين لقطناه فصيرنا في الساف مائة الف لبنة واربعين الف لبنة الى أعلاه » (٣٤) .

والمألوف في بناء الاسوار ان تستعمل روابط خشبية او حديدية لتوثيق الربط وأحكام الصلة بين لبنات وأسواف السور ، والقد كان مألوفا عند العرب وضع روابط من الخشب في الاسوار ، ولكنه في بناء مدينة بغداد المدورة جعلوا هذه الروابط حزما من القصب ، كما جاء في الطبري انه «جعل في البناء جوائز قصب مكان الخشب في كل طرقه » (٣٥) .

ولم يستمر العمل في المدينة المدورة على وتيرة واحدة حتى اتمام بنائها، وانما حدث ما اوقف العمل فيها فترة من الزمن ، وهذا الحدث هو خروج محمد بن عبدالله على الحكم العباسي في المدينة ، وخروج أخيه ابراهيم بن عبدالله بعدئذ في البصرة . ويروى الطبري انه « لما بلغ الحائط مقدار قامة وذلك في سنة ١٤٥ أتاه خبرخروج محمد فقطع البناء » (٣٦) وسوف لاتتناول بحث خروج الاخوين هنا ، ولا تتناول أيضا طريقة القضاء عليهما ، اذ ان هذا مبسط في كتب التاريخ ، وانما الذي يعنينا ، ان أبا جعفر المنصور كما روى الطبري كان نازلا ، حينما جاءه خبر خروج محمد بالدير الذي على شاطيء دجلة بالموضع المعروف بالخلد ... ثم نادى بالرحيل من ساعته (٣٧) .

---

(٣٤) الخطيب — ١/ ٧١ و ٧٢ .

(٣٥) الطبري — ٦/ ٢٣٨ .

(٣٦) الطبري — ٢٣٨/٦ .

(٣٧) الطبري — ٦/ ٢٤٠ .

وقدم الكوفة وأقام بقصر ابن هبيرة [٣٨] .

ويروى الطبري ان أبا جعفر حين أتاه خبر خروج محمد بن عبدالله ، كان قد « هيأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج اليه من خشب وساج وغير ذلك، واستخلف حين شخص على اصلاح ما أعد لذلك مولى يقال له أسلم فبلغ أسلم ان ابراهيم بن عبدالله قد هزم عسكر أبي جعفر فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب خوفا ان يؤخذ منه ذلك اذا غلب مولاه . فلما بلغ ابو جعفر مافعل ذلك مولاه اسلم كتب اليه يلومه على ذلك . فكتب اليه اسلم يخبره انه خاف ان يظفر بهم ابراهيم فيأخذه فلم يقل له شيئا » [٣٩] .

وبعد أن أخمدت الثورتين ، ثورة محمد بن عبد الله وثورة أخيه ابراهيم ابن عبد الله ، عاد المنصور الى بغداد وباشر اتمام بنائها [٤٠] .

---

(٣٨) تاريخ اليعقوبي — ٢/٤٥٠ و ٤٥١ والطبري ٦/٢٤٠ .

(٣٩) الطبري — ٦ / ٢٦٤ .

(٤٠) نفس المصدر — ٦/ ٢٠ .

الفصل السادس

الفصيل الداخل والمنطقة السكنية والسكك

روى الخطيب انه بعد دهليز السور الاعظم يفضي الداخل « الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في مثلها ، فعلى يمين الداخل اليها طريق وعلى يساره طريق ، ويؤدي الايمن الى باب الشام والايسر الى باب البصرة ، والرحبة كالرحبة التي وصفنا ، ثم يدور هذا الفصيل على سائر الابواب بهذه الصورة وتشرع في هذا الفصيل أبواب السكك ،وهو فصيل ماد مع السور ، وعرض كل فصيل من هذه الفصلان من السور الى افواه السكك خمس وعشرون ذراعا ثم يدخل من الرحبة التي وصفنا الى الطاقات وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل اليها من باب الرحبة ، وعليه باب ساج كبير فيفردين، وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها من اولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائة ذراع ، وفي جنبتي الطاقات بين كل طاقين منها غرف كانت للمرابطة ، وكذلك لسائر الابواب الباقية فعلى هذه الصفة سواء ، ثم يخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، فعن يمينك طريق يؤدى الى نظيرتها من باب الشام ثم يدور الى نظيرتها من باب البصرة » (١) ثم يتابع الخطيب روايته ويعود الى وصفه لباب خراسان فيقول « ان كل واحدة منهن نظيرة لصواحباتها وفي هـذه الفصيل تشرع ابواب البعض السكك وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي

---

(١) الخطيب ـ ٧٦/١ .

دهليز المدينة الذي منه يخرج الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد »[٢].

الذي يتبين من كلام الخطيب ان الداخل من الباب الثاني الواقع في السور الثاني للبوابة الرئيسة ، ويمر برحبة مربعة طول ضلع كل جدار منها عشرون ذراعا (١٠) امتار وعلى جانبي هذه الرحبة بابان ، احدهما على الجهة اليمنى والآخر على الجهة اليسرى ، ويؤدي الباب الايمن في حالة وصفنا لباب خراسان الى ربع الفصيل الثاني المفضي الى باب الشام ، ويؤدي الباب الايسر منها الى ربع الفصيل الثاني المفضي الى باب البصرة ، واذا اجتاز الداخل هذه الرحبة وصل الى منطقة الطاقات والتي تمتد خلفها من جهتي اليمين واليسار ، المنطقة السكنية ، وتتضمن السكك والدور والشوارع ، وتنقسم هذه المنطقة ايضا الى اربعة اقسام او الى اربعة ارباع تماما مثل الفصيل السابق ، كل قسم منها يؤلف ربع دائرة ويفصل هذه الاقسام الاربعة الطرق الاربعة النافذة من ابواب السور الاعظم والتي تجتاز وسط الطاقات حتى تصل الى الرحبة المربعة في سور المدينة الداخلي ، وهو السور الثالث ، وهذا السور اشبه شيء بحاجز يلتف حول المنطقة التي تضم القصر والجامع وملحقاتهما ، وهو لايداني السورين الاول والثاني من حيث المتانة والقوة والضخامة .

وعليه فان تلك المنطقة التي تحف بالطاقات من جانبيها ، تشمل المنطقة السكنية الوحيدة للناس في المدينة المدورة ، وتقع بين الجدار الضخم للسور الاعظم والجدار المحيط بالمنطقة المركزية .

وكان الطريق الرئيس الذي يبدأ من رحبة السور الخارج وينتهي الى رحبة السور المحيط بالمنطقة المركزية أو (المنطقة الوسطى) يضم على جانبيه سلسلة من الطاقات وعددها اربعة وخمسون طاقا ، وفي بداية هذا الطريق

---

(٢) نفس المصدر ١/ ٧٦ .

وعند اتصاله بالرحبة عقد كبير فيه باب ذو مصراعين من الخشب الساج ، وفي نهايته عند السور المحيط بالمنطقة المركزية رحبة اخرى ، وتتصل الرحبات الاربع في هذا السور الاخير بطريق دائري يطلق عليه هرتسفيلد في تخطيطه لبغداد اسم الفصيل الثالث (انظر شكل — ٩) الذي يحجز منطقة الشوارع والسكك والدروب عن قلب المدينة ، بينما يطلق عليه اليعقوبي اسم سور الرحبة فقط[٣] .

وقد اشار اليعقوبي الى اسماء السكك وعددها فقال « وبين الطاقات الى الطاقات السكك والدروب تعرف بقواده ومواليه وبسكان كل سكة ، فمن باب البصرة الى باب الكوفة سكة الشرطة وسكة الهيثم وسكة المطبق وفيها الحبس الاعظم الذي يسمى المطبق ، وثيق البناء محكم السور ، وسكة النساء وسكة سرجس وسكة الحسين وسكة عطيه وسكة مجاشع وسكة العباس وسكة غزوان وسكة ابي حنيفة والسكة الضيقة ، ومن باب البصرة الى باب خراسان سكة الحرس وسكة النعيمية وسكة سليمان وسكة الربيع وسكة مهلهل وسكة شيخ بن عميرة وسكة المروروذية وسكة واضح وسكة السقائين وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور وسكة ابي احمد والدرب الضيق ، ومن باب الكوفة الى باب الشام سكة العكّي وسكة ابي قرّه وسكة عبدويه وسكة لسّميدع وسكة العلاء وسكة نافع وسكة اسلم وسكة منارة ، ومن باب الشام الى باب خراسان سكة المؤذنين وسكة دارم وسكة اسرايل وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريرى قد ذهب عني اسم صاحبها وسكة الحكم بن يوسف وسكة سماعة وسكة صاعد مولى ابي جعفر وسكة تعرف اليوم بالزيادى وقد ذهب عني اسم صاحبها وسكة غزوان »[٤] .

---

(٣) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٤١ .

(٤) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٠ و ٢٣١ .

اما الخطيب فيروي ان سكك المدينة منسوبة الى موالي ابي جعفر وقواده ، ويسمي بعضا منها ، مثل سكة شيخ بن عميرة وسكة دار خازم ودرب الابرد ودرب سليمان وسكة الشرط وسكة سيابة وسكة الزبيدية[٥] .

ومن فحص نص الخطيب السابق ، وموازنته بالنص الذي اورده اليعقوبي ، يتبين لنا بوضوح ان الخطيب في روايته قد اشار الى عدد من السكك لم يشر اليها اليعقوبي . فمثلا ذكر سكة خازم[٦] ودرب الابرد[٧] وسكة سيابه[٨] وسكة الزبيدية[٩] ، هذا وقد اشار الى ثلاث سكك ورد ذكرها في رواية اليعقوبي كسكة شيخ بن عميرة ودرب سليمان وسكة الشرط .

وفي رأينا ان هذا الاختلاف ناجم من ان اليعقوبي يذكر اسماء السكك التي كانت على عهد المنصور ، بدليل انه يشير الى سكتين تعرفان في وقته بالقواريري والزيادي ، ويذكر انه قد ذهب عنه اسماء صاحبيها [١٠] .

وكان « على كل سكة من طرفيها الابواب الوثيقة ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة »[١١] .

---

(٥) الخطيب — ١/٨٩ .

(٦) سكة خازم سميت كذلك نسبة الى خازم بن خزيمة النهشلي .

(٧) درب الابرد — وسمي كذلك نسبة الى الابرد بن عبد الله وهو قائد من قواد الخليفة هارون الرشيد .

(٨) سكة سيابة — سميت كذلك نسبة الى سيابة احد اصحاب المنصور .

(٩) سكة الزبيدية — سميت كذلك نسبة الى زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور .

(١٠) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٤١ .

(١١) نفس المصدر . صفحة ٢٤١ .

الفصل السابع

الطاقات

سبق وان أشرنا ان الطريق الرئيس الذي يبدأ من رحبة السور الخارج وينتهي الى رحبة السور المحيط بالمنطقة المركزية ، كان يضم على جانبيه سلسلة من الطاقات . ويظهر من رواية الخطيب التي اوردناها في الصفحات السابقة ، ان للمدينة المدورة نوعين من الطاقات ، طاقات كبرى وطاقات صغرى ، مستنتجين ذلك من روايته التي يقول فيها « وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها من اولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع »(١) . فهو حينما يميز بينهما ، ثم يطلق على بعضها اسم (الصغرى) معنى ذلك ان الاخرى يجب ان تحمل اسم (الكبرى) ويروى الخطيب « ثم يدخل من الرحبة ... الى الطاقات وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل اليها من هذه الرحبة وعليه باب ساج كبير في فردين وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا وطولها من اولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع »(٢) واشار هرتسفيلد بان الطول المعطى من قبل الخطيب للطاقات يعتبر قياسا قليلا (٣). ويتأكد اكثر اذا ما

---

(١) الخطيب — ١ / ٧٦ .

(٢) نفس المصدر — ١ /٧٦ .

(٣) Archäologische Reise, Band II, p. 128.

لاحظنا انه على يمين ويسار هذه الطاقات المعترضة توجد غرف ، ومجموع الغرف لكل جانب منها اربعة وخمسون غرفة ، وقد روى الخطيب بانه يوجد في كل جزء من الطاقات حرس يتألف من الف رجل في كل باب « وعلى كل باب قائد فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العكي في الف وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني في الف »[٤] واشار كريزويل بان الحرس كانوا موزعين — في كل ربع من ارباع المدينة — على (١٠٨) غرف ، مائة (١٠٠) منها للجنود اذ ان كل عشرة منهم في غرفة وثمانية غرف للضباط[٥].

ويستنتج كريزويل طول الطاقات بهذه الطريقة ، فيقول انه لو فرضنا بان عرض كل غرفة عشرة اذرع وعمقها خمس عشرة ذراعا مع وجود حاجز عرضه ذراعان وجدران النهاية بعرض خمسة اذرع فيكون الطول كما يأتي :—

٥٤×١٠=٥٤٠ ذراع عرض الغرف	المجموع (٦٥٦) ذراعا
٥٣×٢=١٠٦ ذراع عرض جدار الطاقات	
٢×٥=١٠ ذراع عرض جدران النهاية	

وافترض كريزويل افتراضا ثانيا فجعل عرض الغرفة ثمانية اذرع وعمقها (١٢) ذراعا فحصل على النتيجة التالية :—

٥٤×٨=٤٣٢ ذراع عرض الغرف	المجموع (٥٤٨) ذراعا
٥٣×٢=١٠٦ ذراع عرض جدار الطاقات	
٢×٥=١٠ ذراع عرض جدران النهاية	

(٤) الخطيب — ١/٧٧ .

(٥) Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

ويضيف كريزويل على ذلك بأننا لو أضفنا (٢٥ ذراعا×٢) للشارعين فيكون المجموع :ـ

٥٤٨+٥٠=٥٩٨ ذراعا طول الطاقات[٦] .

ومن الجدير بالذكر ان نشير ان لسترانج عدّ ثلاثا وخمسين طاقا موزعة على الجانبين فقد ذكر انه « ربما كان في كل جانب ٢٦ طاقا »[٧] وطبيعي ان لسترانج اعتبر عدد الطاقات التي ذكرها الخطيب هي مجموع الطاقات الواقعة على جانبي القاعة الطويلة التي تفصل صفين من الطاقات ، ولم يحسبها صفا واحدا لجانب واحد من سلسلة الطاقات ، ومن المعلوم ان الباحثين المحدثين الذين تناولوا بحث المدينة المدورة ، اعتبروا عدد الطاقات التي اوردها الخطيب لصف واحد أو لجانب واحد[٨] . ونحن كذلك نرجح ان يكون عدد الطاقات التي ذكرها الخطيب هي لصف واحد .

أما النوافذ التي ذكرها اليعقوبي بقوله « فيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر »[٩] ويعلل لسترانج ذلك بانه لعلها كانت من القرميد المثقب بحيث تسمح بدخول اشعة الشمس وتمنع تساقط المطر[١٠] . غير انه يرجح ان تلك الكوى تشبه كوى خان مرجان الجانبية أو نوافذ المدرسة المستنصرية الجانبية منها والسقفية وانها ليست من القرميد المثقب كما ذكر لسترانج[١١] . ويتساءل كريزويل فيقول — ترى اين كان

---

(٦) نفس المصدر . صفحة ١٦ .

(٧) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٣٣ .

(٨) انظر Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.
وانظر أيضا Short acoount of E.M.A. p. 109.

(٩) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢٣٩ .

(١٠) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٣٣ .

(١١) تخطيط المدن عند العرب — ناجي معروف . غير مطبوع .

موضع هذه الشبابيك ؟ ويجيب على ذلك بانها لا بد وان تكون في الجدران الجانبية أعلى من مستوى السقف[١٢] .

ويشير اليعقوبي وابن رستة بان هذه الطاقات كانت مقبية بالطابوق المفخور (الآجر) والجبس[١٣] . ولو فرضنا ان القبب الارضية كانت تعتمد على الجدران الجانبية اذن فلا بد أن يكون بروزها عاليا كي يجد الشباك مجالا للبروز .

ويشير كريزويل ان البلاذري ذكر اسم البنّاء الذي قام ببناء الطاقات ، وهو بشر بن ميمون[١٤] . ولكني لم أر في نص البلاذري ما يدل على ذلك فقد ذكر الاخيران « طاقات بشر تنسب الى بشر بن ميمون » [١٥] وفي الطاقات منازل غلمان الخليفة[١٦] . وكانت هذه الطاقات بمثابة اسواق المدينة المدورة حتى عام ١٥٧ هـ ، وفي هذا العام أمر الخليفة المنصور تحويل الاسواق من داخل المدينة المدورة الى ربض الكرخ .

وروى الطبري ان السبب في نقل ابي جعفر التجار من المدينة الى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة انه قيل لابي جعفر ان الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن ان يكون فيهم جواسيس ومن يتعرف الاخبار أو ان

---

(١٢) Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

(١٣) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٣٩ والاعلاق النفيسة لابن رستة صفحة ١٠٨ .

(١٤) Early Muslim Architecture, Vol. II p.16.

(١٥) فتوح البلدان ــ البلاذري صفحة ٢٩٤ أما بشر هذا فهو ابن ميمون كما جاء في البلاذري صفحة ٢٨٧ ــ مولى محمد بن علي بن عبدالله وتنسب الى بشر بن ميمون الطاقات ببغداد التي كانت بالقرب من باب الشام .

(١٦) البلدان ــ اليعقوبي صفحة ٢٣٩ وتأريخ اليعقوبي ٢/٤٤٩ والاعلاق النفيسة لابن رستة صفحة ١٠٨ والخطيب ١ / ٧٦ .

يفتح ابواب المدينة ليلا لموضع السوق فأمر بأخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرس وبنى للتجار بباب طاق الحراني وباب الشام والكرخ(١٧) .

ويروي الخطيب ، أن سبب نقل الاسواق من الطاقات الى الكرخ ، كان نتيجة اشارة رسول ملك الروم للمنصور فقد جاء في روايته قول هذا الرسول للمنصور « يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد كان قبلك وفيه ثلاث عيوب . قال — وما هي ؟ قال — أول عيب فيه فبعده عن الماء ولا بد للناس من الماء لشفاههم ، واما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتاق الى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان ، واما العيب الثالث فان رعيتك معك في بنائك واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره »(١٨) .

الطاقات الصغرى :

ذكر الخطيب ان الداخل اذا انتهى من الطاقات (الكبرى) يفضي الى

(١٧) الطبري — ٦ / ٢٦٦ و ٢٦٧ ويروى الطبري رواية أخرى فيقول « قدم على المنصور بطريق من بطارقة الروم وافدا فأمر الربيع ان يطوف به فى المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء . فطاف به الربيع ، فلما انصرف قال للبطريق — كيف رأيت مدينتي ؟ وقد كان أصعد الى سور المدينة وقباب الابواب . قال — رأيت بناء حسنا ومدينة حصينة الا اني قد رأيت اعداءك معك فى مدينتك . قال ومن هم ؟ قال — السوقة يوافى الجاسوس من جميع الاطراف فيدخل الجاسوس بعلة التجارة والتجار هم برد الآفاق فيتجسس بالاخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير ان يعلم به أحد او يفتح ابواب المدينة لرفاقه ليلا » .

(١٨) الخطيب — ١ / ٧٨ .

رحبة مربعة ابعادها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا[١٩] وتجاهه الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي منه يخرج من الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد[٢٠] . أما اليعقوبي فيروى ان الخارج اذا خرج من الطاقات « خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى »[٢١] .

---

(١٩) نفس المصدر — ١ / ٧٦ .

(٢٠) نفس المصدر — ١ / ٧٦ .

(٢١) البلدان — اليعقوبي صفحة ٢ .

الباب السابع

الرحبـة العظمى

الفصل الاول

وصف الرحبة العظمى

تقع هذه الرحبة في وسط المدينة المدورة ، ونستطيع ان نطلق عليها اسم (قلب المدينة) وقد دعاها اليعقوبي باسم «الرحبة العظمى»[١] دلالة على مساحتها الكبيرة الواسعة فروى ان الخارج اذا خرج من الطاقات خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد ثم يخرج من الباب الى الرحبة العظمى[٢] .

وكانت هذه الرحبة تبدأ من السور المحيط بالرحبة ، الذي اشار اليه اليعقوبي وروى ان ابواب السكك الوثيقة لا تتصل بهذا السور[٣] . والراجح ان هذا السور كان اشبه شيء بحاجز يفصل منطقة الطاقات والسكك والدور عن المنطقة المركزية .

وقد وصف اليعقوبي هذه المنطقة والعمائر التي فيها بقوله « وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب والى جنب القصر المسجد الجامع وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في احداهما صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصلي فيها الناس وحول الرحبة كما تدور منازل اولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده . وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان

(١) البلدان ـ اليعقوبي صفحة ٢٤٠ .

(٢) نفس المصدر ـ صفحة ٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر ـ صفحة ٢٤١ .

الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج وديوان الاحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات »[٤] .

ولسنا نجد في كتب التاريخ والمظان العربية والاسلامية وصفا آخر يزيد عن وصف اليعقوبي ، ما يهدينا الى العمائر والمباني الواقعة حول القصر، كدار الحرس وسقيفة صاحب الشرطة وابنية الدواوين ، ويرشدنا بصورة ثابتة ودقيقة الى تصميم هذه العمائر واطوال ابعادها ومساحة كل واحدة منها وهيئتها ، لذا فلا يمكننا ان نذكر عنها أي شيء ، وتترك ذلك الى المستقبل عل التنقيبات والحفريات تكشف النقاب عن هذه الابنية والعمائر التي لا زالت اساساتها وجدرها واعمدتها خافية تحت طبقات الاتربة والانقاض ، والامل كبير ان تسعى مديرية الاثار العامة ، وبخاصة القائمين على ادارة قسم البحوث والدراسات الاسلامية فيها ، والمعنيين بشؤون الحفر والتنقيب ، الى المبادرة في البحث عن بقايا مدينة المنصور المدورة . واكتشاف هذه المدينة سيكون، ولا شك ، من الاحداث المهمة والخطيرة في مجال الآثار والعمارة والفنون الاسلامية اذ سيهدينا الى كثير من الامور المتعلقة بتخطيط المدينة المدورة وابعادها على وجه من الدقة والحقيقة ، اضافة الى ما سنعرفه عن طبيعة الفن المعماري والهندسي في فجر الدولة العباسية وتطور هذا الفن وتكامله الذي ظهر بصورة واضحة في تشييد مدينة سامراء .

ويظهر من رواية الطبري ان المنصور كان لا يسمح لأحد من اتباعه و رجال حاشيته الى دخول الرحبة العظمى وهو راكب فقد روى الطبري[٥] « ان عيسى بن علي شكا الى ابي جعفر فقال يا امير المؤمنين ان المشي يشق عليّ من باب الرحبة الى القصر وقد ضعفت قال فتحمل في محفة قال اني

---

(٤) نفس المصدر — صفحة ٢٤٠ .

(٥) الطبري — ٦ / ٢٦٦ .

استحي من الناس قال وهل بقي احد يستحيا منه قال يا امير المؤمنين فانزلني منزلة راوية من الروايا قال وهل يدخل المدينة راويـة أو راكب قال فأمر الناس بتحويل ابوابهم الى فصلان الطاقات فكان لا يدخل الرحبة الا ماشيا قال ولما أمر المنصور بسد الابواب مما يلي الرحبةوفتحها الىالفصلان صيرت الاسواق في طاقات المدينة الاربع في كل واحد سوق فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافدا »(٦) .

وسنبحث في بحوثنا القادمة فيما انشأ من عمائر داخل هذه الرحبة وهي :

اولا — قصر باب الذهب أو قصر القبة الخضراء

ثانيا — مسجد المنصور .

---

(٦) هذا بينما يروى الخطيب ١ / ٧٨ « وكان لايدخل أحد من عمومته ولا غيرهم من هذه الابواب ألا راجلا ، ألا داود بن علي عمه فانه كان منقرسا (والنقرس كما جاء فى معجم متن اللغة ٥ / ٥٢٩ — ورم ووجع فى مفاصـل الكعبين وهو فىمفاصل القدم وابهامها اكثر) فكان يحمل فى محفة ، ومحمد المهدي ابنه وتكنس الرحاب فى كل يوم يكنسها الفراشون ويحمل التراب الى خارج المدينة ، فقال له عمه عبد الصمد — يا أمير المؤمنين انا شيخ كبير فلو أذنت لي ان انزل داخل الابواب فلم يأذن له فقال ، يا أمير المؤمنين عدنيبعض بغال الروايا التي تصل الى الرحاب فقال ، ياربيع بغال الروايا تصل الىرحابي؟ فقال — نعم يا أمير المؤمنين فقال — تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصرى ففعل » .

الفصل الثاني

قصر باب الذهب

سبق وان اشرنا في موضع سابق ، بعض النقاط التي تلاحظ في تخطيط المدن العربية والاسلامية ، ونضيف نقطة اخرى في معرض حديثنا عن قصر باب الذهب ومسجد المنصور ، ان العرب في صدر الاسلام والعصر الاموي كانوا يعمدون إلى شيء من التنظيم في بناء المدن فكانوا اذا اختطوها بدؤا بالمسجد الجامع أولا فجعلوه في مركز المدينة، وجعلوا حوله فراغا منه تشرع الطرق واليه تفضي الشوارع وبلصقه تماما دار الامارة وتكون عادة في الضلع القبلية منه كما في الكوفة والفسطاط والبصرة والقيروان وواسط ، ولم تكن دار الامارة في البصرة في قبلة المسجد الا بعد ان حولها زياد بن ابيه (٧) اما في العصر العباسي فكانوا يتخيرون اولا مكان البلاط أو القصر والى جانبه أو على مسافة منه تنشأ المساجد الجامعة (٨).

وهذه أول مرة في تخطيط المدن الاسلامية ، يخرق بناة بغداد القاعدة التي درج عليها المسلمون في بناء مدنهم ، فلم يبدأ المنصور ، كما هو متبع في المدن السابقة لبغداد ببناء المسجد في وسط المدينة (٩)، وانما جعل في

---

(٧) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٣٤٢ و ٣٤٣ .

(٨) تخطيط المدن عند العرب — ناجي معروف . غير مطبوع .

(٩) روى البلاذري في فتوح البلدان صفحة ٢٧٥ عن تمصير الكوفة « ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام الغالي واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين ... وترك مادونها فناء للمسجد ودار الامارة » وروى اليعقوبي في البلدان

وسطها قصره ومقر خلافته [١٠] .

وليست لدينا معلومات كثيرة عن قصر المنصور سوى ما ذكر الخطيب في تاريخه ، وروايته مع اهميتها في ابراز الخطوط العامة لقصر باب الذهب فانها تعتبر مقتضبة لا تتناسب ومكانة هذا القصر الكبير الذي يعتبر في ذلك الوقت من العمائر العظيمة .

كان قصر المنصور ، أو قصر القبة الخضراء ، على هيئة مربعة حسب ماروى الخطيب طول كل ضلع من اضلاعه الاربعة اربعمائةذراع [١١] ، أي ما يعادل (٢٠٠ متر) فتكون مساحته مقاربة لاربعين الف متر مربع .

وكان في صدر قصر المنصـــور ايوان اذ يروى الخطيب انه « كان في صدر قصر المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء وسمكه الى حد عقد القبة عشرون ذراعا فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعا» [١٢] .

صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ عن الفسطاط « وبنى عمرو بن العاص مسجد جامعها ودار امارتها المعروفة بدار الرمل وجعل الاسواق محيطة بالمسجد الجامع » .

(١٠) تشير الروايات التأريخية المختلفة ان قصر باب الذهب كان فى وسط الرحبة . فقد روى اليعقوبي فى البلدان صفحة ٢٣٠ « وفى وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب والى جنب القصر المسجد الجامـع » وجاء فى الاعلاق النفيسة لابن رستة صفحة ١٠٨ « وفى وسط المدينة قصر لابي جعفر يسمى باب الذهب » وجاء فى الكامل لابن الاثير ٥ / ٢١ قوله « وبنى قصره فى وسطها » .

(١١) الخطيب ــ ١ / ١٠٧ .

(١٢) الخطيب ــ ١ / ٧٣ ، أما ياقوت فى معجمه ١ / ٦٣٨ فيروى «وبنى القبة الخضراء فوق ايوان وكان علوها ثمانين ذراعا » ومناقب بغداد . لابن الجوزي صفحة ١١ .

والراجح ان هذا الايوان كان على هيئة قاعة كبيرة ذات قبو وفي صدر الايوان أي في الجهة البعيدة عن بابه ونستطيع ان نحدد المكان بدقة فنقول في مؤخرة الايوان أو في قبالته قاعة يطلق عليها الخطيب اسم (مجلس) على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعها عشرون ذراعا ، أي ما يعادل عشرة أمتار وارتفاعها عشرة امتار ايضا ، وفوق هذه القاعة قاعة أخرى لها نفس الابعاد وفوقها القبة الخضراء وهي القبة التي سمي القصر باسمها وترتفع عن الارض بمقدار ثمانين ذراعا ، حسب ما روى الخطيب وياقوت ، والمعروف ان هذه القبة كانت ترى من مسافة بعيدة من خلف اسوار المدينة المدورة(١٣) وكانت هذه القبة بمثابة « تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بني العباس » (١٤).

ويشير بعض المؤرخين الى انه كان على رأس القبة الخضراء صنم على صورة فارس في يده رمح . فكان السلطان اذا رأى ان ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار أن خارجيا قد نجم من تلك الجهة (١٥)

وطبيعي ان هذه الرواية لا أساس لها من الحقيقة ، ونكتفي بالرد عليها بما أورده ياقوت في معجمه فقد أخذ على الخطيب ذكر مثل هذه الرواية

---

(١٣) ويشير ابن الفوطي فى الحوادث الجامعة صفحة ٣٠٢ بأنها كانت عالية ينظر الجالس فيها من يخرج من الانبار .

(١٤) مناقب بغداد ابن الجوزي صفحة ١٢ . ومعجم البلدان . يا قوت ١ / ٦٨٤ .

(١٥) الخطيب ــ ١ /٧٣ ومناقب بغداد . لابن الجوزي صفحة ١١و١٢ .

التي هي « من المستحيل والكذب الفاحش وانما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي أوهم الاغمار صحتها تطاول الازمان والتخيل ان المتقدمين ما كانوا بني آدم ، فأما الملة الاسلامية فانها تجل عن مثل هذه الخرافات ، فان من المعلوم ان الحيوان الناطق مكلف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئا مما ينسب الى هذا الجماد ولو كان نبيا مرسلا ، وايضا لو كان كلما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لانها لا بد ان تتوجه الى وجه من الوجوه » (١٦) .

ومن الجدير بالذكر ، ان نشير هنا ان اليعقوبي روى في حديثه عن دمشق فقال وبها خضراء معاوية وهي دار الامارة (١٧) .كما ان بعض المؤرخين يروون عن القبة الخضراء في واسط ، فقد روى البلاذري ان الحجاج « بنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها » (١٨) وروى ابن رستة (١٩) عن قصر الحجاج فقال « وفي قصره قبة مشرفة خضراء ترى من فم الصّلح » (٢٠) كما ان الاصطخري أشار الى هذه القبة في اثناء حديثه عن واسط فقال « وبها خضراء الحجاج » (٢١) .

ومن المعروف ان دار الامارة الذي شيده ابو مسلم الخراساني في مرو كانت له قبة ، ولكننا لا ندري هل كانت خضراء ام لا ، فقد روى

(١٦) معجم البلدان ياقوت ١ / ٦٨٣ .

(١٧) البلدان — اليعقوبي صفحة ٣٢٦ .

(١٨) فتوح البلدان — البلاذري صفحة ٢٨٨ .

(١٩) الاعلاق النفيسة — ابن رستة صفحة ١٨٧ .

(٢٠) فم الصلح — وهو — كما جاء فى معجم ياقوت ٣ / ٩١٧ — نير كبير فرق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأون وفيه بنى المأمون ببوران .

(٢١) مسالك الممالك — الاصطخري صفحة ٨٢ .

الاصطخري فقال « ودار الامارة من بناء ابي مسلم ، ودار الامارة على ظهر هذا المسجد وفي هذه الدار قبة بناها ابو مسلم كان يجلس فيها والى هذه الغاية يجلس في هذه القبة امراء وهي قبة من آجر • وسعة هذه القبة خمسة وخمسون ذراعا ••• وللقبة اربعة ابواب كل باب الى ايوان »(٢٢) •

وليس ببعيد ان يكون الحجاج قد قلد قبة قصر معاويــة الخضراء بدمشق ، وان ابا مسلم بدوره قلد قبة واسط ، ثم جاء المنصور فأخذ هذا الاسلوب المعماري في تشييد القبة من طراز القبة الخضراء في واسط •

وانفرد الخطيب من بين المؤرخين المسلمين الاولين ، بذكر نفق المنصور الخاص في قصره ، ويتبـين من روايته ان المنصور قد احدث في قصر باب الذهب نفقا خاصا ، وممرا سريا ، يلجأ اليه وقت الازمات ، روى الخطيب ان المنصور قال للربيع « يا ربيع هل تعلم في بنائي هذا موضعا ان اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على فرسخين ؟ قال قلت لا : قال بلى • قال في بنائي هذا ما ان اخـذني فيـه الحصـار خرجت خارجا منه على بعد فرسخين »(٢٣) •

وكان قصر باب الذهب بمثابة البلاط الرسمي للخليفة المنصور ، يمكث في احد قاعاته متفرغا للنظر في أمور دولته الكبيرة ، وما يجبه الولايات من مشاكل وقضايا تعرض عليه ليبت فيها ، هذا بالاضافة الى انه محل سكناه الخاص وسكنى زوجاته ،وحشمه وخدمه والقائمين على مشاغل القصروالبلاط

---

(٢٢) نفس المصدر — صفحة ٢٥٩ .

(٢٣) الخطيب — ١ / ٧٧ أما ابن الجوزي فيقول فى صفحة ١١ عن نفق المنصور الخاص « وكان المنصور يقول — هل تعلم فى بنائي هذا موضعا اذا اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على فرسخين ؟ فقال لا قال — بلى » ويعلق ابن الجوزي فى المناقب على ذلك فيقول « ولعله أشار الى القنوات » .

وبقي هذا القصر مقرا للخلفاء الذين اعقبوا المنصور (٢٤) . ألا هارون الرشيد فضل الاقامة في قصر الخلد (٢٥) المشرف على نهر دجلة (٢٦) .

وحينما آلت الخلافـة الى الامين ، تحول من قصر الخلد الى قصر المنصور ، اذ يروى الطبري انه « لما قدم كتاب صالح على محمد الامين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد وكان نازلا في قصره بالخلد تحول الى قصر أبي جعفر بالمدينة » (٢٧) فعاد هذا القصر مركزا ومحلا لسكنى الخليفة بعـد أن أضاف اليه ميدانا ، ويروى الطبري أنه « لما افضت الخلافة الى محمد وهدأ الناس ببغداد اصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم فأمر ببناء ميدان حول قصرأبي جعفر في المدينة » (٢٨) .

وفي الفترة التي هاجمت فيها جيوش المأمون المدينة المدورة ، بقيـادة طاهر بن الحسين ، قائد جيوش المأمون ، مكث الامين في قصر باب الذهب محتميا به (٢٩) . وقد كان يظن ان مناعة أسوار بغداد وفصلانها ودروبها ستصمد امام جيوش طاهر بن الحسين ، فوزع رجاله وجنوده وحرسه على

---

(٢٤) المهدي والهادي ، هذا وكان المهدي يقضي اكثر اوقاته فى قصره بالرصافة .

(٢٥) قصر الخلد ـ بناه المنصور كما يروى الخطيب ١ / ٨٠ فى سنة ١٥٨ هـ على نهر دجلة . والراجح انه سمي بالخلد تشبيها بجنة الخلد كما قال ابن الجوزي فى المناقب صفحة ١٢ ـ التي ورد ذكرها فى القرآن الكريم سورة الفرقان الآية ١٦ قوله تعالى « قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا » ونزل المنصور بقصر الخلد فى نفس السنة أي فى سنة ١٥٨ هـ كما جاء فى الطبري بحوادث هذه السنة .

(٢٦) الطبري ـ ٦ / ٥٤٤ .

(٢٧) الطبري ـ ٥٤٤/٦ .

(٢٨) نفس المصدر ـ ٦ / ٥٥١ .

(٢٩) انظر الطبري فى حصار طاهر لبغداد ٧ / ٥٠ ـ ٧٣ اذ يروي ان الامين كان نازلا فى مدينة المنصور فى قصر باب الذهب لما حصره طاهر .

أسوار المدينة [٣٠] ، بيد ان هذا لم يجد شيئا امام المجانيق الكثيرة التي نصبها طاهر حول المدينة المدورة ، من جانبها الغربي وراح يرشق أسوارها وقصرها بوابل من الحجارة الكبيرة ، فتهدمت بعض اجزائها ، وأصاب البعض الآخر منها التخريب .

ومما يفهم من روايات المؤرخين ان قبة مجلس المنصور الخضراء بقيت قائمة على جدرانها حتى سقط رأسها في يوم الثلاثاء لسبع خاون من جمادي الاخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وكان ليلتئذ مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد [٣١] ويعتقد لسترانج انه ربما أصابتها صاعقة الهبت فيها النيران [٣٢] .

والظاهر أن آخر خبر جاءنا عن بقايا القبة الخضراء ورد في كتاب الحوادث الجامعة لسنة ٦٥٣ هـ « وفيها وقعت القبة الخضراء المجاورة لجامع المنصور » [٣٣] .

ومن المؤكد ان سبب وقوع بقايا الخضراء يرجع الى الغرق الذي حدث في بغداد في سنة ٦٥٣ هـ الذي أشار اليه صاحب الحوادث الجامعة بقوله « وفي هذه السنة اتفقت أمور عجيبة وحوادث غريبة ... منها الغرق العام الذي أخرب بغداد ولا سيما دار الخلافة ، والدور الشطانية في الجانبين ، وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور... والقبة الخضراء » [٣٤] .

---

(٣٠) الطبري — ٧ / ٧٣ .

(٣١) تاريخ اليعقوبي — ٢ / ٤٥٠ والخطيب ١ / ٧٣ ومعجم البلدان لياقوت ١/٦٨٣ و ٦٨٤ ومناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١١ .

(٣٢) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٣٩ .

(٣٣) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٠٢ و ٣٠٣ .

(٣٤) نفس المصدر صفحة ٣٠٣ .

الفصل الثالث

مسجد المنصور

يعتبر مسجد المنصور اول مسجد شيد في أرض بغداد [١] ، وهو من أكبر المساجد الجامعة التي بنيت في العراق في مدينتي البصرة والكوفـة ، وتكاد مساحته تكون مقاربة لمسجد الحجاج في واسط [٢] ، وتخطيطه كان نموذجا لتخطيط الجوامع التي بنيت بعدئذ في بغداد ، والذي يؤلم ان معالم هذا المسجد قد زالت عن الوجود منذ سنين كثيرة ، كما زالت جميع آثار ومخلفات المدينة المدورة ، ولم يبق أي ذكر له الا في بعض المصادر الاسلامية الاولى ، وحتى هذه المصادر لاتشير اليه الا اشارة عابرة ، فاليعقوبي مثلا ، وهو الذي أهتم في كتابه البلدان بذكر مدينة بغداد وأسوارها ورحباتهـا وسككها وهدانا فيما كتب الى بعض معالم مدينة أبي جعفر المنصور ، ووضع لنا بعضـا من خططها ، غير انه مع ذلـك لايشير الى مسجد المنصور الا اشارة عابرة .

وقد ورد ذكر هذا المسجد في تاريخ بغداد للخطيب ، واشاراته بدورها موجزة مقتضبة لاتتناسب ومنزلة هذا المسجد الاول ، وقد حاول بعض علماء الآثار الاسلامية ان يكتبوا عنه ويرسموا مخططات له ، امثال العالم الالماني

---

(١) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٠٢ .

(٢) روى ياقوت فى معجمه ٤ / ٨٨٥ عن مسجد الحجاج بواسط «وذراع مسجد الجامع مايتين فى مايتين » ويؤخذ من نتائج التنقيبات التي جرت فى مدينة واسط كما ورد فى كتاب (واسط) للاستاذ فؤاد سفران الجامع الاول المكتشف وهو جامع الحجاج ذو شكل مربع تقريبا أبعاده (١٠٤ر٣٠ × ١٠٣ر٥٠).

هرتسفيلد (٣) والعالم البريطاني كريزويل (٤) والمستشرق البريطاني لسترانج (٥) وغيرهم من الباحثين ، ويعتبر البحثان اللذان كتبهما هرتسفيلد وكريزويل أهم البحوث التي تناولت هذا المسجد ، وقد وضع كل منهما تخطيطا له ، ويظهر للباحث اختلافهما في تحديد مكان المسجد اولا ، ومكان الصحن الذي اضيف الى الصحن الاول المسمى بالصحن العتيق ثانيا . ومن الباحثين العرب من أهتم برسم مخطط المسجد ، الدكتور احمد فكري ، فجاء بمشروع تخطيطي للزيادة في عهد المعتضد (٦) .

وسنحاول في هذا البحث ان نلم بتخطيط مسجد المنصور على ضوء ما جاء في وصف الخطيب البغدادي له ، وما كتبه عنه الباحثون ثم نذكر رأينا فيما كتبوه عنه .

كتب الخطيب في وصف مسجد المنصور فقال « كان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع للمدينة ملاصقا لقصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق وبناه باللبن والطين ومساحته على ما أخبرنا محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب قالا اخبرنا محمد بن جعفر النحوي أخبرنا الحسن بن محمد السكوني أخبرنا محمد بن خلف قال وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغري

(٣) Archaologische Reise im Euphrat und Tigris., Band. II, p. 136, 137, 138.

وانظر مخطط مسجد المنصور فى هذا الكتاب على صفحة ــ ١٣٧ .

(٤) انظر Early Muslim Architecture, Vol. II p.31.

وانظر صفحة ١٧٩ ــ ١٨٢ من كتاب المختصر . ومخطط المسجد فى الصفحة ١٨١ .

(٥) انظر بحثه عن جامع المنصور فى كتابه (بغداد فى عهد الخلافة العباسية المترجم فى الصفحات ٣٩ ــ ٤١ .

(٦) انظر المدخل لاحمد فكري صفحة ٢٣٣ .

وضببات الحديد ألا خمسا او ستا عند المنارة فان في كل أسطوانة قطعا ملفقة مدورة من خشب الاساطين • قال محمد بن خلف وقال ابن الاعرابي — تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وان قبلة الرصافة أصوب منها • فلم يزل المسجد الجامع بالمدينة على حاله الى وقت هارون الرشيد ، فأمر هارون بنقضه واعادة بنائه بالاجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد ، وذكر أمره ببنائه وتسمية البنّاء والنجار وتاريخ ذلك هو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان الى وقتنا هذا • أنبأنا ابراهيم بن مخلد أخبرنا اسماعيل الخطبي قال وهدم مسجد أبي جعفر المنصور وزيد في نواحيه وجـدد بناؤه وأحكم وكـان الابتداء به في سنة اثنتين وتسعين (ومئة) (٧) والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين (ومئة) وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه ، وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او أحدى وستين ومائتين ، ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصلـه بالجامع ، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا ، منها الى الصحن ثلاثة عشر،والى الاروقة اربعة ،وحول المنبر والمحراب والمصورة الى المسجد الجديد • وانبأنا ابراهيم بن مخلد قال انبأنا اسماعيل بن علي قال — وأخبر امير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور ، وان الناس يضطرهم الضيق الى أن يصلوا في المواضع التي لايجوز في مثلها الصلاة ، فأمر بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور ، فبنى مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او

(٧) ثبتنا كلمة مئة ووضعناها بين قوسين وهي لم ترد في طبعة السعادة لتاريخ بغداد للخطيب .

نحوه ، ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فأتسع به الناس • وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ثمانين ومائتين • وقال الشيخ ابو بكر وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت » (٨) •

صفة المسجد والمراحل التي مر بها

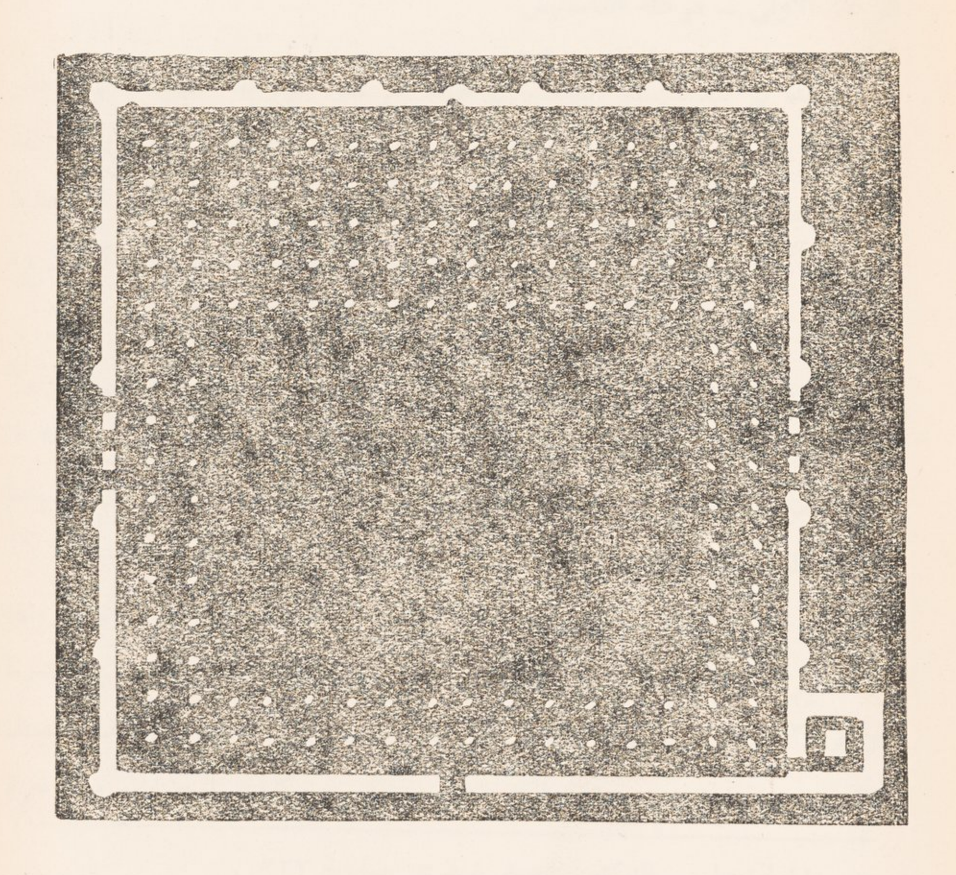
وسوف نصف المسجد في مختلف المراحل التي مرت عليه خلال العصور العباسية • وتسهيلا للبحث نقسم هذه المراحل الى ثلاث :

المرحلة الاولى ـ مرحلة التأسيس •

المرحلة الثانية ـ مرحلة التجديد •

المرحلة الثالثة ـ مرحلة الزيادة •

(٨) الخطيب ـ ١٠٧/١ و ١٠٨ •



(شكل ـ ١٨ رسم تخطيطي للمسجد على عهد المنصور ومنقول عن سارة وهرتسفيلد) .

الفصل الرابع

المرحلة الاولى ـ مرحلة التأسيس

وقد تم تنفيذ بناء المسجد في هذه المرحلة على يد الخليفة أبي جعفر المنصور ، في عام ١٤٥ هـ ـ ٧٦٦ م • ونستطيع ان نطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة التأسيس • لقد جعل المنصور المسجد الجامع ملاصقا لقصره المعروف بقصر باب الذهب ، وكان شكله على هيئة مربع متساوي الاضلاع، طول كل ضلع من اضلاعه مائتا ذراع او ما يعادل مائة متر تقريبا •

وهذا المسجد الجامع يحتوي على المصلى وفيه المحراب ، وعلى المؤخرة والمجنبتين والفناء ـ ومن الراجح انه كان يحتوي على ميضأة ـ ومأذنة •

ومن الواضح ان مصلى هذا المسجد او (بيت الصلاة) كان فسيحا وكبيرا طوله بقدر طول ضلع المسجد ، يشغل ثلث مساحة المسجد كله [١] ويحتوي على خمسة سواري او (اساكيب) [٢] وصف في كل سكوب منها ستة عشر عمودا من الخشب ، أي ان الاساكيب كانت تنقسم الى سبع عشرة بلاطة [٣] ، وكان بيت الصلاة يطل على جانب من الصحن وكانت تحيط بالصحن من جانبيه مجنبتان لكل منها رواقان ، وكانت المجنبتان والمؤخرة

---

(١) المدخل ـ الدكتور احمد شكري صفحة ٢٣٣ .

(٢) فتوح البلدان ـ الذي ذكره البلاذري فيه فى الصفحة ٣٤٢ و ٣٤٣ ان زيادا لما بنى مسجد البصرة جعل صفته المقدمة خمس سوارى .

(٣) هذا مستنتج من رواية الخطيب ١٠٨/١ التي يقول فيها وفتح بين القصر والجامع العتيق فى الجدار سبعة عشر طاقا منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة .

تطل على الجوانب الثلاثة الاخرى من الصحن ، كما كانت له مؤخرة تقع قبالة المصلى الذي فيه المحراب ، وتتألف أيضا من رواقين (انظر شكل ـ١٨) وقد ورد ذكر منارة المسجد في رواية الخطيب ، ولكن ليس في جميع المصادر العربية والاسلامية ما يشير الى شكلها او هيئتها او الموضع الذي كانت فيه، وان كنا نستنتج من الرواية ان المنارة كانت على مقربة من أساطين المصلى .

والمادة التي أستخدمت في بنائه في هذه المرحلة هي اللبن والطين وهي المادة التي بنيت بها أغلب اقسام المدينة المدورة بوجه عام ، أما اعمدته فمن الخشب وقد وصفها الخطيب بقوله بأن « كل اسطوانة كانت قطعتين معقبتين بالعقب » [٤] . ويرى هرتسفيلد أن الخطيب يقصد بقوله « قطعتين معقبتين بالعقب » أن القطعتين متصلتان أحداهما بالاخرى من طرفيهما . أي ان العمود الواحد او الاسطوانة كان يتألف من قطعتين أحداهما فوق الاخرى، ويضيف هرتسفيلد أنهنالك امثلة لمثل هذ الاسطوانات من الاعمدةالرخامية في سامراء ، فأن كل عمود منها يتكون من ثلاث قطع [٥] .

ويشير كريزويل أن لين بول Lane Pool فسر قول الخطيب«بالعقب» بأنه الاوتار النصلية التي تصنع منها أوتار الاقواس [٦] . اما قول الخطيب « والغري وضبات الحديد الا خمسا او ستا عند المنارة فأن في كل اسطوانة قطعا ملفقة مدورة من خشب الاساطين » وقد اوضح لسترانج عبارة الخطيب هذه بقوله « ويقوم سقفه على أساطين من الخشب كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغري وضبات الحديد ألا خمسا او ستا عند المنارة ، فأن

---

(٤) العقب ــ كما جاء في معجم متن اللغة ١٥٥/٤ . جمعها أعقاب من كل شيء آخره وخاتمته .

(٥) Archaologische Reise, Band II, p.135.

(٦) Early Muslim Architecture, Vol. II p.31.

كل اسطوانة منها مصنوعة من جذع شجرة واحدة ، ولكل اسطوانة تاج مدور مصنوع من قطعة خشبية واحدة موضوعة فوق أعلى الاسطوانة »[٧] ويقول هرتسفيلد « ان الفرق بين الاعمدة التي كانت عند المنارة والاعمدة الاخرى هي ان الاولى كانت تتكون من الخشب بينما يتكون كل عمود من الاعمدة الاخرى من قطعتين » وأن قول الخطيب « في كل اسطوانة قطعا ملفقة مدورة من خشب الاساطين » هو وصف الاعمدة جميعها • وانه يفهم من قوله :

« ملفقة ••• » أي يقصد به تاج العمود ، وان هذه التيجان كانت مكونة من عدة قطع متصلة بعضها ببعض كما يشاهد ذلك الآن في التيجان الخشبية الحديثة ببلاد ما بين النهرين وفارس [٨] •

القبـلة :

أما قول الخطيب « تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وان قبلة الرصافة أصوب منها » [٩] فيوضح ابن الاثير ذلك أن انحراف القبلة قد نشأ من بناء المسجد ملاصقا للقصر بعد أن تم بناء القصر اولا حيث « كان غير مستقيم على القبلة »[١٠] ويوضح لسترانج هذا الانحراف الذي كان سببه ان الجامع شيد بعد بناء القصر « ولكي يكون وضعه متناسبا مع

(٧) بغداد فى عهد الخلافة العباسية . لسترانج صفحة ٤٠.

(٨) Archaologische Reise, Band II, p.135.

(٩) انظر نص رواية الخطيب التي اوردناها فى الصفحات السابقة . وانظر احسن التقاسيم للمقدسي صفحة ١٢١ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٩٧/١٠

(١٠) الكامل — ابن الاثير ٣٩/٥ وانظر المناقب لابن الجوزي صفحة ٢٠ و ٢١ والبداية والنهاية لابن كثير ٩٧/١٠ .

وضع القصر اصبح محرابه منحرفا عن القبلة التي هي في الواقع أقرب الى اتجاه باب البصرة ، فالشخص المستقبل مكة يقع موضع الجامع الكبير على الجهة اليسرى أو الجنوبية الشرقية من باب قصر الذهب ، بينما الواجهات الرئيسية لهذين البنائين القائمين على أستقامة واحدة ، مقابلة لباب خراسان، فأذا علمنا أن هذا الباب يقع في الشمال الشرقي من السور فأن الجدارالخلفي للجامع الذي يتوسطه المحراب يتجه نحو الجنوب الغربي ، بينما الاتجاه الصحيح نحومكة من بغداد يجب أن يكون نحوجنوب الجنوب الغربي»[١١] .

ومن الجدير بالذكر أن كلا من هرتسفيلد وكريزويل قد وضعا مخططا لمسجد المنصور في هذه المرحلة . (انظر الشكلين — ١٨ و ٢١) .

---

(١١) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٣٩ .

الفصل الخامس

المرحلة الثانية ـ مرحلة التجديد .

تبدأ هذه المرحلة في عهد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٢ ـ ١٩٣ هجرية ، وكما يظهر بوضوح من رواية الخطيب ان هارون الرشيد قد هدم المسجد الاول الذي شيد في عهد المنصور ، وأعاد بناءه بالآجر والجص ، ومن المعروف أن هذا التجديد لمسجد المنصور قد تم على نفس المخطط السابق له ، وبنفس الابعاد ، أي انه بقي مربع الشكل ، طول كل ضلع من أضلاعه مائتا ذراع ، وقد سجل الرشيد تأريخ هذا التجديد في لوحة كتابية تضمنت اسم البناء وتأريخ البناء وكانت هذه الكتابة لاتزال باقية في حدود منتصف القرن الخامس الهجري ، حيث ألف الخطيب كتابه تاريخ بغداد ، الذي يشير فيه الى أن المسجد الجامع لايزال بالمدينة على حاله «الى وقت هارون الرشيد فأمر هارون بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتأريخ ذلك » [1] .

ويشير هرتسفيلد الى ان الجدران المحيطة بالمسجد فقط هي التي أعيد تجديدها بالطوب والمونة وأن الاعمدة الخشبية بقيت أو استعيض عنها بغيرها من مثيلاتها كما يتضح ذلك من ذكر النجار على مدخل المسجد [2] .

والظاهر أن الخليفة هارون الرشيد صنع منبرا للمسجد غير المنبر القديم حيث يروى الخطيب رواية عن تجديد مسجد براثا الذي « مكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ،فأمر الامير بجكم باعادة بنائه وتوسعته وأحكامه

---

(١) الخطيب ـ ١/١٠٨

(٢) Archaologische Reise, Band II, p.136.

فبنى بالجص والآجر وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه ببعض ما يليه مما أبتيع له من أملاك الناس ، وكتب في صدره اسم الراضي بالله ، وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به ، ثم امر المتقي لله بعد بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور معطلا مخبوا في خزانة المسجد وعليه اسم هارون الرشيد فنصب في قبلة المسجد » (٣) .

(٣) الخطيب — ١/١١٠ .

الفصل السادس

المرحلة الثالثة ـ مرحلة الزيادة

تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل هـذا المسجد بعد عودة العاصمة من سامراء الى بغداد سنة ٢٧٩ هجرية في عهد الخليفة المعتمد [١] وطبيعي ان الخليفة حينما أنتقل الى بغداد انتقلت معه جميع الدواوين الرسمية ، بما فيها من موظفين وكتبة وتابعين ثم الحاشية والجند ، ولا يخفي ان العدد قـد تضاعف كثيرا عما كان عليه في عهد المنصور والخلفاء الذين اعقبوه بالاضافة الى سكان مدينة بغداد الغربية والشرقية • وطبيعي ان المسجد الذي حافظ على مساحته السابقة في عهد الرشيد لم يكن ليستوعب مثل هذا العددالكبير من المصلين فضاق بهم ، هذا اذا علمنا ان المصلين كانوا لايحسون بمثل هذا الضيق في مسجد سامراء الكبير قبل انتقال العاصمة الى بغداد ، حيث ان مساحة هذا المسجد الكبير كانت اربعة اضعاف مساحة مسجد المنصور تقريبا وأبعاد مسجد سامراء كانت ٢٤٠ مترا طولا و ١٦٠ مترا عرضا [٣] • مجموع مساحته بالامتار المربعة يكون ما يقارب (٣٨٫٤٠٠) متر مربع بينما مساحة مسجد المنصور تساوي حوالي (عشرة الآف) متر مربع •

وينبغي ان نذكر هنا ان البحوث التي قدمها كل من هرتسفيلد وكريزويل

---

(١) المعتمد ـ ولد ـ كما جاء فى السيوطي صفحة ٣٦٣ ـ فى سنة ٢٢٩هـ وبويع للخلافة سنة ٢٥٩ هـ كما جاء فى الطبري ومات سنة ٢٧٩ هـ وكان قد جاء الى بغداد قبل ان يأتيه الاجل بحوالي ستة اشهر .

(٢) سامراء ـ مديرية الآثار العامة صفحة ٤٥ .



(شكل — ١٩)

عن المدينة المدورة ، تحظى عند الباحثين بالتقدير الكبير والعناية البالغة ، ولا ريب أنهما قد أضافا بعض المعلومات لما لدينـا من معلومات سابقة عن مدينة أبي جعفر المنصور أتاح لهما ذلك ، الاطـلاع الواسع على الفنون والعمارة الاسلامية ، وعماهما في العمل والتنقيب في العراق وغيره من اجزاء الوطن العربي والاسلامي • ولكن هذا لايمنع من أن نشير الى ان الباحث في موضوع المدينة المدورة يلاحظ أضطرابهما في أمر مسجد المنصور • أما بالنسبة الى هرتسفيلد فأن اضطرابه يظهر واضحا في مشروعه لتخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر ، فهو في تصميمه له ، يضعه في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة ، وهذا أمر مخالف للنص الذي أورده الخطيب (انظر الشكل ــ ١٩) •

فقد تحدث الخطيب ، كما سبق وأشرنا اليه في اثناء كلامه عن تجديد المسجد في عهد هارون الرشيد فذكر بان هارون الرشيد كتب اسمه واسم النجار والبناء ، وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان، ومن هذا الكـلام الواضح نستطيع ان نستنتج في دقة تامة ، أن مسجد المنصور يجب ان يكون جدار قبلته ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي لقصر المنصور ، وجدار مؤخرته المقابل للمحراب يكون مواجها لباب خراسان •

واذا ما وضع المسجد الجامع في هذا الموضع الصحيح ، فان جداره الآخر المقابل لجدار القبلة والذي كان فيه من دون شك مدخل يفضي الى داخل المسجد والذي ثبت الرشيد على صفحة من واجهته اللوح الذي ذكر فيه أمر تجديده للمسجد ، يكون مقابلا لباب خراسان التي أشار اليهـا الخطيب •

وقد اورد الخطيب روايتين ، تؤيدان ما ذهبنا اليه في تحديد موضع

مسجد المنصور ، فقد روى الخطيب « ان القاضي ابا تمام[٣] كان يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجله في باب خراسان، والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود والنهوض والقعود »[٤] .

أما الرواية الثانية فقد روى الخطيب :ـ

« كنت امضي مع والدي الى المسجد الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة ، فربما وصلنا الى باب خراسان في دجلة وقد ضاق الوقت وقامت الصلاة وامتدت الصفوف الى الشاطيء فنصد ونفرش الى السميرية[٥] ونصلي»[٦] .

اما اذا ما طبقنا روايات الخطيب هذه على تخطيط مسجد المنصور الذي وضعه هرتسفيلد فان الواجهة التي ذكر فيها أمر التجديد ، سوف لا تكون حتما مقابل باب خراسان ، كما ان باب دار ابي تمام الراكبة لدجلة بباب خراسان سوف لا يصبح موضعها على مقربة من باب خراسان ايضا ، وكذلك الحال في الرواية الاخيرة التي تشير ان صفوف المصلين كانت تصل في ايام الجمع الى شاطيء دجلة ، مما يضطر بعضهم الى الصلاة في السميريات ، فان هذه الصفوف حسب رواية هرتسفيلد لا يكون امتدادها نحو باب خراسان وشاطيء نهر دجلة .

هذا وان لسترانج بدوره قد اضطرب في تعيين مسجد المنصور بالنسبة للقصر والمدينة ، فهو قد وضع المسجد ـ كما جاء في خارطته[٧] ـ في الجهة

---

(٣) وهو القاضي ابو تمام الزينبي .

(٤) الخطيب ـ ١/٤٨

(٥) السميرية ـ كما جاء فى مناقب بغداد لابن الجوزي صفحة ١٧ ـ ضرب من السفن .

(٦) الخطيب ـ ١/٤٩ .

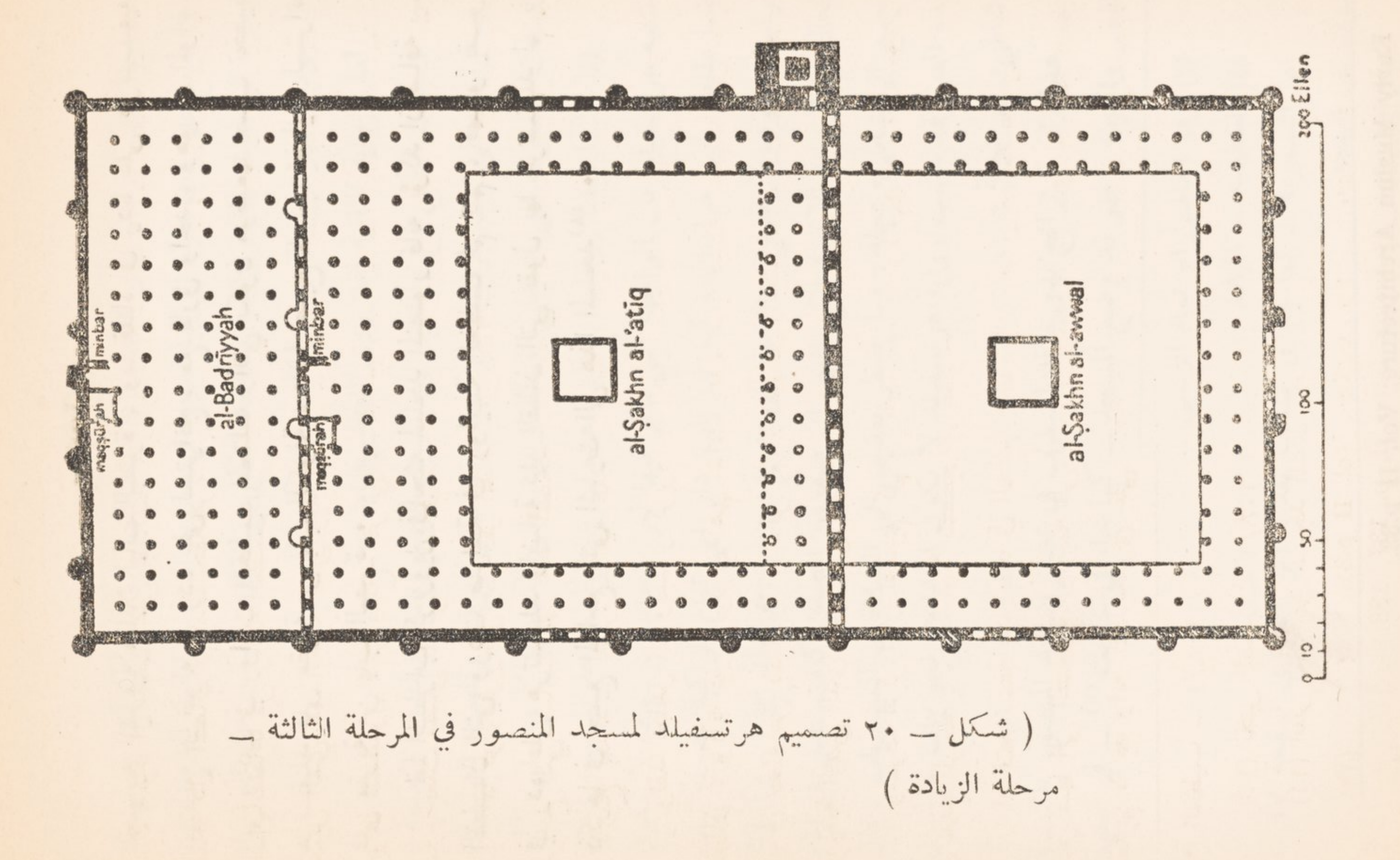
(٧) انظر الخارطة رقم ـ ٢ مقابل صفحة ٢٣ من كتاب لسترانج المترجم .

الجنوبية الشرقية مقابلا لباب البصرة ، وما قلناه في ردنا على هرتسفيلد نستطيع ان نقوله في ردنا على لسترانج ، مع فارق واحد ، وهو ان المواضع التي وردت في روايات الخطيب المختلفة والتي يكون موضعها حسب تخطيط هرتسفيلد على مقربة من باب الكوفة ، فانها تصبح حسب تخطيط لسترانج على مقربة من باب البصرة .

اما اضطراب كريزويل في بحثه لمسجد المنصور فانه يؤكد ان اضافة بيت القطان التي وردت صراحة في رواية الخطيب لم تتم ، فهو يقول في رده على هرتسفيلد واضافة دار القطان التي يقول بها هرتسفيلد لم يرد ذكرها في جميع المراجع التي اشارت الى هذا المسجد[٨] .

---

(٨) Early Muslim Architecture, Vol. II p.33.



(شكل ــ ٢٠ تصميم هرتسفيلد لمسجد المنصور في المرحلة الثالثة ــ
مرحلة الزيادة)

ونود ان نعقب على ما كتبه كريزويل في امر دار القطان هذه — ان اضافة دار القطان لم يستنتجها هرتسفيلد استنتاجا ، او ادلى بها من عندياته وانما استقاها من رواية الخطيب التي يقول فيها « وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او احدى وستين ومائتين »(٩) .

اما قول كريزويل بان أمر اضافة دار القطان لم يرد ذكرها في جميع المراجع التي اشارت الى هذا المسجد فأمر خاطيء اذ ان الخطيب في كتابه « تاريخ بغداد » يذكر صراحة هذه الاضافة(١٠) .

ولقد تجاهل البروفسور كريزويل النص الذي يشير الى زيادة دار القطان ، وكأنه غير وارد في أهم مؤلف بحث عن المدينة المدورة ، في حين انه في بحثه عن بغداد(١١) ، ذكر رواية الخطيب بأجمعها ، وكان ضمن هذه الرواية النص الذي يشير الى اضافة دار القطان .

وسوف اذكر الآن تصميم كل من هرتسفيلد وكريزويل لمسجد المنصور في هذه المرحلة ، وابدأ اولا بتصميم هرتسفيلد(١٢) .

ان فتح سبعة عشر طاقا في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين ثلاثة عشر منها الى الصحن ، واربعة الى الاروقة الجانبية يدل على ان المسجد القديم لا بد وانه كان يحتوي على سبعة عشر رواقا من اليسار الى اليمين،

(٩) الخطيب — ١/١٠٨ .

(١٠) نفس المصدر — ١/١٠٨ .

(١١) انظر بحثه عن مسجد المنصور في كتابه .

(١٢) Early Muslim Architecture, Vol. II p.31.
Archaologische Reise, Band II, p. 137, 138.

وان الاروقة الجانبية كانت اربعة في كل جانب رواقان وهذا يساعدنا على امكان تصميم هذا البناء وتقسيم الـ (٢٠٠) ذراع وهي طول ضلع المسجد كما يأتي :—

٧ر٥×٢=١٥ ذراعا جدران وابراج مستديرة

١٧ ×٩=١٥٣ ذراعا وهي المسافة بين الأعمدة البالغ عددها ١٧ كل منها تسعة أذرع .

١٦ ×٢=٣٢ ذراعا وهي مقدار المسافة التي تشغلها الاعمدة البالغ عددها ١٦ عمودا وكل منها ذراعان .

---

٢٠٠ ذراع المجموع

ويتساءل كريزويل عن عدد أروقة الايوان الكبير في المسجد ويذكر انه مجهول ، ويجيب بانه نظرا لان الايوانين الجانبيين يحتوي كل منهما على رواقين فلا يمكن ان تقل اروقة الايوان الكبير عن اربعة[١٣] ويرى هرتسفيلد انها لا بد ان تكون خمسة كمسجد الكوفة الذي كان هو الاخر مربعا ، ولان النسبة ١٧/٥ توجد ايضا بمسجد احمد بن طولون .

ويقول هرتسفيلد اما عن ازالة الاروقة الشمالية الغربية فأمر لا يزال قيد لبحث ، فالخطيب يروى في تاريخه ان ثلاثة عشر طاقا فتحت الى صحن المسجد وهذا يفهم منه ان الاروقة قد ازيلت الا ان وجود السقيفة التي يشير اليها المقدسي بين صحني مسجد فسا[١٤] ، يجعلنا نرفض هذا الرأي

(١٣) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 32.

(١٤) فسا — وهي — كما قال ياقوت في معجمه ٨٩١/٣ — عنها انها كلمة عجمية ، مدينة بفارس ، انزه مدينة بها فيما قيل بينها وبين شيراز اربع مراحل . وأضاف صاحب مراصد الاطلاع ١٠٣٥/٣ عنها بأنها مدينة قديمة كبيرة لها

وخاصة لان المقدسي قد ذكر الشبه بين مسجد فسا ومسجد المنصور بقوله « الجامع فيه وهو من آجر اكبر من جامع شيراز وله صحنان على عمل جامع مدينة السلام »(١٥) • ثم يتم المقدسي روايته عن جامع فسا وعن صحنيه فيقول « بينهما سقيفة » •

وعلى ذلك فقد رسم هرتسفيلد هذا المسجد وما ادخل عليه من التعديلات كما هو واضح في الشكل ـ ٢٠ وتتلخص نظريته ، في ان المسجد بني ملاصقا للجانب الجنوبي الغربي (أي الشمالي الشرقي بحسب رأينا) من سور القصر وان الجزء الذي اضيف اليه وهو الصحن الاول قد اضيف الى صدر المسجد (وهو يريد مصلى المسجد مما يلي المحراب أي في الجنوب الغربي من المسجد) وان سبعة عشر طاقا فتحت في الحائط لايصال المسجدين احدهما بالآخر وان دار القطان اضيفت في الوقت نفسه الى المسجد من ناحية القبلة ، وان سبعة عشر طاقا اخرى فتحت في حائط القبلة لايصال دار القطان بالمسجد والى هذه الزيادة الاخيرة نقل المحراب والمقصورة والمنبر •

ويعلق كريزويل على تصميم هرتسفيلد مؤاخذا عليه ادخال دار القطان في الزيادة بقوله ، ان دار القطان التي كانت من الاماكن التي لا يجوز في مثلها الصلاة والتي وسع المسجد وزيد فيه تجنبا للصلاة فيها قد اضافها هرتسفيلد في رسمه الى المسجد • ومن الواضح ان ذلك استلزم فتح صفين من الطاقات في جداري المسجد العتيق كل منها سبعة عشر طاقا يصل اولهما بينه وبين الصحن الاول وثانيهما بينه وبين دار القطان ، مع ان الخطيب قد

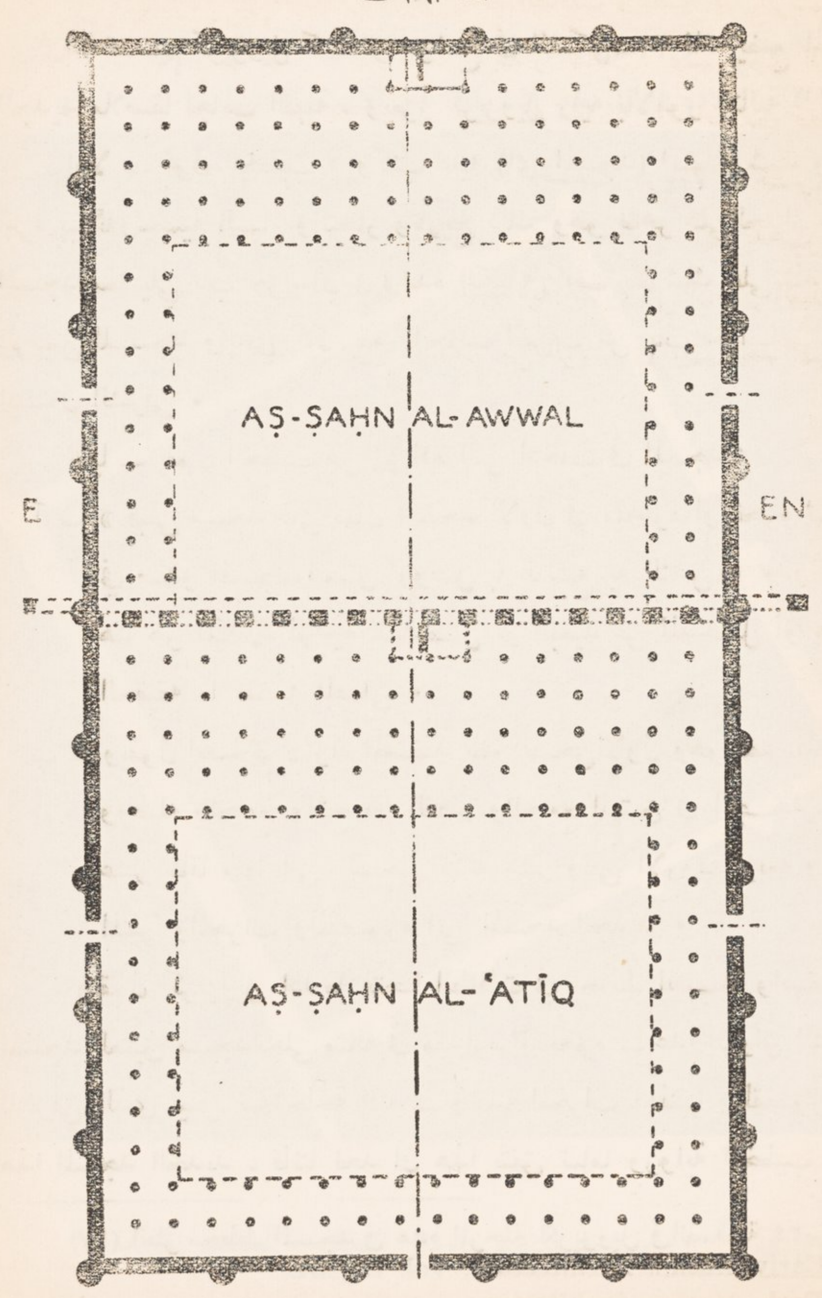
حصن وخندق وربض . وقال عنها المقدسي في أحسن التقاسيم صفحة ٤٣١ـ ولها مدينة كبيرة فيها سوق كله من خشب والجامع فيه وهو من آجر وله صحنان على عمل جامع مدينة السلام بينهما سقيفة .

(١٥) احسن التقاسيم ـ المقدسي صفحة ٤٣١ .

ذكر ان الذي فتح هو صف واحد من هذه الطاقات ويتضح من الرسم ايضا ان المحراب والمنبر والمقصورة قد نقلت الى دار القطان ، بينما يروى الخطيب انها نقلت الى المسجد الجديد . فاذا كانت دار القطان قد اضيفت فعلا الى المسجد (وابيحت الصلاة فيها) فلماذا إذاً اضيفت الزيادة الاخرى الى المسجد في الوقت نفسه ؟ ويؤكد كريزويل —وهو خاطيء فيما يذهب اليه— انه لا يجد مطلقا في جميع المراجع التي لديه أية اشارة الى ان دار القطان قد اضيفت فعلا الى المسجد بل ان الغرض من الزيادة في المسجد انما كان للاستغناء عنها(١٦) .

---

(١٦) Early Muslim Architecture, Vol. II p.33.



(شكل — ٢١ تصميم كريزويل لمسجد المنصور في المرحلة الثالثة — مرحلة الزيادة)

اما تصميم كريزويل كما هو موضح في الشكل-٢١ فانه يضع المسجد الجديد ملاصقا لجانب القبلة ، ويعزز كريزويل رأيه بالامور التالية[١٧] :

اولا — قول الخطيب « وكتب عليه (أي المسجد) اسم الرشيد وذكره أمره ببنائه وتسمية البنّاء والنجار وتاريخ ذلك وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان » وهذه الكتابة كانت بلا شك على المدخل الرئيس للمسجد والذي كان يقع بالجانب القريب من باب خراسان أي في الشمال الشرقي .

ثانيا — يقول الخطيب عن الزيادة التي ادخلت في المسجد :

آ — « فبني مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس » . والصدر هنا هو المكان المواجه للمدخل أو البعيد عن المدخل أو هو في الحقيقة ما نسميه المصلى .

ب — ويقول ايضا ثم « زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد .

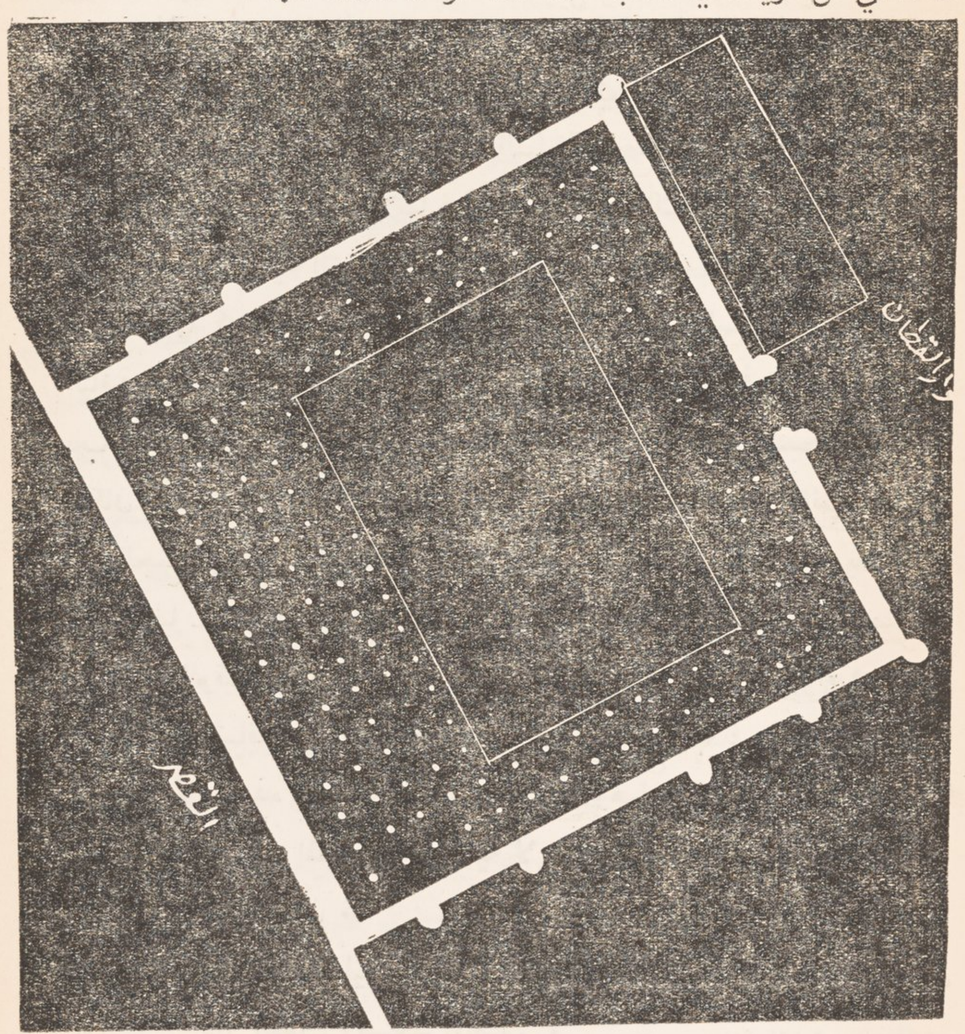
ويقول كريزويل اذا ما فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجدا على مثاله في مقداره او نحوه — عدا الرواق الشمالي الشرقي الذي ليس ثمة حاجة اليه — ونقلنا المحراب والمنبر والمقصورة الى هذا المسجد الجديد ، فاننا نجد ان هذا يتفق تماما ورواية الخطيب ، ولا

---

(١٧) انظر مخطط المسجد فى هذه المرحلة لكريزويل فى الصفحة ٣٤ من كتابه Early Muslim Architecture, Vol. II p.34.

وتصميمه ورأيه فى الصفحتين ٣٣ و ٣٤ من كتابه الذي اشرنا اليه .

يكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان الى المسجد في حين ان الغرض الاساسي من الزيادة في المسجد انما كان هو الاستغناء عنها .



(شكل — ٢٢ مسجد المنصور ودار القطان . تصميم المؤلف)

أما التصميم الذي نراه صحيحا وملائما للروايات التاريخية فاننا نحدده بالنقاط التالية :ـ

اولا ـ نرى ان المسجد قد بني ملاصقا للجدار الشمالي الشرقي من قصر باب الذهب ، وقد اوضحنا هذا الرأي في الرد على مخطط هرتسفيلد لمسجد المنصور كما مر في الصفحات السابقة ، واذا ما وضع المسجد في هذا المكان فانه يصبح عندئذ ملائما لروايات الخطيب الثلاث التي ذكر في الاولى كتابة هارون الرشيد التي تضمنت ذكر التجديد واسم النجار والبنّاء وتاريخ ذلك ، بانها كانت على جدار المسجد مما يلي باب خراسان[١٨] . والرواية الثانية التي مفادها ان القاضي ابا تمام الزينبي كان يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان[١٩] . والرواية الثالثة التي تشير ان صفوف المصلين كانت تصل في ايام الجمع الى شاطيء دجلة مما يضطر بعضهم الى الصلاة في السميريات[٢٠] .

ثانيا ـ تؤيد ذكر الخطيب باضافة دار القطان الى مسجد المنصور ، ونرى في الوقت نفسه تجاهل كريزويل امر هذه الاضافة . اجراء في منتهى الغرابة ، بالاضافة الى انه تجاهل لنص تاريخي موثوق به ، واعتقد ان تجاهل كريزويل لامر هذه الاضافة قد يعود لسببين وهما :ـ

الاول ـ ان المصادر التاريخية لا تشير الى الموضع الذي كانت فيه دار القطان .

الثاني ـ ان الخطيب لا يذكر فتح أي طاقات أو تهديم جدران بين دار القطان ومسجد المنصور .

---

(١٨) الخطيب ـ ١٠٨/١ .

(١٩) نفس المصدر ـ ٤٨/١ .

(٢٠) نفس المصدر ـ ٤٩/١ .

ثالثا ــ تمت الزيادة الاخرى في مسجد المنصور على عهد المعتضد[٢١]، حيث اقتطع من قصر باب الذهب مساحة مقاربة لمساحة مسجد المنصور أو نحوها ، وضمت الى المسجد وسميت بالصحن الاول ، بينما سمي صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق ، وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الاول سبعة عشر طاقا ثلاثة عشر منها الى الصحن واربعة منها الى الاروقة على اساس طاقين لكل رواق ، ثم حول المنبر والمحراب والمقصورة الى قبلة المسجد الجديد المضاف من قصر الذهب .

هذا ونحب ان نشير الى الزيادة التي تمت في عهد المعتضد بالله والتي اشار اليها الخطيب بقوله « فأمر بالزيادة فيه من قصر امير المؤمنين المنصور، فبني مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره أو نحوه »[٢٢] بأن هذا التوسيع لم يبلغ الى وسط قصر باب الذهب ، أي الى موضع القبة الخضراء ، بدليل ان القبة ظلت بعد هذا التاريخ حتى سقط رأسها ــ كما مر بنا سابقا ــ في سنة ٣٢٩ هـ ووقعت جميعها في سنة ٦٥٣ هـ .

وعلى هذا فاننا نستنتج ان الزيادة التي تمت في عهد المعتضد لم تكن مساوية لضلع المسجد الاول أي (٢٠٠ ذراع) أو ما يعادل (١٠٠ مترا) اذ لو تمت الزيادة على هذا المقدار لوصل التوسع حتما الى مركز قصر باب الذهب ، أي الى المجلس الذي فوقه القبة الخضراء ، على اعتبار ان طول ضلع القصر يساوي اربعمائة ذراع ، وطول نصف ضلعه يساوي (٢٠٠

(٢١) المعتضد ــ وهو احمد ابو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد كما جاء فى السيوطي صفحة ٣٦٨ ، فى عام ٢٤٢ هـ . وبويع فى سنة ٢٧٩ هـ بعد ان ضعف امر المعتمد وبقي فى الخلافة حتى سنة ٢٨٩ حيث توفى فيها .

(٢٢) الخطيب ــ ١٠٨/١ .

ذراع) . وعلى هذا الاساس فان الزيادة التي اضيفت في عهد المعتضد لم تكن على مثال المسجد الاول وانما مقاربة له ، ومن الجدير بالذكر ان نشير الى ان الخطيب لم يجزم في مقدار الزيادة وانما روى بان الزيادة المضافة من قصر امير المؤمنين المنصور كانت « على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه »[٢٣] .

وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة (٢٨٠ هـ) أمر هذه الزيادة حيث قال « وفي هذه السنة زاد المعتضد في جامع المنصور دار المنصور وفتح بينهما سبعة عشر طاقا ، وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد ، وتولى ذلك يوسف بن يعقوب القاضي فبلغت النفقةعشرين الف دينار »[٢٤] .

ويوضح الخطيب سبب هذه الزيادة بانه قد « اخبر امير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام فيمدينة المنصور وان الناس يضطرهم الضيق الى ان يصلوا في المواضع التي لايجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر امير المؤمنين المنصور ... وزاد بدر مولى المعتضد في قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت »[٢٥] .

وحتى يتم التصميم الذي نضعه نتساءل ، ترى اين يكون موضع دار القطان ؟ والجواب عليه يقتضينا ان نشير الى ان المصادر العربية المتيسرة لا تذكر المكان الذي كانت فيه هذه الدار ، وانما تكتفي بالاشارة الى ضمه الى مسجد المنصور[٢٦] وقد افادت هذه الروايات بأن دار القطان كانت ديوانا للمنصور[٢٧] . والذي يستشف من رواية الخطيب التي تفيد باضافة دار

---

(٢٣) نفس المصدر — ١/١٠٨ .

(٢٤) المنتظم — ابن الجوزي ١٤٣/٥ .

(٢٥) الخطيب — ١/١٠٨ .

(٢٦) الخطيب — ١/١٠٨ والمنتظم لابن الجوزي ١٤٣/٥ .

(٢٧) الخطيب — ١/١٠٨ .

القطان للمسجد انه كان على مقربة منه ان لم يكن لصيقا به ، ونظرة ممعنة الى تخطيط القصر والمسجد الملصق به يمكننا ان نحدد موضع هذه الدار التي كانت ديوانا للمنصور ، امام المسجد ، أي في واجهة المسجد المقابلة لباب خراسان ، ولا يستبعد ان المنصور كان يجلس به في الليالي مع حاشيته مقابلا لباب خراسان ، وعلى هذا فالتصميم الذي نراه يجب ان يكون كما موضح في الشكل ـ ٣٢ .

مكث مسجد المنصور في بغداد الغربية مكانا يؤدي فيه المسلمون الصلاة من سنة ١٤٥ هـ حتى سنة ٧٢٧ هـ ـ حيث زار ابن بطوطه بغداد ـ أي ما يقارب ستة قرون او اقل بقليل ، وكان يعتبر من الجوامع العظيمةالتي حفلت ببعض الحوادث التاريخية ، فمن على منبره دعا البساسيري صاحب بغداد في خطبة الجمعة للخليفة الفاطمي بمصر[٢٨] .

واشار الى هذا المسجد الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في سنة ٥٦٦ هـ ـ ١١٦٠ م حيث كان الخليفة يغادر قصره مرة واحدة في السنة حين كان يذهب في حفل رسمي الى المسجد الجامع « فيتوجه الموكب الى المسجد الجامع للمسلمين في باب البصرة »[٢٩] .

وقد جاء وصف مسجد المنصور في رحلة ابن جبير قوله « اما الجانب الغربي فقد عمه الخراب ... ثم الكرخ وهي مدينة مسورة ، ثم محلة باب البصرة وهي ايضا مدينة وبها جامع المنصور رحمه الله وهو جامع كبير عتيق

---

(٢٨) المنتظم ـ ابن الجوزي حوادث سنة ٤٥٠ هـ ١٩١/٨ و ١٩٢ .

(٢٩) رحلة بنيامين التطلي صفحة ١٣٣ .

البنيان »[٣٠] .

وتأثر مسجد المنصور بحوادث الغرق الكثيرة ، ففي الفيضان الذي حدث في سنة ٦٤٦ هـ يقول صاحب الحوادث الجامعة « واما الجانب الغربي فغرق بأسره ... ودخل الماء جامع المنصور »[٣١] .

وجاء ايضا ذكر تهديمه في كتاب الحوادث الجامعة بحوادث سنة ٦٥٣هـ « وفي هذه السنة اتفقت امور عجيبة وحوادث غريبة ... منها الغرق العام الذي أخرب بغداد ولا سيما دار الخلافة ، والدور الشطانية في الجانبين ، وتهدمت الجوامع والمساجد كجامع المنصور . وهو اول جامع وضع ببغداد ... والقبة الخضراء »[٣٢] وجاء وصفه في حديث ابن بطوطه عن الجانب الغربي ببغداد حينما زار بغداد عام ٧٢٧ هجرية قوله « وهو الآن خراب اكثره وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة ... وفي ثمان منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة ابي جعفر رحمه الله »[٣٣] .

ويشير لسترانج الى ان مسجد المنصور يجوز انه زال من الوجود بعد زيارة ابن بطوطه لبغداد بحوالي نصف قرن ، ويستدل على ذلك بانه حينما استولى تيمور لنك على بغداد في عام ٧٩٥ هـ — ١٣٩٣ م بعد استيلائه عليها بسنة امر بتعمير خرابها ، ولعله لم يبق لجامع المنصور القديم أثر في هذا الوقت[٣٤] غير ان كريزويل يشير الى ان ذكر مسجد المنصور قد اورده

(٣٠) رحلة ابن جبير صفحة ٢٢٥ و ٢٢٦ .

(٣١) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٣٣ .

(٣٢) الحوادث الجامعة — ابن الفوطي صفحة ٣٠٣ .

(٣٣) رحلة ابن بطوطه — ١٤١/١ .

(٣٤) بغداد فى عهد الخلافة العباسية — لسترانج صفحة ٤٢ .

بدرو تايكسييرا Pedro Teixeira في عام ١٦٠٤ م بقوله « ولا نزال نرى في بغداد اطلال المباني الرائعة التي خلفتها عصور الحضارة الفارسية كالمسجد الذي يطلقون عليه اسم مسجد الخليفة والاثار الاخرى في الجانب الاخر من النهر والمدرسة التي كانت مستشفى » ويظهر ان مسجد الخليفة هذا هو مسجد المنصور الذي نحن بصدده وخاصة لقوله عن الاثار الاخرى انها في — الجانب الاخر من النهر كالمدرسة التي كانت مستشفى — ونظرا لأننا نعلم ان المدرسة المستنصرية كان بها مستشفى وكانت تقع على الشاطيء الشرقي فيستنتج من ذلك ان المسجد كان يقع في الجانب الغربي من النهر . وهذا هو بالضبط موقع مدينة بغداد المدورة التي بناها المنصور وبنى فيها مسجده العتيق ، ويظهر ان هذا المسجد قد خرب وانمحت آثاره نهائيا بعد زيارة تايكسييرا بغداد بعشرين عاما لان مرتضى نظمي زاده يقول — وبعد ان أستولى الفرس على بغداد سنة١٠٣٣ هـ ١٦٢٣ / ١٦٢٤ م عملت يدالتخريب والتدمير فتهدمت المدارس والمساجد وغيرها من آثار الخلفاء العباسيين التي حفلت بذكراهم [(٣٥)] . وهكذا فاننا لانرى أي ذكر لمسجد المنصور فيما كتبه نيبور [(٣٦)] ولا من جاء بعده كتافرنيه الرحالة الفرنسي .

---

(٣٥) Early Muslim Architecture, Vol. II, p. 35.

(٣٦) الرحالة كارستن نيبور Carsten Niebuhr وهو كما جاء في سومر ٢ (١٩٥٣) للدكتور محمود الامين — عالم دانمركي مختص بعلم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية المعاصرة . وقد كان ملك الدانمارك فردريك الخامس قد اوفده سنة ١٧٦١ م على رأس بعثة علمية الى بلاد الشرق الاوسط لدراسة احوالها الاجتماعية واوضاعها الجغرافية واللغات الشرقية المعاصرة ، وقد شملت رحلته البلاد العربية فبدأ من مصر والحجاز واليمن وحضرموت وعمان حتى وصل الى ميناء بومباي . ومن ثم قفل راجعا الى مسقط رأسه

الفصل السابع

محراب المسجد

وشيء آخر يتعلق بمسجد المنصور ، ينبغي لنا ان نتطرق اليه ، وذلك لما له من صلة كبير ووثيقة بهذا المسجد ، وهو محراب جامع الخاصكي[١] .

كوبنهاكن التي بدأ منها رحلته الى اسطنبول عام ١٧٦١ ومنها الى الاسكندرية ثم زار فى طريق عودته بلاد فارس وعرج على البصرة حيث بدأ منها رحلته الدراسية والاستكشافية فى العراق فى اواخر آب سنة ١٧٦٥ ومكث فيها حتى غاية شهر تشرين الاول من السنة نفسها . وفى شهر تشرين الثاني واصل رحلته الدراسية الى النجف وكربلاء والحلة فبغداد حيث امضى فى جميعها اربعة اشهر وفى اوائل اذار غادر بغداد قاصدا الموصل عن طريق كركوك — اربيل وفى اوائل نيسان سنة ١٧٦٦ غادر نيبور مدينة الموصل بعد ان مكث فيها عدة اسابيع الى ماردين وديار بكر ثم قفل راجعا الى بلاده عن طريق اسطنبول — بولندة . وضع نيبور وصف رحلته العلمية فى مجلدين كبيرين ، المجلد الاول تناول فيه مصر واليمن بصورة مفصلة بحوالي ٥٠٤ صفحات . والمجلد الثاني الذي تناول فيه بلاد فارس والعراق بصورة مفصلة بحوالي ٤٧٩ صفحات .

(١) هذا المحراب من التحف الفنية فى متحف القصر العباسي فى بغداد فى الغرفة رقم — ٦ — ويراجع عن جامع الخاصكي كتاب كلشن خلفا مخطوط الفه بالتركية مرتضى نظمي زاده المتوفى سنة ١١٣٣ هـ — ١٧٢٠ م وهو يبحث فى تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م وطبع فى الاستانة سنة ١١٤٣ هـ — ١٧٣٠ م فى جملة مطبوعات ابراهيم متفرقة (كما ورد فى تاريخ العزاوي ١٢٨/٥) .

ولقد آثار محراب هذا الجامع بعض المناقشات والمساجلات العلمية بين الباحثين والمتخصصين بالآثار وتاريخ الفنون الاسلامية ، ولعل السبب في هذا يعود ، الى ان المصادر التي أشارت الى جامع الخاصكي أهملت أمر محرابه فلم تذكر صفته او تاريخ صنعه او المكان الذي نقل منه اليه . وقد ذكرته مس جرترود بل فوصفته بقولها « وفي جامع الخاصكي محراب غاية في الجمال مصنوع من قطعة واحدة من الحجر يرى فيوله — وهو مهندس فرنسي اختص بالريازه الاسلامية — انه مأخوذ من أحدى الكنائس » (٢) .

ويعتبر البحثان اللذان كتبهما كل من هرتسفيلد وكريزويل من أحسن البحوث التي تناولت هذا المحراب ، واول من لفت النظر الى علاقة هـذا المحراب بمسجد المنصور في بغداد الغربية ، وهو هرتسفيلد في مؤلفه « بعثة أثرية » الذي سبق وان أشرنا اليه سابقا ، ويظن هرتسفيلد انه من المحتمل ان يكون هذا المحراب هو محراب مسجد المنصور بالمدينة المدورة والسبب الذي حدا به الى هذا الاعتقاد هو انه يتكون من قطعة واحدة من الرخام الابيض المصفر ، ومثل هذا الرخام غير موجود في الموصل وهو من النوع المتوفر في حلب او في شمال الشام (٣) . ونستدل من دراسة زخارفه ، كما سنبين ذلك بعد قليل ، ان أسلوب هذه الزخارف يشبه الى حد كبير أسلوب الزخارف التي ظهرت في الطراز الاموي وعلى وجه الخصوص تلك التي عرفناها في قصر المشتى . ثم اننا لانستطيع ان نعتبر زخارف محراب جامع الخاصكي كما بين هرتسفيلد نموذجا للفن العراقي ، اذ انها سابقة للفترة التي أزدهر فيها الطراز العباسي الذي ظهر بصورة متكاملة ،كفن له مميزاته وخصائصه ، في سامراء ، ونحن لانعلم بالتأكيد ان كان المحراب قد تم صنعه

(٢) Amurath to Amurath, Bell, p.192.

(٣) Archaologische Reise, Band II, p. 144.

في الشام ، ثم حمل منها الى بغداد حيث وضع في مسجد المنصور ، وهنالك دلالة واحدة في هيأة المحراب وهي ظهر المحراب المدور التي قد نستشف منها انها قد وضعت بهذا الشكل تخفيفا لثقل المحراب ، اذ المعروف في هيأة أظهر المحاريب ان تكون كاملة التربيع غير مدورة وهذا التخفيف في ثقل المحراب يدعونا الى أن نفكر انه لعل له علاقة بنقل المحراب وتسفيره وعندها يجوز أنه قد صنع في الشام ثم حمل منها الى بغداد .

وقد كان الشريط الزخرفي الجميل الذي يحيط بتجويف المحراب الاعلى والذي يسمى بالصدفة مخفيا كله تحت طبقة من الملاط ، الى ان تم نقله قبل سنين قليلة الى المتحف وازيل عنها الملاط فظهرت الى العيان (٤) .

يتألف المحراب من تجويف ضحل غير عميق وغطاء الصدفة يعلو زوجين من الاعمدة الحلزونية المظفورة ، طوله ٢٫٠٦ مترا وعرضه متر واحد ، وهذه الحزوز المائلة قد اضفت على العمود جمالا زخرفيا بديعا « انظر الشكلين ـ ٢٣ و ٢٤ » .

والعمودان اللذان يبرزان بنسبة ٤/٣ يلتوي كل واحد منهما اثنتي عشرة مرة وبين هذه الالتواءآت وتاج العمود شريط من الحلي المعمارية ، وتيجان هذين العمودين مختلفان ولكن كل تاج فيهما يحتوي على صفين من أوراق الاكانتس الكبيرة ، والاوراق النخلية ، وتختلف أوراق الاكانتس بعضها عن البعض الآخر . فتلك التي على التاج الايسر تلتف نحو الاسفل ، بينما تلك التي على التاج الايمن من طراز الاسلوب الشامي المسنن العميق ، وهذا التعريق الزخرفي الجميل لتاج العمودين قد أكمل الجمال الفني للمحراب وهكذا فان طرفي المحراب مزينان بعمودين ، وصدره الاوسط مزدان بعمود يحتوي على الزخرفة النباتية الجميلة ، وهكذا اتسق جمال المحراب في الوسط

(٤) Early Muslim Architecture, Vol. II p. 35.

والجانبين بمسار الزخرفة عموديا في الاعمدة وافقيا في التاج الى باطن الصدفة في الورقة النخلية المحورة التي اصبح منتصفها مركزا خرج منه « ١٦ » حرفا كأنهـا أشعة شمس بازغة ، ولا نجد أي أثر للزخرفة في الصدفة ما خلا الاخاديد التي تقوم على أتساق هذه الاحرف .

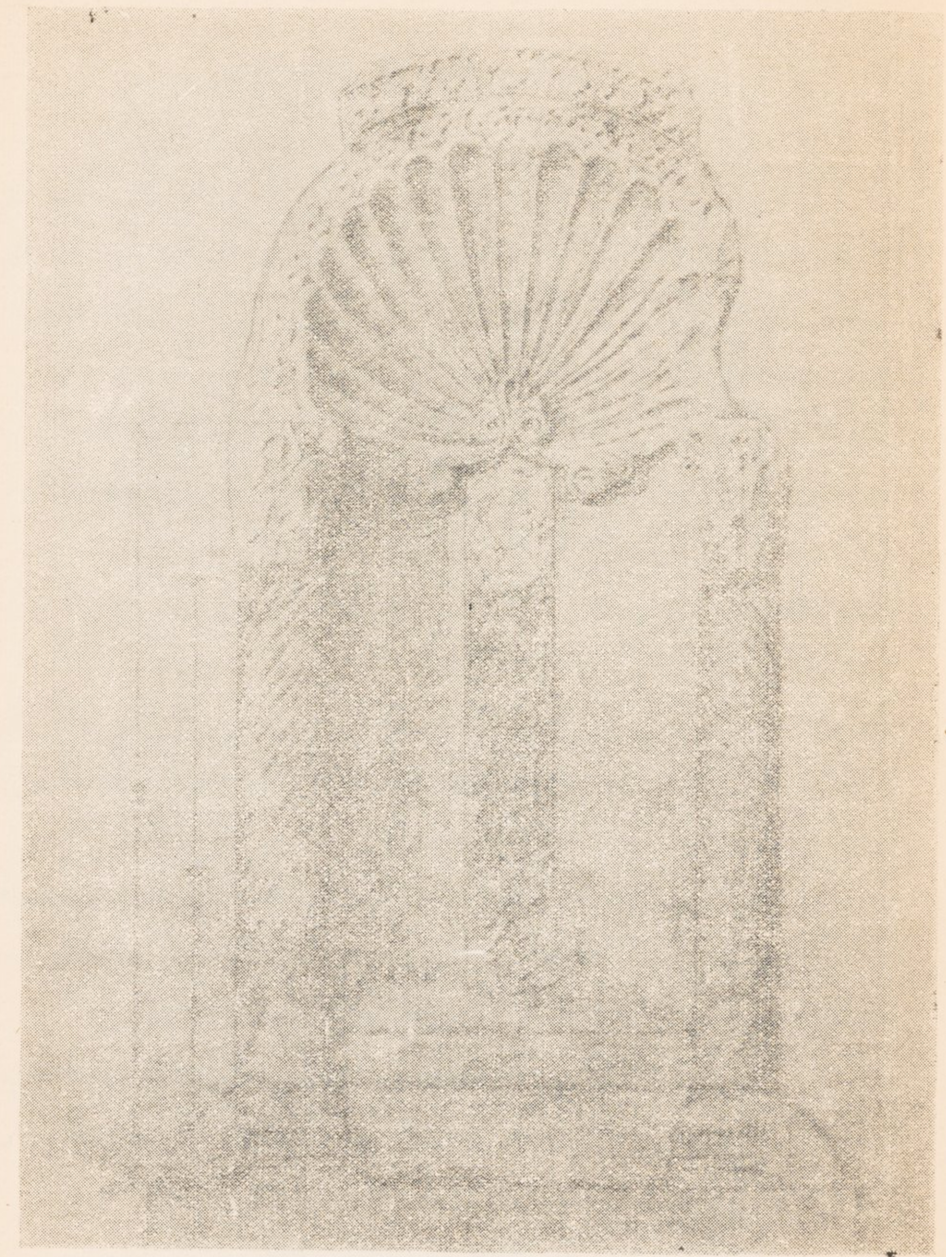
أما أسفل الصدفة فتمتد الى الجانبين الى جهة اليمين والى جهة اليسار نصف ورقة كاملة ذات ثلاثة فصوص ، اما الزخرفة الوسطى لباطن المحراب فتتألف من كأسين أحدهما طويل يخرج منه عرق يلفه ويمتد الى الاسفل كما يتخرج من الكأس وريدات متدلية وأوراق عنب وعناقيد عنب او عناقيد كيزان الصنوبر مع تعريق نباتي جميل على جانب الكأسين .

أما الكأس المنتفخة الثانية فيخرج منها عرق نباتي ينحني الى اليمين والى اليسار ويتدلى منه أوراق وعناقيد عنب ويتم أمتداد الكأس الثانية الى الاسفل بما يشبه كيز الصنوبر قائم او عنقود عنب منضد الحبات الى الاعلى وحوله تعريقة نباتية جميلة والى اسفله تمتد كأس دقيقة بما تشبه تخت زهرة سقطت اوراقهـا التويجية والى جانبها تعريقة نباتية ، وهناك اطاران يدور كل منهما من اعلى تاج العمود من الجهة اليمنى لينتهي الى تاج العمود في جهته اليسرى ، فالاول وهو الى باطن المحراب اقرب ، يبدأ بنصف ورقة عنب ، اما الاطار الثاني المتقدم فيبدأ بعنقود عنب ثم ورقة عنب وهكذا يتكرر ويلف المحراب كله من تاج عموده الايمن الى تاج عموده الايسر .

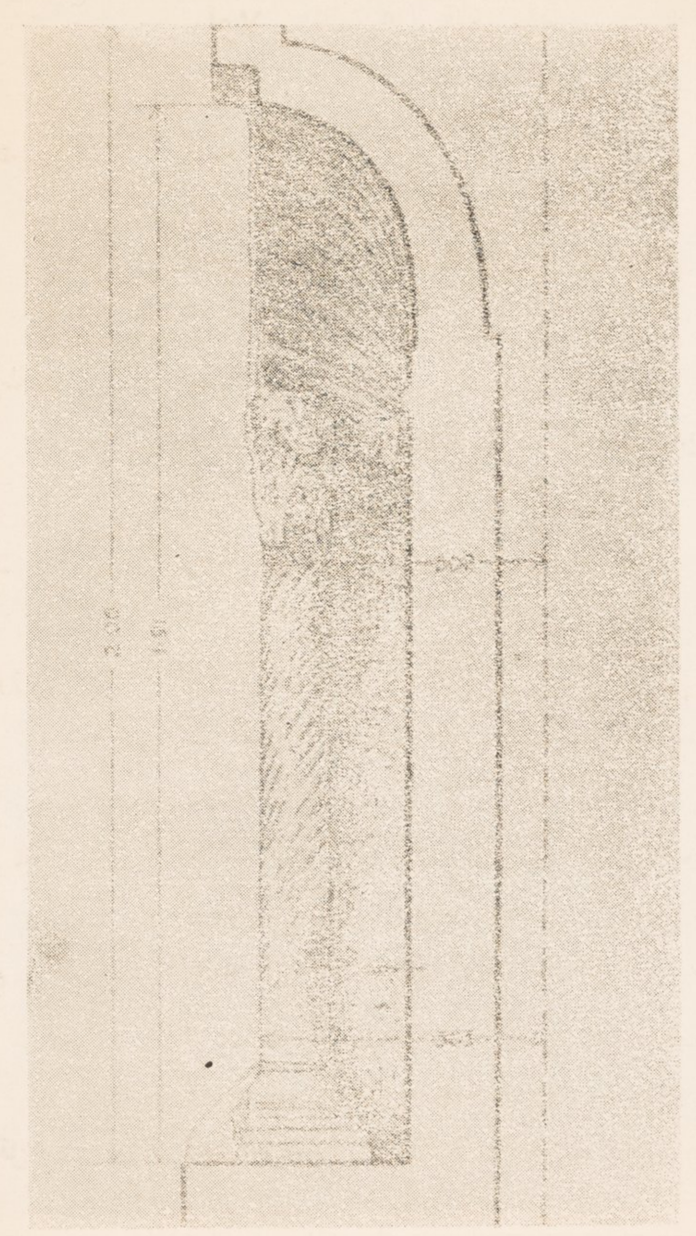
ويستنتج هرتسفيلد بان هذه الروعة وجمال الزخرفة تحمله على الاعتقاد بأن زخارف هذا المحراب ترجع الى العهود الاولى للفن الاسلامي المتأثر بالفن البيزنطي ، ويضيف بأن أسلوب المحراب يدل على انه لايعود الى فترة متأخرة ، وذلك لان زخارفه ترتقي بصورة أكيدة وكاملة الى العهد الاول للفن الاسلامي الذي كان يحمل التقاليد الفنية المحلية التي كانت بمثابة خطوة

سابقة لميلاد فن جديد ، وأخيرا فان أسلوبه يشير الى نهاية تطور الزخارف السابقة للاسلام في منطقة الشرق الادنى (٥) .

(٥) Archaologische Reise, Band II, p. 144.



« شكل — ٢٣ محراب جامع الخاصكي عن هرتسفيلد »



(شكل ـ ٢٤ مقطع من محراب جامع الخاصكي عن هرتسفيلد)

أولا ـ المصادر القديمة

ابن الاثير (ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير) الكامل في التأريخ . طبعة المنيرية بمصر . سنة ١٣٧٥ هـ .

ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر . سنة ١٩٣٨ م ـ ١٣٥٧ هـ .

ابن جبير رحلة ابن جبير ـ الطبعة الثانية . طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٧ م .

ابن الجوزي (جمال الدين ابوالفرج عبد الرحمن بن علي) المنتظم ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية .حيدر آباد الدكن. سنة ١٣٥ هـ ..

مناقب بغداد ـ المنسوب خطأ لابن الجوزي ولعله لحفيده . نشره محمد بهجت الاثري البغدادي . مطبعة دار السلام ببغداد في عام ١٣٤٢ م .

ابن حزم (ابو محمد علي بن احمد بن سعيد) جمهرة انساب العرب ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون . طبع دار المعارف بمصر . سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

ابن حوقل (ابو القاسم بن حوقل النصيبي)

كتاب صورة الارض ـ القسم الاول مطبعة بريل في

ليدن سنة ١٩٣٨ م .

ابن خرداذبه (ابو القاسم المعروف ابن خرداذ به)
المسالك والممالك — وهو مطبوع مع كتاب الخراج لقدامه .طبعة دي غويه .مطبعة بريل سنة ١٨٨٠ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي).
العبر وديوان المبتدأ والخبر — طبع بيروت . عام ١٩٥٧ م .

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر) وفيات الاعيان وانباء انباء الزمان — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر . سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

ابن سلام (ابو عبيد القاسم بن سلام)
كتاب الاموال — تحقيق محمد حامد . طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

ابن رسته الاعلاق النفيسة — طبع بمدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٩٢ م .
وهو مطبوع مع كتاب البلدان لليعقوبي

ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية — مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة

ابن طيفور (ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور)

بغداد — ترجم للمؤلف محمد زاهد بن الحسن الكوثري • وتحقيق عزت العطار الحسيني • طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

ابن عماد — (ابن عماد الحنبلي)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب — عنيت بنشره مكتبة القدسي • سنة ١٣٥٠ هـ •

ابن عبد الحق — (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق)

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع — وهو مختصر كتاب معجم البلدان لياقوت • طبع دار احياء الكتب العربية • سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م •

ابن عبد ربه — (ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه)

العقد الفريد — شرحه احمد امين وجماعته • الطبعة الثانية بالقاهرة • سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م •

ابن الفقيه — (ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني)

مختصر كتاب البلدان — مطبعة بريل سنة ١٣٠٢ هـ

ابن الفوطي — (كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن الفوطي البغدادي)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائه السابعة — مصدر بمقدمتين الاولى لمحمد رضا الشبيبي والثانية لمصطفى جواد • مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٥١هـ •

ابن قتيبة — (ابو محمد عبدالله بن مسلم)

كتاب المعارف — تحقيق ثروت عكاشة • مطبعة دار الكتب بمصر سنة ١٩٦٠ م •

ابن القفطي (جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف)
تاريخ الحكماء من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء — تحقيق ليبرت . مطبعة لايبزك . سنة ١٩٠٣ م .

ابن مسكويه (ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه)
تجارب الامم — القسم الاخير وهو المجلد الخامس والسادس طبع الجزء الخامس منه بمطبعة التمدن في مصر سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م . و طبع الجزء السادس بمطبعة التمدن ايضا في سنة ١٣٣٣ هـ — ١٩١٥ م .

ابن النديم الفهرست — مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ؟

ابن هشام (ابو محمد عبدالملك بن هشام)
سيرة النبي — تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . مطبعة حجازي بالقاهرة . سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .

ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا) تقويم البلدان — طبع باريس . سنة ١٨٤٠ م
تاريخ ابي الفدا . كتاب المختصر في اخبار البشر طبع دار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ؟

أبو الفرج (ابو الفرج الاصفهاني)
مقاتل الطالبيين — شرح احمد صقر . طبع القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م .

أبو الفرج (ابو الفرج الاصفهاني)
الاغاني — مطبعة دار الكتب المصرية . سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م .

الاصطخري (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري)
مسالك الممالك ـ طبع في مدينة ليدن سنة ١٩٢٧ م.
البلاذري فتوح البلدان ـ تحقيق رضوان محمد رضوان .
الطبعة الاولى المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ـ
١٩٣٢ م .
النقود العربية وعلم التميات ـ نشره الاب انستاس
ماري الكرملي . طبع في القاهرة سنة ١٩٣٩ م .
الجهشياري (ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري)
كتاب الوزراء والكتاب ـ تحقيق مصطفى السقا
وجماعته . مطبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ـ
١٩٣٨ م .
الخطيب (الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي)
تاريخ بغداد ـ طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة
١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م .
الخوارزمي (ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب
الخوارزمي)
مفاتيح العلوم ـ مطبعة الشرق بمصر سنة ١٣٤٢ هـ .
الدبيثي (الحافظ ابو عبد الله الدبيثي) .
المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ـ تحقيق
الدكتور مصطفى جواد . مطبوعات المجمع العلمي
العراقي . مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٣٧١ هـ .
الدنيوري (ابو حنيفه احمد بن داود)
الاخبار الطوال ـ طبع في ليدن بمطبعة بريل سنة

١٩١٢ م .

السمهودي (نورالدين علي بن احمد المصري السمهودي)
وفاء الوفا باخبار دار المصطفى — تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

سهراب عجائب الاقاليم السبعة تحقيق هانس فون فريك . طبع فينا سنة ١٩٢٩ م.

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي)
تاريخ الخلفاء — تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م .

الشابشتي (ابو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي)
الديارات — تحقيق كوركيس عواد . طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥١ م .

الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي العلوي)
امالي المرتضى . غرر الفوائد ودرر القلائد — تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم طبع باقاهرة سنة ١٩٥٤ م.

الصابي (ابو الحسن الهلال بن المحسن الصابي)
الوزراء . او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء — تحقيق عبدالستار احمد فراج . طبع بدار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م .

الطبري (محمد بن جرير الطبري)
تاريخ الامم والملوك — طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م .

العليمي (مجيرالدين العليمي)

الانس الجليل باخبار القدس والخليل — طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٨٣ هـ .

العمري (ابن فضل الله العمري)

مسالك الابصار في ممالك الامصار — طبع دار الكتب بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م .

الغياث (عبدالله بن فتحالله البغدادي الملقب بالغياث)

التاريخ الغياثي — مخطوط بمكتبة متحف الآثار العراقي ببغداد برقم ١٧٣٨ .

قدامة (ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي)

كتاب الخراج وصفة الكتابة — مطبوع مع كتاب ابن خرداذبة . طبعة ديدى غويه مطبعة بريل سنة ١٨٨٩م

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني)

اثار البلاد واخبار العباد — طبع بيروت عام ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

القلقشندي (الشيخ ابو العباس احمد القلقشندي)

صبح الاعشى — طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م .

المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي)

مروج الذهب ومعادن الجوهر — طبع في باريس سنة ١٨٧٧ م .

التنبيه والاشراف — طبع ليدن سنة ١٨٩٣ م .

اثبات الوصية — الطبعة الرابعة . طبع بالنجف سنة

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

المقدسي — احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٦ م .

المقريزي — (تقي الدين احمد بن علي المقريزي) .

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار — طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٢٧٠ هـ .

السلوك — الجزء الاول باقسامه الثلاث طبع بدار الكتب المصرية بالقاهرة . في القسم الاول طبع في عام ١٩٣٤ م والقسم الثاني في عام ١٩٣٦ م والقسم الثالث في ١٩٣٩ م

اما الجزء الثاني بأقسامه الثلاث فطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . فالقسم الاول طبع في سنة ١٩٤١ م والقسم الثاني في سنة ١٩٤٢ م والقسم الثالث في سنة ١٩٥٨ م .

المنشيء البغدادي — (السيد محمد ابن السيد احمد الحسيني)

رحلة المنشيء البغدادي — نقلها الى العربية عن الفارسية عباس العزاوي . طبعت بمطبعة شركة التجارة ببغداد عام ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

الواقدي — (محمد الواقدي)

فتوح الشام — طبع بدار العهد الجديد بمصر سنة ١٣٧٣ هـ .

الهمداني — الاكليل — الجزء الثامن . تحقيق نبيه امين فارس . طبع في برنستن سنة ١٩٤٠ م

ياقوت (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)

معجم البلدان — طبع لايبزك سنة ١٨٦٦ م

اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي)

البلدان — مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته • طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٩٢م

تاريخ اليعقوبي — طبع بريل سنة ١٨٣ م

ثانيا ـ المصادر الحديثة

ابو الفرج — (ابو الفرج العش)
آثارنا في الاقليم السوري ـ مطبعة دمشق . عام ١٩٦٠ م .

احمد تيمور باشا — التصوير عند العرب ـ اخرجه المرحوم الدكتور زكي محمد حسن . طبع بالقاهرة عام ١٩٤٢ م .

احمد فخري — (الدكتور احمد فخري)
دراسات في تاريخ الشرق القديم ـ طبع في دار ممفيس بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م .
اليمن ـ مستل من المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩ م . طبع بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .

احمد فريد — (الدكتور احمد فريد الرفاعي) .
عصر المأمون ـ المجلد الاول . طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م .

احمد فكري — (الدكتور احمد فكري)
مسجد القيروان ـ مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .
المدخل . مساجد القاهرة ومدارسها ـ طبع بدار المعارف في مصر سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

احمد شلبي — (الدكتور احمد شلبي)

الاعظمي (علي ظريف الاعظمي)
في قصور الخلفاء العباسيين . نشر مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٤ م .
مختصر تاريخ بغداد — مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م .

الالوسي (محمود شكري الآلوسي)
بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب — تحقيق محمد بهجة الاثري — الطبعة الثانية ، بالمطبعة الرحمانية في مصر سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م .

بارتولد (ف. بارتولد)
تاريخ الحضارة الاسلامية — نقله من التركية الى العربية حمزه طاهر . مطبعة المعارف بغداد . سنة ١٩٤٢ م .

بريجز (آرنولد وكريستي وبريجز)
تراث الاسلام — جزءآن الاول منه ترجمة لجنة الجامعيين والثاني ترجمة وتعليق المرحوم الدكتور زكي محمد حسن . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٦ م .

توفيق وهبي
القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد — مطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٠ م .

جرجي زيدن
العرب قبل الاسلام — طبع دار الهلال بمصر ١٩٣٩م.
تاريخ التمدن الاسلامي — راجعه الدكتور حسين مؤنس طبع بالقاهرة سنة ١٩٣١ م .

جواد علي — (الدكتور جواد علي)
تاريخ العرب قبل الاسلام ــ طبع المجمع العلمي العراقي في بغداد . الجزء الثامن طبع في سنة ١٩٦٠م

الجومرد — (الدكتور عبدالجبار الجومرد)
ابو جعفر المنصور ــ طبع في بيروت سنة ١٩٦٣ م .

حسن ابراهيم — (الدكتور حسن ابراهيم حسن)
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ــ الجزء الثاني . الطبعة الخامسة . طبع بمكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ م .

حتي — (الدكتور فيليب حتي ورفقاه)
تاريخ العرب ــ طبع بدار الكشاف في بيروت سنة ١٩٥٠ م .

الحصري — (ساطع الحصري)
دراسات عن مقدمة ابن خلدون ــ طبع دار المعارف بمصر . سنة ١٩٥٣ م .

دائرة المعارف — (دائرة المعارف الاسلامية)
مادة (الانبار) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته . المجلد الثالث صفحة ١ــ٣ .
مادة (البصرة) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته . المجلد الثالث صفحة ٦٦٩ ــ ٦٧٢ .
مادة (بغداد) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته . المجلد الرابع صفحة ٣ــ٢١ .
مادة (تاج محل) ترجمة احمد الشنتناوي وجماعته .

المجلد الرابع صفحة ٤٥١ ــ ٤٥٣ .

الدوري — (الدكتور عبد العزيز الدوري) .
العصر العباسي الاول ــ مطبعة التفيض ببغداد سنة ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٥ م .

رنيه ديسو — العرب في سورية قبل الاسلام ــ ترجمة عبد الحميد الدواخلي . راجعه محمد مصطفى زيادة . طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .

زكي محمد حسن — (المرحوم الدكتور زكي محمد حسن)
فنون الاسلام ــ الطبعة الاولى . مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة . سنة ١٩٤٨ م .

سوسه — (الدكتور احمد سوسة) .
وادي الفرات ومشروع الحبانية ــ الجزء الاول طبع بمطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ م .
وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ــ الجزء الثاني طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ م .
في ري العراق جزء اول طبع بمطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٥ م .
ري العراق .
ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ــ طبع بجزئين في مطبعة المعارف ببغداد في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .
اطلس بغداد ــ طبع بمديرية المساحة العامة ببغداد سنة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م .
فيضانات بغداد في التأريخ ــ القسم الاول ــ مطبعة

الاديب ببغداد سنة ١٩٦٣ .

دليل خارطة بغداد — مع الدكتور مصطفى جواد طبع بالمجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨م.

طه باقر — مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة — القسم الاول تأريخ العراق القديم الطبعة الثانية شركة التجارة والطباعة ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م .

العزاوي — (عباس العزاوي) .

تاريخ العراق بين احتلالين — طبع في مطبعة بغداد سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م .

العلي — (الدكتور صالح احمد العلي) .

منطقة الحيرة . دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر الادبية — بحث نشر في مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٦٢ . ثم نشر منفردا في نفس السنة .

محاضرات غير مطبوعة القاها الدكتور العلي على طلبة الدراسات العليا — الماجستير بقسم التأريخ عن بغداد للسنة الدراسية ١٩٦٣ م .

محاضرات في تأريخ العرب — الجزء الاول . الطبعة الثانية مطبعة المعارف في بغداد . سنة ١٩٥٩ م .

العلاف — (عبد الكريم العلاف) .

بغداد القديمة — مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٦٠ م.

العمري — (سعاد هادي العمري) .

بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الاخيرة — جمعه عن الالمانية . طبع بدار المعرفة في

بغداد سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

عنان — (محمد عبد الله عنان) .
الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال — الطبعة الثانية . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

غنيمة — (يوسف رزق الله غنيمة) .
تجارة العراق قديما وحديثا — طبع بمطبعة العراق ببغداد الطبعة الاولى . سنة ١٩٢٢ م — ١٣٤١ هـ .

فؤاد سفر — واسط — الموسم السادس للتنقيب . مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م.

كوك — (ريجارد كوك) .
بغداد مدينة السلام — الجزء الاول نقله الى العربية وقدمه له وعلق عليه فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد مطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٢ م .

كونل — (آرنست كونل) .
الفن الاسلامي — ترجمة الدكتور احمـد موسى . مطبعة اطلس بالقاهرة سنة ١٩٦١ .

لجنة ابن سينا — دليل تأريخي . مطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٢ م

لسترانج — (غي لسترانج) .
بغداد في عهد الخلافة العباسية — ترجمة بشير يوسف فرنسيس . الطبعة الاولى . بالمطبعة العربية في بغداد سنة ١٩٣٦ م .

بلدان الخلافة الشرقية — ترجمة بشير يوسف فرنسيس

وكوركيس عواد . طبع بمطبعة الرابطة في بغداد سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

لوبون — (الدكتور غوستاف لوبون) .
حضارة العرب — ترجمة محمد عادل زغيتر . طبع بدار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م .

ماسينيون — خطط الكوفة — ترجمة وعلق عليه ت . المصعبي . مطبعة العرفان في صيدا بلبنان سنة ١٩٤٦ م.

مديرية الآثار — (مديرية الآثار العراقية العامة) .
حفريات سامراء — (١٩٣٦ — ١٩٣٩). الجزء الاول مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٠ .
مسجد الكوفة — مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٠م.

محمد توفيق — آثار معين في جوف اليمن — منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة . طبع سنة ١٩٥١ م.

محمد كرد علي — الاسلام والحضارة العربية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٠ م .

المؤتمر الثاني للآثار — (المؤتمر الثاني الآثار في البلاد العربية) . طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٨ .

المؤتمر الثالث للآثار — (المؤتمر الثالث للآثار) في البلاد العربية) . طبع بالقاهرة سنة ١٩٦١ .

مجلة الزراعة — (مجلة الزراعة العراقية) .
المجلد ٧ (١٩٥٢) صفحة ٢٨٣ — ٢٩١ . مقال الدكتور احمد سوسة بعنوان (ري بغداد القديم او

١

بغداد قبل المنصور) .

مجلة كلية الآداب

العدد الثالث . كانون الثاني ١٩٦١ م

بحث بعنوان (ابن الكوفي) للدكتور حسين علي محفوظ صفحة ٢١ .

العدد السادس سنة (١٩٦٣ م) بحث (الكاشيون) للدكتور محمود الامين صفحة ٥١٥ – ٥٦٠ .

مجلة سومر

الجزء الاول . المجلد الثامن (١٩٥٢ م) خطط البصرة مقال للدكتور صالح احمد العلي صفحة ٧٢ .

الجزء الثاني – المجلد الثامن (١٩٥٢) تتمة مقال الدكتور صالح احمد العلي بعنوان خطط البصرة . صفحة ٢٨١ – ٣٠٢ .

الجزء الثاني . المجلد الثامن (١٩٥٢) .

سومر

نبذة تاريخية في اصول اسماء الامكنة العراقية . بشير فرنسيس وكوركيس عواد صفحة ٢٣٦ .

مجلة لغة العرب

سنة (١٩٢٦) مقال ليوسف غنيمة بعنوان (معنى اسم بغداد) صفحة ٨ ومقال لرزوق عيسى يرد فيه على يوسف غنيمة في الصفحة ٣٨١ .

ناجي معروف

(الأستاذ ناجي معروف) .

تأريخ علماء المستنصرية – الطبعة الاولى . مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٥٩ م .

المدرسة الشرابية او القصر العباسي – مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦١ م .

المدخل في تأريخ الحضارة العربية ـ مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٠ م •
عروبة المدن الاسلامية ـ مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م •
تخطيط المدن عند العرب او نشأة المدن الاسـلامية محاضرات غير مطبوعة القاها الاستاذ ناجي معروف على طلبة الدراسات العليا ـ الماجستير بقسم الآثار الاسلامية للسنة الدراسية ١٩٦٢ •

النجفي (حسين بن السيد احمد) •
تاريخ الكوفة ـ الطبعة الثانية بالمطبعة الحيدريةفي النجف سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م •

النقشبندي (ناصر النقشبندي) •
الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ـ الجزء الاول مطبعة الرابطة سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م •

نيلسن (ديتلف نيلسن وغيره) •
التأريخ العربي القديم ـ ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على راجعه المرحوم الدكتور زكي محمد حسن • طبع بمكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٥٨ م •

نوري (ماراثنا سيوس اغناطيوس نوري) •
رحلة الى الهند (١٨٩٩ ـ ١٩٠٠) طبع في حريصا بلبنان سنة ١٩٣٤ م •

فلهاوزن (يوليوس فلهاوزن) •
الدولة العربية وسقوطها • ترجمة الدكتور يوسف

العش طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م .

وولي (السير ديونارد وولي) .

مدخل الى علم الآثار — ترجمة الدكتور حسن الباشا. راجعها الدكترر عبد المنعم ابو بكر . طبع بدار سعد بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م .

هوار (كليمان هوار) .

خطط بغداد — ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه الاستاذ ناجي معروف . طبع بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

ثالثا ــ المعاجم والقواميس اللغوية

ابن منظور — لسان العرب ــ طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٧ هـ .

احمد رضا — معجم متن اللغة ــ مطبعة دار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .

الجواليقي — (ابو منصور الجواليقي) المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ــ تحقيق احمد محمد شاكر . طبع بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ .

حاجي خليفة — (مصطفى بن عبد الله) . كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١ م .

الكلداني — (يعقوب اوجين منا الكلداني) . دليل الراغبين في لغة الآراميين ــ طبع في الموصل سنة ١٩٠٠ م .

محمد فارس بركات — المرشد الى آي القرآن الكريم وكلماته ــ عنى بجمعه تنسيقه محمد فارس بركات . المطبعة الهاشمية سنة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .

محمد منير — (محمد منير الدمشقي) . ارشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين ــ وضع محمد منير الدمشقي . طبع المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٦ هـ .

The Travels of Della Valle, A noble Roman into East-India and Arabia Deferta.
London 1665.

The Cuneiform inscriptions of Western Asia, Major - General Sir H. C. Rawlinson.
London 1884.

Die Keilschrifttexte Tiglat-Pilesers III, Von Paul Rost, Bond I.
Leipzig, 1893.

Die Alte Landschaft Babylonien Nach den Arabischen Geographen, Von Dr. Maximilien Streck.
Leiden, 1900.

Délégation en Perse, Tome III, Par V. Scheil.
Paris, 1901.

L'introduction topographique Al, Historire de Baghdad, Gorges Salmon.
Paris, 1904.

Archaologische Reise im Euphrate und Tigris-Gebiet, Sarre und Herzfeld. Band II.
Berlin, 1913.

Die Ausgrabungen der Deutschen Ktesiphon-Expedition in winter, Oscar Reuther.

Moslem Architecture, Ernest Tatham Richmond.

Die Festungswerke Von Assur, Von Walter Andrae.
Leipzig, 1913.

Early Muslim Architecture, Vol. II, Y. A. C. Creswell.
London, 1926.
New York, 1927.

Early Muslim Arcitecture, Vol. II, K. A. C. Creswell.
London, 1932—40.

The Middle Euphrates, Alois Musil.

A short account of Early Muslim Architecture, Creswell.
London, 1958.

Historical Records of Assyria From Sargon to the end, Vol. II, The University of Chicago Press.

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol. I :

— Art. AL-Anbar p. 484—485.
M. Streck — (A. A. Duri) .

— Art. Baghdad, p. 894—908, with a map in page 908.
A. A. Duri.

— Art. Architecture, p. 608—624, with many plates.
(K. A. C. Creswell) .

Encyclopaedia of Islam, Vol. II :

— Art. AL-Karch, p. 763—764.
(M. Streck) .

الفِهرِسْت

الفهرست

الباب الخامس

التهيؤ لبناء بغداد

الباب السادس

الشروع ببناء بغداد

الباب السابع

الرحبة العظمى

المصادر

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧



